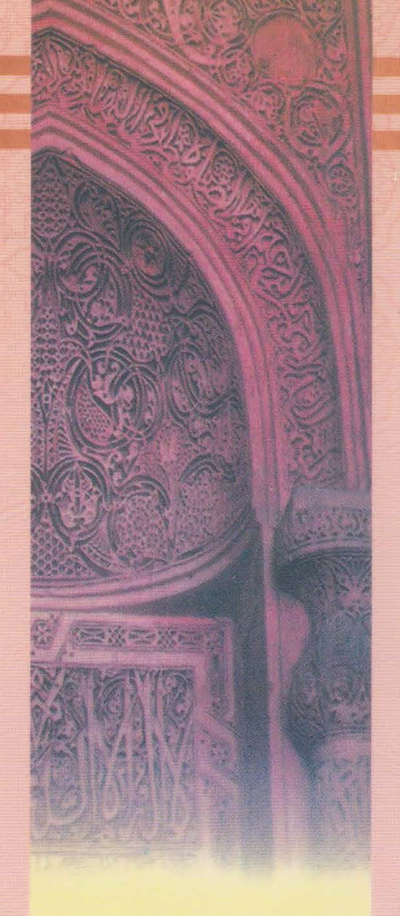
٤٦

دروس تمهيدية في











دروسٌ تمهيدية في

تاريخ وسيرة القادة الهداة

(٢)

لجنة تأليف الكتب الدراسية

١٤٢٥

لجنه تاليف الكتب الدراسيه

دروس تمهيديه فى تاريخ و سيره القاده الهداه / به سفارش [لجنه تاليف الكتب الدراسيه [المنظمه العالميه للحوزات و المدارس الاسلاميه] . قم: المنظمه العالميه للحوزات و المدارس الاسلاميه ، ۱۴۲۵ ق = ۲۰۰۴ م = ۱۳۸۳ .

ISBN : 964 - 5913 - 38 - 1 (دوره) . - ISBN

964 - 5913 - 37 - 3 (ج . ۱) ; ۱۲۰۰۰ ریال - ISBN

964 - 5913 - 36 - 5 (ج . ۲) ; ۱۲۰۰۰ ریال

عربی .

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا .

کتاب حاضر با عنوان "قبسات من سيره القاده الهداه" نیز منتشر شده است .

۱ . چهارده معصوم – سرگذشتنامه . الف . سازمان حوزه ها و مدارس علمیه خارج از کشور . ب . عنوان . ج . عنوان : قبسات من سيره القاده الهداه .

۲ ق ۸ ح /BP۳۶ ۲۹۷/۹۵

۱۳۸۳

کتابخانه ملی ایران ۲۹۹۰۴ – ۸۳ م





الكتاب : .... دروس تمهيديه فى تاريخ و سيره القاده الهداه (۲)

المولف :........................لجنه تاليف الكتب الدراسيه

الناشر :........................ المنظمة العالمية للحوزات و المدارس العلميه

الكميه : ۲۰۰۰

الطبعة :........................الاولى

تاريخ الطبع :........................۱۴۲۵ه ق – ۲۰۰۴م

المطبعة :........................ باقرى

القطع و عدد الصفحات : .... وزيرى / ۲۸۶

التصوير الفنّى (الزينكغراف) .... مدين

السعر :........................ ۱۲۰۰ توماناً

شابک :........................ISBN۹۶۴ _ ۵۹۱۳ _ ۳۷ _۳

فهرس اجمالی

الدرس ٣١

الإمام محمّد الباقر عليه السلام: نشأته ومراحل حياته

نسبه المشرق

لقد ازدهرت الحياة الفكرية والعلمية في الإسلام من خلال الوجود المبارك لهذا الإمام العظيم الذي التقت به عناصر السبطين الحسن والحسين عليهما السلام.

فالأب سيّد الساجدين و زين العابدين وألمع سادات المسلمين.

والأمّ السيدة الزكية الطاهرة فاطمة بنت الإمام الحسن، سيّد شباب أهل الجنّة، وتكنّى أمّ عبدالله[1]، وكانت من سيّدات نساء بني هاشم.

ولادتــه

لقد أشرقت الدنيا بمولد هذا الإمام الزكي ـ الذي بشّر به النبي صلى الله عليه وآله قبل ولادته ـ في المدينة في الثالث من شهر صفر سنة ٥٦هـ [2]، وقيل: سنة ٥٧هـ في غرّة رجب يوم الجمعة[3]. فولادته قبل استشهاد جدّه

---

١. تهذيب اللغات والأسماء، ج ١، ص ٨٧، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٨٤.

٢. وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣١٤، تذكرة الحفّاظ، ج ١ ص ١٢٤.

٣. دلائل الإمامة، ص ٩٤.

الإمام الحسين عليه السلام بثلاث أو بأربع سنين[١]، وقيل بسنتين وأشهر[٢].

لقد سمّاه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بمحمّد، ولقّبه بالباقر قبل أن يُخلق بعشرات السنين، وكان ذلك من شواهد نبوّته. وقد استشفّ صلى الله عليه وآله من وراء الغيب ما يقوم به حفيده محمّد من نشر العلم وإذاعته بين الناس، فبشّر به أُمّته، كما حمل له تحياته على يد الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري.

وكُنّي بأبي جعفر[٣] ولا كنية له غيرها.

أما ألقابه الشريفة فهي: الأمين، الشبيه[٤]، الشاكر، الهادي، الصابر، الشاهد، الباقر[٥] ـ وهو من أكثر ألقابه ذيوعاً وانتشاراً ـ كما لقّب هو وولده الإمام الصادق عليه السلام بالباقرين و لُقّبا بالصادقين أيضاً من باب التغليب[٦].

ويجمع المؤرّخون والمترجمون للإمام على أنّه إنّما لُقّب بالباقر؛ لأنّه كان يبقر العلم أي يشقّه، ويتوسّع فيه عارفاً بأصله وعالماً بخفيّه[٧].

تحيات النبي صلى الله عليه وآله إلى حفيده

وحمّل النبي صلى الله عليه وآله الصحابي الكبير جابر بن عبدالله الأنصاري تحيّاته، إلى سبطه الإمام الباقر، وكان جابر ينتظر ولادته بفارغ الصبر ليؤدّي إليه رسالة جدّه. فلمّا ولد الإمام التقاه جابر فأدّى إليه تحيّات النبي صلى الله عليه وآله.

---

١. أخبار الدول، ص ١٩٩.
٢. دلائل الإمامة، ص ٩٤.
٣. أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٤٦٤.
٤. تذكرة الحفّاظ، ج ١، ص ١٢٤، و نزهة الجليس، ج ٢، ص ٣٦.
٥. راجع حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام (للقرشي)، ج ١، ص ٢٢.
٦. عيون الأخبار وفنون الآثار، ص ٢١٣ و عمدة الطالب، ص ١٨٣.
٧. أُنظر تأريخ ابن عساكر، ج ٥١، ص ٤١ من منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى المؤرّخون ذلك بصور متعدّدة، واليك بعضها:

١ . روى ابن‌عساكر أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام دخل على جابربن عبدالله الأنصاري و معه ولده الباقر، فقال له جابر وكان قد فَقَد بَصَرَه: من معك يابن رسول الله؟ قال: «معي ابني محمّد». فأخذه جابر وضمّه إليه وبكىٰ، ثم قال: اقترب أجلي. يا محمّد! رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام. فسئل: وما ذاك؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول للحسين‌بن علي: «يولد لابني هذا ابن يقال له: علي‌بن الحسين، وهو سيّد العابدين. إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ: ليقم سيّد العابدين، فيقوم علي‌بن الحسين، ويولد لعليّ‌بن الحسين. ابن يُقال له: محمّد. إذا رأيته، يا جابر، فاقرأه منّي السلام. يا جابر، اعلم أنّ المهدي من ولده، واعلم، يا جابر، أنّ بقاءك بعده قليل...»[1].

٢ . ذكر صلاح الدين الصفدي أنّ جابراً كان يمشي بالمدينة ويقول: يا باقر، متى ألقاك؟ فمرّ يوماً في بعض سكك المدينة فناولته جارية صبيّاً في حجرها، فقال لها: من هذا؟ فقالت: محمّدبن علي‌بن الحسين، فضمّه إلى صدره، وقبّل رأسه ويديه، وقال: يا بني، جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام. ثم قال: يا باقر! نعيت إليّ نفسي، فمات في تلك الليلة»[2].

ملامحه

كانت ملامحه كملامح جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله[3]، وقدشابهه في معالي أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيين عليهم السلام.

---

١. الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ١٠٢.
٢. أُصول الكافي، ج ١، ص ٤٦٩.
٣. علل الشرائع، ص ٢٣٤.

لقد كان عليه السلام في طفولته آية من آيات الذكاء حتّى أنّ جابربن عبدالله الأنصاري ـ على شيخوخته ـ كان يأتيه فيجلس بين يديه فيتعلّم منه ... وقد بهر جابر من سعة علوم الإمام ومعارفه، وطفق يقول: يا باقر! لقد أوتيت الحكم صبيّاً...[١].

وقد عرف الصحابة ما يتمتّع به الإمام الباقر عليه السلام منذ نعومة أظفاره من سعة الفضل والعلم الغزير فكانوا يرجعون إليه في المسائل التي لا يهتدون إليها[٢].

هيبته ووقاره

وبدت على ملامح الإمام عليه السلام هيبة الأنبياء ووقارهم، فماجلس معه أحد إلّا هابه وأكبره.

وقدتشرّف قتادة ـ وهو فقيه أهل البصرة ـ بمقابلته فاضطرب قلبه من هيبته، وأخذ يقول له: لقد جلستُ بين يدي الفقهاء وأمام ابن‌عبّاس فما اضطرب قلبي من أيّ أحد منهم مثل ما اضطرب قلبي منك[٣].

نقش خاتمه

أما نقش خاتمه فهو: «العزّة لله جميعاً»[٤]، وكان يتختّم أيضاً بخاتم جدّه الإمام الحسين عليه السلام، وكان نقشه: «إنّ الله بالغ أمره»[٥].

---

١. المناقب، ج ٤، ص ١٤٧.
٢. اثبات الهداة، ج ٥، ص ١٧٦.
٣. حلية الأولياء، ج ٣، ص ١٨٩.
٤. أعيان الشيعة، ج ٤، ص ١٦٩.
٥. المناقب، ج ٢، ص ٢٨٦.

مراحل حياته

عاش مع جدّه الحسينعليه السلام ما يقرب من أربع سنين، ومع أبيه بعد جدّه ما يقرب من أربع وثلاثين سنة، وقد كانت الدولة الأُموية في أوج بطشها وجبروتها، وكان الإمام الباقرعليه السلام في هذه المرحلة رهن إشارة أبيه زين العابدينعليه السلام في جميع مواقفه ونشاطاته.

وعاش بعد أبيه ما يقرب من تسعة عشر عاماً، أكمل فيها مسيرة الأئمة الهداةعليهم السلام من قبله، مستلهماً الطريق الصحيح لتحقيق أهداف الرسالة المحمّدية، بعد انحراف المسيرة السياسية للأمّة والخضوع لقادةٍ حذّر الرسولصلى الله عليه وآله من الالتفاف حولهم. فكانت خطواته الرائدة في تلك الظروف الصعبة مشاعل من نور، تضيء للأُمّة طريق الهدىٰ، وتجنّبها أهواء الردى. وقد أرسى في مدينة جدّهصلى الله عليه وآله دعائم المدرسة النبوية المباركة التي حمل مشعلها أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

واستطاع أن يقدّم للأمّة معالم مدرسة أهل البيتعليهم السلام في جميع مجالات الحياة، ويربّي عدّة أجيال من الفقهاء والعلماء، ويبني القاعدة الصلبة من الجماعة الصالحة التي تتبنّىٰ خطّ الرسولصلى الله عليه وآله المتمثّل في أهل البيتعليهم السلام وتسعىٰ جاهدة لتحقيق أهدافهم المُثلىٰ.

وقد وافاه الأجل بالسمّ الذي دسّه إليه ابراهيمبن الوليد في مدينة جدّه سنة ١١٤هـ .

الخلاصة:

* ولد الإمام محمّدبن علي الباقرعليه السلام من أبوين علويّين طاهرين زكيّين، فاجتمعت فيه خصال جدّيه الحسن والحسين عليهما السلام، ونشأ وترعرع في ظل أبيه السجّادعليه السلام الذي عكف على تربية الأُمة بعد النكسة المؤلمة في واقعة الطف.

* نهل الإمام العلوم والمعارف من أبيه حتّىٰ تفوّق وأبدع في كلّ العلوم. وكان الرسول صلى الله عليه وآله قد بشّر المسلمين بولادته ودوره الفاعل في إحياء علوم الشريعة، حين قال عنه: «يبقر العلم بقراً»، فلُقّب بالباقر.

* عاش الإمام الباقرعليه السلام طوال حياته في المدينة: وكان يرعىٰ الجماعة الصالحة من المسلمين، وينشر العلوم والمعارف الإسلامية، فيرسي بذلك دعائم مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومعالمها التفصيليّة تلك المدرسة التي سلكت المنهج الحق للإسلام، وأوضحته كما شرّعه الله سبحانه وتعالىٰ وبلّغه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

* عانى الإمام الباقرعليه السلام من ظلم الأُمويين، ولكنّه استطاع ـ مع ذلك ـ أن يربّي أعداداً كثيرة من الفقهاء والعلماء من شتّىٰ أقطار العالم الإسلامي آنذاك.

الأسئلة:

١ . لماذا لقّب الإمام محمّدبن عليبن الحسينعليه السلام بالباقر؟

٢ . ومن الذي لقّبه بذلك؟

٣ . متىٰ وأين ولد الإمام الباقرعليه السلام؟

٤ . ومتىٰ توفي وأين دفن؟

٥ . ما هي العلاقة بين الإمام الباقرعليه السلام وجابربن عبدالله الأنصاري؟

٦ . كم كان يبلغ عمر الإمام الباقرعليه السلام عند تقلّده الإمامة؟

٧ . وما هي أهمّ إنجازاته؟

٨ . اذكر أهم مراحل حياة الإمام الباقرعليه السلام .

الدرس ٣٢

من فضائل الإمام محمّد الباقر عليه السلام ومظاهر شخصيّته

لقد توفّرت في شخصية الإمام أبي‌جعفر عليه السلام جميع الصفات الكريمة التي أهّلته لزعامة هذه الأُمّة، وقيادتها الروحية والفكرية.

أمّا ما دّونته كتب التاريخ من فضائله الجمّة فهو غيض من فيض، ونشير إلى شيء يسير منها:

١. العلم

أ. قال عبدالله‌بن عطاء المكي: ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبي‌جعفر محمّدبن علي‌بن الحسين، ولقد رأيت الحكم‌بن عتيبة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه كأنّه صبي بين يدي معلّمه[1].

ب. قال الأبرش الكلبي عن الإمام الباقر ـ أمام هشام‌بن عبدالملك ـ: دَعُونا منكم يا بني أمية، إنّ هذا أعلم أهل الأرض بما في السماء والأرض، فهذا ولد رسول الله[2].

ج. كتب عبدالملك إلى عامله على المدينة: أن ابعث إليّ محمّدبن

---

١. بحار الأنوار، ج ١١، ص ٨٢.
٢. المناقب، ج ٢، ص ٢٨٦.

علي مقيَّداً. فكتب إليه العامل: ليس كتابي هذا خلافاً عليك يا أميرالمؤمنين، ولا ردّاً لأمرك، ولكن رأيت أن أُراجعك في الكتاب نصيحة لك، وشفقة عليك؛ إنّ الرجل الذي أردته ليس اليوم على وجه الأرض أعفّ منه، ولا أزهد ولا أورع منه، وإنّه من أعلم الناس، وأرقّ الناس، وأشدّ الناس اجتهاداً وعبادة، وكرهت لأمير المؤمنين التعرّض له؛ فإنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم. فسرّ عبد الملك بما انهى إليه الوالي، وعلم أنّه قد نصحه[1].

د . قال عبدالله‌بن معمّر الليثي للإمام الباقرعليه السلام: ما أحسب صدوركم إلّا منابت أشجار العلم، فصار لكم ثمره وللناس ورقه[2].

هـ . وقال محمّدبن طلحة الشافعي: هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، ومتفوق دره وراضعه، صفا قلبه، وزكا عمله، وطهرت نفسه، وشرفت أخلاقه، وعمرت بطاعة الله أوقاته، ورسخت في مقام التقوىٰ قدمه، وظهرت عليه سمات الازدلاف، وطهارة الاجتباء[3].

و . قال ابن‌أبي‌الحديد: في شرح النهج: كان محمّدبن علي‌بن الحسين سيّد فقهاء الحجاز، ومنه ومن ابنه جعفر تعلّم الناس الفقه[4].

٢. الحلم

كان الحلم من أبرز صفات الإمام أبي‌جعفرعليه السلام، فلم تصدر منه أية إساءة إلى من كان يظلمه ويعتدي عليه، وإنّما كان يغدق عليه بالبرّ

---

١. الدر النظيم، ص ٦٠٨، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي.
٢. بحار الأنوار، ج ١١، ص ٨٨. ٣. مطالب السؤول، ص ٨٠.
٤. المدخل الى موسوعة العتبات المقدّسة، ص ٢٠١.

والمعروف، ويقابله بالصفح والإحسان، وقد رويت صور كثيرة من عظيم حلمه، كان منها:

أ : أنّ رجلاً كتابيّاً هاجم الإمام، واعتدى عليه، وقال له: أنت بقرة. فلطف به الإمام، وقابله ببسمات فيّاضة بالبشر، قائلاً: «لا ... أنا باقر...». وراح الكتابي يهاجم الإمام، قائلاً: أنت ابن الطبّاخة. فتبسّم الإمام، وقال له: «ذاك حرفتها...» ولم ينته الكتابي عن غيّه، وانّما هاجمه، قائلاً: أنت ابن السوداء الزغنة البذيّة... . ولم يغضب الإمام، وإنّما قابله باللطف، قائلاً: «إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك...». وبهت الكتابي، وبُهر من معالي أخلاق الإمام عليه السلام التي ضارعت أخلاق الأنبياء عليهم السلام، فأعلن إسلامه[1]، ورجع إلى طريق الحقّ.

ب : ومن تلك الصور المدهشة من حلمه أنّ شاميّاً كان يختلف إلى مجلسه، ويستمع إلى محاضراته، وقد أُعجب بها، فأقبل نحو الإمام، وقال له:

يا محمّد إنما أغشى مجلسك لا حبّاً منّي إليك، ولا أقول: إنّ أحداً أبغض إليّ منكم أهل البيت، وأعلم أنّ طاعة الله وطاعة أميرالمؤمنين في بغضكم، ولكنّي أراك رجلاً فصيحاً، لك أدب وحسن لفظ، فإنّما أختلف إليك لحسن أدبك.

ونظر إليه الإمام بعطف وحنان، وأخذ يغدق عليه ببرّه ومعروفه حتى استقام الرجل وتبيّن له الحقّ، فتبدّلت حالته من البغض إلى الولاء للإمام، وظل ملازماً له حتى حضرته الوفاة فأوصى أن يصلّي عليه[2].

---

١. مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٣٣٧.   ٢. بحار الأنوار، ج ١١، ص ٦٦.

٢. الصبر

لقد صبر الإمام الباقر ـ كآبائه عليهم السلام ـ على تحمّل المحن والخطوب، وكان من موارد صبره ما يلي:

أ : لقد كان الإمام عليه السلام يسمع ويرىٰ انتقاص السلطة لآبائه الطاهرين، وإعلان سبّهم على المنابر والمآذن، ولا يتمكّن من أن يتكلم ويردّ عليهم، فصبر و كظم غيظه، وأوكل الأمر إلى الله الحاكم بين عباده بالحقّ.

ب : ومن بين المحن الشاقّة التي صبر عليها، التنكيل الهائل بشيعة أهل البيت عليهم السلام وقتلهم تحت كلّ حجر ومَدَر بأيدي الجلّادين من عملاء السلطة الأُموية، وهو لا يتمكّن من أن يحرّك ساكناً؛ اذ قد فرضت عليه السلطة الرقابة الشديدة، وأحاطته بجواسيسها، ولم تستجب لأيّ طلب له في شأن شيعته.

ج : ومما رواه المؤرّخون عن عظيم صبره، أنّه كان جالساً مع أصحابه إذ سمع صيحة عالية في داره، فأسرع إليه بعض مواليه فأسرّ إليه، فقال عليه السلام:

«الحمد لله على ما أعطى، وله ما أخذ، إنهَهُمْ عن البكاء، وخذوا في جهازه، واطلبوا السكينة، وقولوا لها: لا ضيَرَ عليكِ، أنت حرّة لوجه الله؛ لما تداخلك من الروع...».

ورجع إلى حديثه، فتهيّب القوم سؤاله، ثم أقبل غلامه فقال له: قد جهّزناه، فأمر أصحابه بالقيام معه للصلاة على ولده ودفنه، وأخبر أصحابه بشأنه، فقال لهم: «إنّه قد سقط من جارية كانت تحمله فمات»[1].

---

١. عيون الأخبار وفنون الآثار، ص ٢١٨.

٤. تكريمه الفقراء

كانعليه السلام يبجّل الفقراء، ويرفع من شأنهم؛ لئلّا يرى عليهم ذلّ الحاجة.

ورُوي: أنّه عهد لأهله إذا قصدهم سائل أن لايقولوا له: ياسائل، خذ هذا، وإنّما يقولون له: يا عبد الله بورك فيك[١]. وقال: «سمّوهم بأحسن أسمائهم»[٢].

وكان الإمامعليه السلام كثير البرّ والمعروف على فقراء المدينة، وقد أُحصيت صدقاته عليهم فبلغت ثمانية آلاف دينار[٣]، وكان يتصدّق عليهم في كلّ يوم جمعة بدينار، ويقول: «الصدقة يوم الجمعة تضاعف الفضل على غيره من الأيّام»[٤].

٥. عتقه العبيد

وكان الإمامعليه السلام شغوفاً بعتق العبيد، وإنقاذهم من رقّ العبودية، فقد أعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً. وكان عنده ستّون مملوكاً فأعتق ثلثهم عند موته[٥].

٦. صلته لأصحابه

وكان أحبّ شيء للإمامعليه السلام في هذهالدنيا إخوانه، فكان لايملّ من صلتهم وصلة قاصديه وراجيه ومؤمّليه وقدعهد لابنه الإمام الصادقعليه السلام، أن ينفق من بعده على أصحابه وتلاميذه؛ ليتفرّغوا إلى نشر العلم وإذاعته بين الناس[٦].

---

١. عيون الأخبار، ج ٣، ص ٢٠٨. ٢. البيان والتبيين، ص ١٥٨.
٣. راجع حياة الإمام محمّد الباقرعليه السلام (للقرشى)، ج ١، ص ١٢٤.
٤. في رحاب أئمة أهل البيتعليهم السلام، ج ٤، ص ١٢.
٥. أُنظر حياة الإمام محمّد الباقرعليه السلام (للقرشي)، ج ١، ص ١٢٤.
٦. المصدر نفسه.

الخلاصة:

* تكاد تلتقي شخصيات الأئمة المعصومين عليهم السلام فيما تحمله من سمو الأخلاق ، وحميد السجايا ؛ إذ اصطفاهم الله من خلقه ، وأورثهم علم الرسول صلى الله عليه وآله وفضائله. وكان الإمام الباقر عليه السلام صورة أُخرىٰ من جدّه المصطفى المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وآله ، فعاش يغضّ الطرف عن المسيء حتى يسلكَ به سبيل الرشاد ، وينجّيه من ضلالته.
* امتلك الإمام الباقر عليه السلام صبراً جميلاً على البلايا والمصائب التي حلّت بالأُمّة الإسلامية عامّة وبأهل البيت خاصّة جرّاء الانحراف في أمر الخلافة ، فتحمّل الآلام ، وتجرّع غصص الخطوب يرتجي في ذلك رضا الله ، وهداية الأُمّة ، وإعادة وعيها إليها.
* لم يكن الإمام الباقر عليه السلام في معزل عن مشاكل الأُمّة ومعاناتها فقد تحرَّك وسط الجماهير المسلمة : يرفع من شأنها ويحيي الكرامة فيها. فباللطف يمدّ يد العون للفقير . وبالشفقة يعين الضعيف ويعتق العبيد. كما كان وَصولاً يتفقّد أصحابه ، ولا يغفل عنهم.
* لقد كانت عبادة الامام عليه السلام وعلاقته مع خالقه ساميةً خالصةً لوجهه تعالىٰ ، دالةً علىٰ عمق معرفته بالله وعلى ارتباطه الوثيق به.

الأسئلة:

١. ماذا تعرف عن علم الإمام الباقر عليه السلام؟

٢. اذكر صورة من صور حلم الإمام الباقر عليه السلام.

٣. ما هي الأمور الّتي صبر عليها الإمام الباقر عليه السلام؟

٤. كيف استعمل الإمام الباقر عليه السلام الصدقة كدرس تربوي في الأمّة؟

٥. اذكر نموذجاً من سيرة الإمام الباقر عليه السلام حول صلة الإخوان وأهميّتها في الحياة.

للمطالعة

كرمه وسخاؤه

لقد فُطر الإمام الباقرعليه السلام على حبّ الخير وصلة الناس وإدخال السرور عليهم.

يقول ابن‌الصبّاغ المالكي: كان محمّدبن علي‌بن الحسين ـ مع ما هو عليه من العلم والفضل والرياسة والإمامة ـ ظاهر الجود في الخاصّة والعامّة، مشهور بالكرم في الكافّة، معروف بالفضل والإحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله[١].

وذكر المؤرّخون: انّه كان أقلّ أهل بيته مالاً، وأعظمهم مؤونة[٢]، ومع ذلك كان يجود بما عنده لإنعاش الفقراء والمحرومين، وقد نقل الرواة بوادر كثيرة من كرمه، منها:

أ : أنّ سليمان‌بن قرم قال: كان أبوجعفر يجيزنا الخمس مائة درهم إلى الست مائة درهم إلى الألف، وكان لا يملّ من صلة الإخوان وصلة قاصديه وراجيه[٣].

ب : قال الحسن‌بن كثير: شكوت إلى أبي‌جعفر محمّدبن علي الحاجة وجفاء الإخوان، فتأثّرعليه السلام وقال: «بئس الأخ يرعاك غنياً، ويقطعك فقيراً». ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبع مائة درهم، وقال: «استنفق هذه فإذا نفدت فأعلمني»[٤].

ج . وكانعليه السلام يحبو قوماً يغشون مجلسه من المائة إلى الألف، وكان يحبّ مجالستهم، منهم عمروبن دينار، وعبدالله‌بن عبيد، وكان يحمل إليهم الصلة والكسوة، ويقول: «هيّأناها لكم من أوّل السنة»[٥].

---

١. الفصول المهمّة، ص ٢٢٧.

٢. في رحاب أئمة أهل‌البيت عليهم السلام، ج ٤، ص ١٢.

٣. الإرشاد، ص ٢٩٩.

٤. صفة الصفوة، ج ٢، ص ٦٣.

٥. عيون الأخبار وفنون الآثار، ص ٢١٧. الحبوة: العطيّة.

عبادته

كان الإمام أبوجعفر عليه السلام من سادات المتّقين؛ فقد عرف الله معرفة استوعبت دخائل نفسه، فأقبل على ربّه بقلب منيب، وأخلص في طاعته لله جلّ وعزّ، أمّا مظاهر عبادته فتتمثّل في:

أ ـ خشوعه في صلاته؛ كان إذا أقبل على الصلاة اصفرّ لونه[١] خوفاً من الله عزّوجلّ وخشية منه.

ب ـ كثرة صلاته؛ كان يصلّي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة[٢]، ولم تشغله شؤونه العلمية، ومرجعيّته العامّة للأُمّة عن كثرة الصلاة، فقد كانت أعزّ شيء عنده؛ لأنّها الصلة بينه وبين الله.

ج ـ دعاؤه في سجوده: قال الإمام الصادق عليه السلام: «كنت أُمهّد لأبي فراشه فانتظره حتى يأتي، فإذا آوى إلى فراشه ونام قمت إلى فراشي، وقد أبطأ عليّ ذات ليلة فأتيت المسجد في طلبه، وذلك بعدما هدأ الناس، فإذا هو في المسجد ساجد، وليس في المسجد غيره، فسمعت حنينه وهو يقول: «سبحانك اللهمّ، أنت ربّي حقّاً حقّاً، سجدت لك يا ربّي تعبّداً ورقّاً، اللهمّ إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي... اللهمّ قِني عذابك يوم تبعث عبادك، وتب عليّ إنّك أنت التوّاب الرحيم...»[٣].

وروى عن أبيعبيدة الحذّاء أنّه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ـ وهو ساجد ـ: «أسألك بحقّ حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله إلّا بدّلت سيّئاتي حسنات، وحاسبني حساباً يسيراً».

ثم قال في السجدة الثانية: «أسألك بحق حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله إلّا ماكفيتني مؤونة الدنيا، وكلّ هول دون الجنّة».

---

١. تأريخ ابن‌عساكر، ج ٥١، ص ٤٤. ٢. تذكرة الحفّاظ، ج ١، ص ١٢٥.
٣. فروع الكافي، ج ٣، ص ٣٢٣.

ثم قال في الثالثة: «أسألك بحقّ حبيبك محمّد لمّا غفرت الكثير من ذنوبي والقليل، وقبلت منّي العمل اليسير».

ثم قال في الرابعة: «أسألك بحق حبيبك محمّدﷺ لمّا أدخلتني الجنّة، وجعلتني من سكّانها، ولمّا نجّيتني من سفعات النار[١] برحمتك، وصلّى الله على محمّد وآله...»[٢].

حجّه: كان الإمام أبوجعفرعليه السلام إذا حجّ البيت الحرام انقطع إلى الله وأناب إليه، وظهرت عليه آثار الخشوع والطاعة.

قال مولاه أفلح: حججتُ مع أبي جعفر محمّد الباقرعليه السلام، فلمّا دخل إلى المسجد رفع صوته بالبكاء، فقلت له: بأبي أنت وأمّي، إنّ الناس ينتظرونك فلو خفضت صوتك قليلاً، فلم يعتنِ الإمام وقال له:

«ويحك يا أفلح! إنّي أرفع صوتي بالبكاء؛ لعلّ الله ينظر إليّ برحمة فأفوز بها غداً...»

ثم إنّه طاف بالبيت، وجاء حتى ركع خلف المقام، فلمّا فرغ وإذا بموضع سجوده قد ابتلّ من دموع عينيه[٣].

مناجاته مع الله

كان الإمامعليه السلام يناجي الله تعالى في ظلام الليل وكان ممّا يقوله في مناجاته:

«أمرتني فلم أئتمر، وزجرتني فلم أنزجر، ها أنذا عبدك بين يديك»[٤].

لقد كان دائم الذكر لله، وكان لسانه يلهج بذكر الله في أكثر أوقاته، فكان يمشي

---

١. سفعات النار هي لفحات السعير الّتي تغيّر بشرة الإنسان لشدّة حرارتها.
٢. فروع الكافي ج ٣، ص ٣٢٢.
٣. صفة الصفوة، ج ٢، ص ٦٣.
٤. حلية الأولياء، ج ٣، ص ١٨٢.

ويذكر الله، ويحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكره تعالى، وكان يجمع ولده ويأمرهم بذكر الله حتى تطلع الشمس، كما كان يأمرهم بقراءة القرآن، ومن لا يقرأ منهم أمره بذكر الله[١].

زهده في الدنيا

وزهد الإمام أبوجعفر عليه السلام في جميع مباهج الحياة، وأعرض عن زينتها فلم يتّخذ الرياش في داره، وإنّما كان يفرش في مجلسه حصيراً[٢].

قال جابربن يزيد الجعفي: قال لي محمّدبن علي: «يا جابر إنّي لمحزون، وإنّي لمشتغل القلب...». فقال له جابر: ما حزنك؟ وما شغل قلبك؟ فأجابه عليه السلام:

«يا جابر! إنّه من دخل قلبه صافي دين الله عزّوجلّ شغله عمّا سواه، يا جابر، ما الدنيا؟ وما عسى أن تكون؟ هل هي إلّا مركب ركبته؟ أو ثوب لبسته؟ أو امرأة أصبتها...؟»[٣]

---

١. في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام، ج ٤، ص ٦.

٢. دعائم الإسلام، ج ٢، ص ١٥٨.

٣. البداية والنهاية، ج ٩، ص ٣١٠.

الدرس ٣٣

من تراث الإمام محمّد الباقر عليه السلام

١. من وصيّته عليه السلام لجابرِ بن يزيدِ الجُعفي[1]

«...أُوصيكَ بِخَمْسٍ: إن ظُلِمتَ فلا تَظْلِم، وإنْ خانُوكَ فلا تَـخُن، وإنْ كُذِّبتَ فلا تَغْضَب، وإن مُدِحتَ فلا تَفْرَح، وإن ذُمِمْتَ فلا تَجْزَعْ.

وَفكِّر فيما قيلَ فيكَ، فإن عرفتَ مِن نفسِك ما قيلَ فيكَ فَسُقُوطُك مِنْ عَيْنِ اللهِ جَلَّ وَعزَّ عند غَضَبِك مِنَ الحَقِّ أعظمُ عليكَ مُصيبَةً ممّا خِفْتَ مِن سُقُوطِكَ مِنْ أعينِ النّاس، وإنْ كُنْتَ عَلىٰ خِلافِ ما قيلَ فيكَ فَثَوابٌ اكْتَسَبْتَهُ مِنْ غَيْر أنْ يَتْعَبَ بَدَنُكَ.

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لا تَكُونُ لَنا وَليّاً حَتّى لَو اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أَهْلُ مِصرِكَ وقالوا: إنّكَ رَجلُ سَوْءٍ لم يَحزُنْك ذلكَ، ولَوْ قالوا: إنَّك رَجُلٌ صالِحٌ لَم يَسُرَّكَ ذلك. وَلٰكِنِ اعْرِضْ نَفْسَكَ عَلىٰ كِتابِ اللهِ، فإنْ كنتَ سالِكاً سبيلَه، زاهِداً في

---

١. الجُعفي من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام وخدم الإمام أباجعفر عليه السلام سنين متوالية. مات رحمه الله في أيّام الصادق عليه السلام سنة ثمان وعشرين ومائة.

تَزهيدِه، راغِباً في تَرْغيبه، خائفاً من تَـخْويفِه فَـاثْبُتْ وَأَبْشِـرْ؛ فَـإنّه لا يَضُرُّكَ ما قيلَ فيكَ. وإنْ كُنْتَ مُبائِناً لِلقُرْآنِ فَماذا الَّذِي يَغُرُّكَ مِنْ نَفْسِكَ؟!

إنَّ المؤمنَ مَعنِيٌّ بمجاهَدَةِ نَفْسِه لِيَغْلِبَها عَـلىٰ هَـواهـا، فَـمَرَّ ةً يُـقيمُ أَوَدَها[١] وَيُخالِفُ هَوٰاها في مَحَبَّةِ اللهِ، ومَرَّةً تَصْرَعُهُ نَفْسُهُ فَيتَّبِعُ هَواهـا فَيَنْعَشُهُ اللهُ[٢] فَيَنْتَعِشُ، وَيُقيلُ اللهُ عَـثْرَتَه، فَـيَتَذَكَّـرُ وَيَـفْزَعُ إلَـى التَّـوبةِ والَمخافَةِ فيزداد بَصيرةً ومعرفةً لما زيد فيه مـن الخـوف، وذلك بأنَّ الله يَقُولُ: ﴿إنَّ الّذينَ اتّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طٰائِفٌ مِنَ الشَّـيْطانِ تَـذَكَّـروُا فَـإذا هـم مُبْصِروُنَ﴾[٣].

يا جابِرُ استَكثِرْ لِنَفْسِكَ مِنَ الله قليلَ الرِّزق تَخَلّصاً إلى الشُّكر، وَاستَقلِلْ مِنْ نَفْسِكَ كَثِيرَ الطّاعَةِ للهِ إزْراءً عَلَى النَّفْسِ[٤] وَتَعَرُّضاً لِلعَفْوِ.

وَادْفَع عَنْ نَفْسِكَ حاضِرَ الشَّرِّ بحاضرِ العلمِ، وَاسْتَعْمِلْ حـاضِرَ العِـلْم بِخالِص العَمل، وتَحَرَّز في خالِصِ العملِ من عظيم الغَفلةَ بِشدَّة التـيَقُّظ، وَاسْتَجْلِبْ شِدَّةَ التيَقظِ بصدق الخَوْفِ ....، وَتَوَقَّ مُـجْازَفَةَ الهَـوىٰ بـدَلالَةِ العَقْلِ[٥]، وَقِفْ عِندَ غَلَبَةِ الهَوىٰ باسْتِرشادِ العِلْمِ.

وَاسْتَبِقْ خالِصَ الأَعْمالِ ليَومِ الجَزاءِ، وَانْـزِلْ سـاحَةَ القَـناعَة بِـاتُّقٰاءِ

---

١. الأَوَد: العوج.

٢. نعشه الله: رفعه وأقامه وتداركه من هلكة وسقطة. وينعش أي ينهض، وينشط.

٣. الأعراف: ٢٠١.

٤. أزرى على النفس، عابها وعاتبها. ويحتمل أن يكـون: ازدراءً ـ مـن بـاب الافـتعال ـ أي احتقاراً واستخفافاً.

٥. جازف في كلامه: تكلّم بدون تبصّر وبلا رويّة. وجازف في البيع: بايعه بلاكيل ولا وزن ولا عدد، وجازف بنفسه: خاطر بها.

الحِرْصِ، وادْفَعْ عَظيمَ الحِرْصِ بِإيثارِ القَناعَةِ، وَاسْتَجْلِبْ حَلاوَةَ الزَّهادَةِ بقَصْرِ الأمَلِ، وَاقْطَع أسْبابَ الطَّمَعِ بِبَرْدِ اليَأسِ.

وَسُدَّ سَبيلَ العُجْبِ بمَعْرِفَةِ النَّفْسِ، وَتَخَلَّصْ إلى راحَةِ النَّفْس بصِحَّةِ التَّفْوِيضِ، وَاطْلُبْ راحَةَ البَدَنِ بِإجْمام القَلْب[١]، وَتَخَلَّصْ إلى إجمامِ القَلْبِ بِدَوامِ الحُزْنِ، وتَعَرَّضْ لِرِقَّةِ القَلْبِ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ في الخَلَواتِ، وَاسْتَجْلِبْ نُورَ القَلْبِ بِدَوامِ الحُزْنِ.

وَتَحَرَّز مِن إبليسَ بِالخَوفِ الصّادِق، وإيّاكَ وَالرَّجاءَ الكاذِبَ؛ فإنّه يُوقِعُكَ في الخوف الصّادِقِ، وتَزَيَّن للهِ عَزَّوجَلَّ بِالصِّدْقِ في الأعْمالِ، وَتَحَبَّبْ إليْهِ بِتَعْجِيلِ الانْتِقالِ، وإيّاكَ والتَّسويفَ؛ فَإنَّهُ بَحْرٌ يَغْرَقُ فيهِ الهَلْكىٰ، وإيّاكَ وَالغَفلةَ، [فـ] فيها تَكُونُ قَساوَةُ القَلْبِ.

وَإيّاكَ والتَّوانيَ فيما لا عُذْرَ لَكَ فيه؛ فَإليه يَلْجَأُ النّادِمُونَ، وَاسْتَرْجِعْ سالِفَ الذُّنوبِ بِشِدَّةِ النَّدَمِ وكَثْرَةِ الإسْتِغفارِ، وَتَعَرَّضْ لِلرَّحْمَةِ وَعَفْوِ اللهِ بِحُسْنِ المُراجَعَة، وَاسْتَعِن علىٰ حُسْنِ المُراجَعَةِ بخالِصِ الدُّعاءِ وَالمُناجاةِ في الظُّلَمِ.

وَتَخَلَّصْ إلىٰ عَظِيمِ الشُّكْرِ بِاسْتِكْثارِ قَليلِ الرِّزقِ واسْتِقلالِ كثيرِ الطاعَةِ، واسْتَجْلِبْ زِيادَةَ النِّعَمِ بعَظِيمِ الشُّكْرِ، وإلىٰ عظيمِ الشُّكْرِ بِخَوْفِ زوالِ النِّعَمِ.

واطْلُبْ بَقاءَ العِزِّ بإماتَةِ الطَّمَعِ، وَادْفَعْ ذُلَّ الطَّمَعِ بِعِزِّ اليَأسِ، واسْتَجْلِبْ عِزَّ اليَأْسِ بِبُعْد الهِمَّةِ، وتَزَوَّدْ مِنَ الدُّنيا بقَصْرِ الأمَلِ، وبادِر بِانْتِهازِ البُغْيَةِ[٢]

---

١. الجمام ـ بالفتح ـ: الراحة. وأجمّ نفسه أي تركها.

٢. البغية: مصدر بغى الشي، أي طلبه، وانتهاز البغية: اغتنامها والنهوض اليها مبادراً.

عِنْدَ إمْكانِ الفُرْصَةِ، ولا إمكانَ كالأيّامِ الخاليةِ مَعَ صِحَّةِ الأبْدانِ.

وإيّاكَ وَالثقةَ بِغيرِ المأمُونِ؛ فَإنَّ لِلشَّرِّ ضَراوَةً كَضَراوَةِ الغِذاءِ[١].

وَاعْلَم أنَّه لا عِلْمَ كَطَلَبِ السَّلامَةِ، وَلا سلامَةَ كَسَلامَةِ القَلْبِ، ولا عقلَ كمُخالَفَةِ الهَوىٰ، ولا خوفَ كخوفٍ حاجِزٍ، ولا رَجاءَ كرَجاءٍ مُعينٍ، ولا فَقْرَ كَفَقْرِ القَلبِ، ولا غِنىٰ كَغِنَى النَّفْسِ، ولا قُوَّةَ كغَلَبَةِ الهَوىٰ، ولا نُورَ كَنُورِ اليَقينِ، ولا يَقينَ كاسْتِصْغارِكَ الدُّنيا، ولا معرِفَةَ كَمَعْرِفَتِكَ بِنَفْسِكَ، ولا نِعْمَةَ كالعافِيَةِ، ولا عافِيَة كَمُساعَدَةِ التَّوْفيقِ، وَلا شَرَفَ كبُعْدِ الهِمّةِ، ولا زُهْدَ كَقَصْرِ الأمَلِ، ولا حِرْصَ كالمُنافَسَةِ[٢] في الدَّرَجاتِ، ولا عَدلَ كالإنْصافِ.

ولا تَعَدِّيَ كَالجَوْرِ، ولا جَوْرَ كَمُوافَقَةِ الهَوىٰ.

ولا طاعَةَ كأداءِ الفَرائِضِ، ولا خَوْفَ كالحُزْنِ.

ولا مُصيبَةَ كَعَدَمِ العَقْلِ، ولا عَدَمَ عَقْلٍ كَقِلَّةِ اليَقينِ، ولا قلّةَ يَقينٍ كَفَقْدِ الخَوْفِ، ولا فَقْدَ خوفٍ كَقِلَّةِ الحُزْنِ علىٰ فَقْدِ الخَوْف، ولا مُصيبةَ كاسْتِهانَتِكَ بِالذَّنْبِ ورِضاكَ بِالحالَةِ الَّتي أنْتَ عَلَيها. ولا فَضيلة كالجِهادِ، ولا جِهادَ كَمُجاهَدَةِ الهوىٰ، ولا قوّةَ كَرَدِّ الغَضَبِ.

ولا مَعْصِيَةَ كحُبِّ البَقاءِ[٣]، ولا ذُلَّ كالطَّمع، وإيّاكَ وَالتَّفْريطَ عِنْدَ إمْكانِ الفُرْصَةِ؛ فَإنَّهُ مَيدانٌ يَجْري لأَهْلِهِ بالخُسْرانِ»[٤].

---

١. الضراوة: مصدر ضرى بالشيء أي لهج به وتعوّده وأولع به.

٢. المنافسة: المفاخرة.

٣. أي البقاء في هذه الدنيا الدنيّة.

٤. انظر تحف العقول، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦.

من غرر حكمه

١ . «الكمالُ كُلُّ الكمال: التَّفقّهُ في الدين، والصَّبر على النّائبة، وتقديرُ المعيشة».

٢ . «ثلاثةٌ من مكارم الدّنيا والآخرة: أن تعفو عمّن ظلمكَ. وتصِل من قطعكَ، وتحلُم إذا جُهِلَ عليك».

٣ . «أفضل العبادة عِفّة البطن والفرج»[١].

٤ . «لا يكون العبد عالماً حتى لا يكون حاسِداً لمن فوقه، ولا محقِّراً لمن دونه».

٥ . «ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلّا بالتواضع، والتخشُّع، وأداء الأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبرِّ بالوالدين، وتعهّد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارِمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفِّ الألسن عن النّاس إلّا من خَيرٍ، وكانوا أُمناء عشائِرهم في الأشياء».

٦ . «صانِع المُنافق بلسانِكَ، وأخلص مودَّتك للمؤمن، وإن جالسك يهوديّ فأحسِن مجالسَتَهُ».

٧ . وقال يوماً رجل عنده: اللهمَّ أغنِنا عن جميع خلقِك، فقال أبوجعفر عليه السلام: «لا تقلْ هكذا، ولكن قل: اللهمَّ أغنِنا عن شِرار خلقِك؛ فإنَّ المؤمن لا يستغني عن أخيه».

٨ . وقال عليه السلام : «قُم بالحقِّ واعتزل ما لايعنيك، وتجنَّب عدوّك، واحذر

---

١. انظر قصار كلماته في تحف العقول، ص ٢٩٢ ـ ٣٠٠.

صديقَك من الأقوام إلّا الأمين من خَشيَ الله. ولا تصحب الفاجِر، ولا تطلعه على سِرِّك، واستشر في أمرِك الّذين يخشونَ الله».

٩ . «إن استطعتَ أن لا تُعامِل أحداً إلّا ولك الفضلُ عليه فافعل».

١٠ . «إنَّ الله كرِهَ إلحاحَ النّاس بعضهم على بعضٍ في المسألة؛ وأحبَّ ذلك لنفسه. إنَّ الله ـ جلَّ ذِكرُهُ ـ يُحِبُّ أن يُسأل ويطلب ما عنده».

١١ . «مَنْ لم يجعل الله له من نفسه واعِظاً فإنَّ مواعِظ الناس لن تُغني عنه شيئاً».

١٢ . الظلم ثلاثةٌ: ظلمٌ لا يَغفِرهُ الله، وظلمٌ يغفِرهُ الله، وظلمٌ لا يَدَعه الله. فأمّا الظّلم الذي لا يغفره الله فالشرك بالله. وأمّا الظلمُ الذي يغفره الله فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله. وأمّا الظلم الذي لا يدعهُ الله فالمداينة بين العباد»[1].

---

١. المداينة من الدين، أي ظلم العباد عند المعاملة.

الخلاصة:

* لقد اهتمّ الإمام الباقر عليه السلام ببناء الجماعة الصالحة التي تستطيع أن تحمل لواء الإسلام عن علم ودراية ومعرفة. ومن هنا نجد أنّ وصايا الإمام عليه السلام لكبار صحابته مثل جابربن يزيد الجعفي وغيره تتضمّن التأكيد على بناء الذات وكيفيّته ، والتأكيد على أنّ ولاية أهل البيت عليهم السلام تتضمّن مسؤولية كبرى تتلخّص في: عدم الاهتمام بظواهر الأمور، وعدم الاغترار بمدح الناس أو ذمّهم، والمضيّ في مجاهدة النفس باستمرار، والحركة على أساس القرآن الكريم، واستقلال كثير الطاعة، واستكثار قليل الرزق، والاهتمام بالعلم والعمل الصالح معاً، والتحرّز عن عظيم الغفلة بشدّة التيقّظ. واتّقاء خطر الهوىٰ بدلالة العقل، والوقوف عند غلبة الهوىٰ باسترشاد العلم، واستجلاب حلاوة الزهد بقصر الأمل ، وسدّ سبيل العجب بمعرفة النفس، إلى غيرها من الوصايا الثمينة التي لا نجد مثيلاً لها عند غير أهل البيت عليهم السلام.

الأسئلة:

١ . كيف يقيس المؤمن ولاءه لأهل البيت عليهم السلام وأعماله؟

٢ . ما هو مقياس الغنى والفقر في ضوء كلام الإمام عليه السلام ؟

٣ . اذكر نصائح وتوجيهات الإمام الباقر عليه السلام لبناء شخصية المسلم.

٤ . ما هي أهمّ نصائح الإمام عليه السلام الموجّهة للجماعة الصالحة؟

٥ . كيف يستطيع الإنسان أن يتحرّر من عبودية الملاذّ المادّية؟

الدرس ٣٤

الإمام جعفر الصادقعليه السلام: نشأته ومراحل حياته

الأُسرة الكريمة:

لقد نشأ الإمام الصادقعليه السلام في أجلّ وأسمى أُسرة في دنيا العرب والإسلام، تلك الأُسرة التي أنجبت خاتم النبيين وسيّد المرسلين محمّدصلى الله عليه وآله، كما أنجبت الأئمة العظامعليهم السلام العلماء بالله الأُمناء على حلاله وحرامه. وهي على امتداد التأريخ كانت وما تزال مهوىٰ أفئدة المسلمين.

من هذه الأُسرة التي أغناها الله بفضله، وحبَّبها في قلوب المسلمين، تفرّع عملاق هذه الأُمة، ومؤسس نهضتها الفكرّية والعلميّة الإمام الصادقعليه السلام، وقد ورث من عظماء أُسرته جميع خصالهم الحميدة ومكارم أخلاقهم السامية.

الأب الزكّي: هو الإمام محمّد الباقرعليه السلام، سيد الناس لا في عصره فحسب، وإنّما في جميع العصور على امتداد التأريخ علماً وفضلاً وتقوى. ولم يظهر من أحد في ولد الإمامين الحسن والحسينعليهما السلام من علم الدين،

والسنن، وعلم القرآن والسير، وفنون الأدب والبلاغة مثل ما ظهر منه[١].

لقد فجّر هذا الإمام العظيم ينابيع العلم والحكمة في الأرض، وساهم مساهمة فعّالة في تطوير العقل البشري بما نشره من العلوم.

والأمّ الكريمة: هي السيّدة المهذّبة الزكية أُم فروة بنت الفقيه القاسم محمّد بن أبي بكر[٢]، وكانت من سيّدات النساء عفّة وشرفاً وفضلاً؛ فقد تربّت في بيت أبيها، كما تلقّت الفقه والمعارف الإسلامية من زوجها الإمام الأعظم محمّد الباقر عليه السلام. وكانت مرجعاً للسيّدات من نساء عصرها في مهام أُمورهن الدينية، وحسبها فخراً وشرفاً أنّها صارت أُمّاً لأعظم إمام من أئمة المسلمين.

ولادة النور

ولم تمضِ فترة طويلة من زواج السيّدة أُم فروة بالإمام محمّد الباقر عليه السلام حتى حملت، ولمّا أشرقت الأرض بالمولود المبارك سارعت القابلة لتزفّ البشرىٰ إلى أبيه فلم تجده وإنّما وجدت جدّه الإمام زين العابدين عليه السلام، فهنّأته بالمولود الجديد الذي سيجدّد معالم الدين، ويُحيي سنّة جدّه سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، وأخبرته القابلة بأن له عينين زرقاوين جميلتين، فتبسّم

---

١. الفصول المهمة، ص ١٩٢.

٢. صفة الصفوة، ج ٢، ص ٢٤٩ والمعارف، ص ١٧٥. القاسم بن محمّد بن أبي بكر من الفقهاء الأجلّاء، كان عمر بن عبد العزيز يجلّه كثيراً، وقد قال: لو كان لي من الأمر شيء لولّيت القاسم بن محمّد الخلافة. وقد عمّر طويلاً وذهب بصره في آخر عمره. ولمّا احتضر قال لابنه: سن عليّ التراب سّناً ـ أي ضعه عليّ سهلاً ـ وسوّي عليّ قبري، والحق بأهلك، وإيّاك أن تقول: كان أبي. وكانت وفاته بمكان يقال له قديد، وهو اسم موضع يقع ما بين مكّة والمدينة. أنظر صفة الصفوة، ج ٢، ص ٤٩ ـ ٥٠، والمعارف، ٥٤، ومعجم البلدان، ج ٧، ٣٨.

الإمام عليه السلام وقال: إنّه يشبه عيني والدتي[١]. وبادر الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الحجرة فتناول حفيده وقبّله، وأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية، فأذّن في اذنه اليمنى، وأقام في اليسرىٰ.

تسميته

وسمّي بـ(جعفر)، ونصّ جملة من المؤرخين على أنّ النبي صلى الله عليه وآله هو الذي كان قد سمّاه بهذا الاسم، ولقّبه بالصادق. ولُقّب بألقاب عديدة يمثّل كلّ منها مظهراً من مظاهر شخصيته وهي:

١ . الصادق: لقّبه بذلك جدّه الرسول صلى الله عليه وآله ؛ لأنّه أصدق إنسان في حديثه وكلامه[٢]. وقيل: إنّ المنصور ـ الدوانيقي الذي هو من ألدّ أعدائه ـ هو الذي أضفىٰ عليه هذا اللقب. والسبب في ذلك أنّ أبامسلم الخراساني طلب من الإمام الصادق عليه السلام أن يدلّه على قبر جدّه الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام فامتنع، وأخبره أنّه إنّما يظهر القبر الشريف في أيّام رجل هاشمي يُقال له أبوجعفر المنصور، وأخبر أبومسلم المنصور بذلك في أيّام حكومته وهو في الرصافة ببغداد، ففرح بذلك وقال: هذا هو الصادق[٣].

٢ . الصابر[٤]: لقّب بذلك لأنّه صبر على المحن الشاقّة والخطوب المريرة التي تجرّعها من خصومه الأُمويين والعباسيين.

---

١. الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، ص ٧٢.

٢. الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم (ليوسف بن حاتم الشامي)، ص ٦٢٨. وقال السمعاني في أنسابه، ج ٣، ص ٥٠٧، الصادق لقب لجعفر الصادق لصدقه في مقاله.

٣. موسوعة الإمام الصادق، ج ١، ص ١٦.

٤. مرآة الزمان، ج ٥، الورقة ١٦٦ من منشورات مكتبة الإمام أميرالمؤمنين.

٣ . الفاضل:[١] **لقّب بذلك لأنّه كان أفضل أهل زمانه وأعلمهم، لا في شؤون الشريعة فحسب، وإنّما في جميع العلوم، فهو الفاضل وغيره المفضول.**

٤ . الطاهر[٢]**: سمّي بذلك لأنّه أطهر إنسان في عمله وسلوكه.**

٥ . عمود الشرف[٣]**: لقد كان الإمامعليه السلام عمود الشرف، وعنوان الفخر والمجد لجميع المسلمين.**

٦ . القائم[٤]**: إذ كان قائماً بإحياء دين الله، والذبّ عن شريعة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله.**

٧ . الكافل[٥]**: للفقراء والأيتام والمحرومين، فقد قام بالإنفاق عليهم وإعالتهم.**

٨ . المنجي[٦]**: من الضلالة، فقد هدىٰ من التجأ إليه، وأنقذ من اتّصل به.**

وكُنّي الإمام الصادقعليه السلام بأبي عبدالله وأبي إسماعيل وأبي موسى[٧]**.**

أوصافه

كان رَبْع القامة، أزهر الوجه، حالك الشعر[٨]**، جعد**[٩]**، أشم الأنف، أنزع**[١٠]**، رقيق البشرة، له خال أسود**[١١]**.**

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

٣. سرّ السلسلة العلويّة، ص ٣٤.

٤. مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٢٨١.

٥. مناقب آل ابي طالب، ج ٤، ص ٢٨١.

٦. المصدر نفسه.

٧. المصدر نفسه.

٨. حالك الشعر: أي شديد السواد.

٩. جعد، من صفات الشعر، إذا كان فيه التواء وقبض.

١٠. الأنزع هو الّذي انحسر شعره عن جانبي جبهته.

١١. الخال: شامة في البدن، ويغلب على شامة الخدّ.

تاريخ ولادته

اختلف المؤرّخون في السنة التي وُلد فيها الإمام الصادقعليه السلام، فمن قائل: إنّه وُلد بالمدينة المنوّرة سنة ٨٠هـ[١]، وقال آخرون: إنّه وُلد سنة ٨٣ هـ يوم الجمعة، وقال ثالث: الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأوّل[٢]، وقال رابع: إنّه وُلد سنة ٨٦ هـ[٣]. وأمّا وفاته فقد كانت في ٢٥ شوال سنة ١٤٨ هـ.

ذكاؤه المبكّر

كان الإمام الصادقعليه السلام آية من آيات الذكاء؛ إذ كان يحضر دروس أبيه وهو صبي يافع لم يتجاوز عمره الثلاث سنين، وقد فاق بتلقيه لدروس أبيه جميع تلاميذه من كبار العلماء والرواة، ولم تكن بحوثه تقتصر على الفقه، والحديث، وتفسير القرآن الكريم، وإنّما شملت جميع أنواع العلوم من الفلسفة والطب والكيمياء والنجوم وغيرها، وقد ألمَّ الإمام الصادقعليه السلام بها جميعاً.

---

١. تاريخ ابن‌الوردي، ج ١، ٢٦٦، الاتحاف بحب الاشراف، ص ٥٤، وسر السلسلة العلوية (لأبي نصر البخاري)، ص ٣٤ وينابيع المودة، ص ٤٥٧ وتذكرة الحفّاظ، ج ١، ١٥٧ ونور الأبصار (للشبلنجي)، ص ١٣٢، ووفيات الأعيان، ج ١، ١٩١.

٢. أصول الكافي، ج ١، ص ٤٧٢ ومناقب آل أبي‌طالب، ج ٤، ٢٨٠ وإعلام الورى، ص ٢٧١ وجاء فيه أنّه ولد بالمدينة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول.

٣. مناقب آل أبي‌طالب، ج ٤، ص ٢٠٨.

الخلاصة:

* ولد الإمام الصادق عليه السلام في عهد جدّه علي بن الحسين عليه السلام ولم تزل آثار معركة الطفّ واستشهاد أبي عبدالله عليه السلام تُلقي بظلالها على واقع الأُمّة الإسلامية، فكانت نقمة الجماهير الإسلامية تتّسع وتزداد علىٰ بني أُمية. فترعرع في بيت النبوّة ومنبت الإمامة ، وحظىٰ بعنايه جدّه وأهل بيته عليهم السلام .

* تفوّق الإمام الصادق عليه السلام بذكائه وفطنته علىٰ أقرانه منذ نعومة أظفاره ، وتنبّه لذلك كلّ مَنْ عاصره، وأخذ العلوم والمعارف من جدّه وأبيه عليه السلام ، ثم أضاف إليها وصنّفها وسعىٰ في انتشارها لايبخل على أحد بالنصيحة والتعليم. حتىٰ ارتوىٰ من نمير علمه أئمة المذاهب الإسلامية .

الأسئلة:

١ . لماذا لقّب الإمام جعفربن محمّد عليه السلام بالصادق ؟ ومن الذي لقّبه بذلك؟

٢ . من هي أمّ الإمام الصادق عليه السلام ؟

٣ . اذكر تأريخ ولادة الامام عليه السلام واستشهاده.

٤ . تكلّم بإختصار عن مواهب الإمام عليه السلام العلميّة.

المطالعة

ممّا يدلّ على ذكاء الإمام الصادق عليه السلام ما نقله الرواة من أنّ الوليدبن عبد الملك أمر عامله على المدينة عمربن عبدالعزيز بتوسعة المسجد النبوي، فأنجز عمر قسماً كبيراً منه، وأعلمه بذلك، وسافر الوليد إلى يثرب ليطّلع بنفسه على ما أنجزه عمر من أعمال التعمير والتوسيع، وقد استقبله عمر من مسافة خمسين فرسخاً، وأعدّ له استقبالاً رسميّاً، وخرجت أهالي يثرب بجميع طبقاتها لاستقباله والترحيب به، وبعدما انتهى إلى يثرب دخل إلى الجامع النبوي ليشاهد ما أُنجز من أعمال التعمير، وقد رأى الإمام الباقر عليه السلام على المنبر، وهو يلقي محاضرة على تلاميذه فسلّم عليه، فرد الإمام عليه السلام، وتوقّف عن التدريس تكريماً له. فأصرّ عليه الوليد أن يستمرّ في تدريسه، فأجابه إلى ذلك، وكان موضوع الدرس علم (الجغرافية) فاستمع الوليد، وبهر من ذلك، فسأل الإمام: ما هذا العلم؟ فأجابه الإمام عليه السلام: «إنّه علم يتحدّث عن الأرض والسماء، والشمس والنجوم».

ووقع نظر الوليد على الإمام الصادق، فسأل عمربن عبد العزيز: من يكون هذا الصبي بين الرجال؟

فقال عمر: إنّه جعفربن محمّد الباقر.

فسأله الوليد: هل هو قادر على فهم الدرس واستيعابه؟

فعرّفه عمر بقدراته العلميّة قائلاً: إنّه أذكى مَنْ يحضر درس الإمام وأكثرهم سؤالاً ونقاشاً.

وبهر الوليد، فاستدعاه، فلمّا مَثُل أمامه سأله: ما اسمك؟

فأجابه بطلاقة قائلاً: «اسمي جعفر».

وأراد الوليد امتحانه، فقال له: أتعلم من كان صاحب المنطق؟

فأجابه: «كان أرسطو ملقّباً بصاحب المنطق، لقّبه إيّاه تلامذته وأتباعه...».

ووجّه الوليد إليه سؤالاً ثانياً قائلاً: من صاحب المعز؟

فأنكر عليه الإمام ذلك، وقال: «ليس هذا اسماً لأحد، ولكنّه اسم لمجموعة من النجوم، وتسمّىٰ ذو الأعنة...»[١].

واستولت الحيرة والذهول على الوليد، فلم يدرِ ما يقول، وتأمّل كثيراً ليستحضر مسألة أُخرىٰ يسأل بها سليل النبوّة، وحضر في ذهنه السؤال الآتي، فقال له: هل تعلم من صاحب السواك؟

فأجابهعليه السلام: «هو لقب عبدالله بن مسعود، صاحب جدّي رسول اللهصلى الله عليه وآله».

ولم يستحضر الوليد مسألة يسأل بها الإمام، ووجد نفسه عاجزاً أمام هذا العملاق العظيم، فراح يبدي إكباره وإعجابه بالإمام، ويرحّب به، وأمسك بيده، ودنا من الإمام الباقرعليه السلام، يهنّئه بولده قائلاً: إنّ ولدك هذا سيكون علّامة عصره[٢].

نعم أصبح الإمام الصادقعليه السلام أعلم علماء أهل عصره على الإطلاق، بل أعلم علماء الدنيا، وهذه الظاهرة التي اتّصف بها سليل النبوّة في حال طفولته تدلّ علىٰ أنّ الله تعالى منح أئمة أهل البيتعليهم السلام العلم والحكمة في جميع أدوار حياتهم كما منح ذلك رسله عليهم السلام ؛ إذ من غير الممكن للطفل ـ بحسب تكوينه السيكولوجي ـ أن تكون له مثل هذه القدرات العلمية الجبّارة، وإن اتّصف بالذكاء الحاد.

---

١. هذه المجموعة من النجوم تسمّى في اصطلاح العلم الحديث «أوريكا» أو «أريجا».

٢. الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، ص ١٠٨ ـ ١١٢.

الدرس ٣٥

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

مراحل حياته

ولد الإمام الصادق عليه السلام في فترة ازدهار الدولة الأُموية، التي ابتعدت بالخلافة عن طريقها الحقّ. وعاصر جدّه اثنتي عشرة سنة في المدينة، كما عاش مع أبيه بعد جدّه تسع عشرة سنة، نهل خلالها جميع العلوم والمعارف من أبيه عليه السلام.

وقد فاق الجميع بسعة إدراكه وشدّة ذكائه، وشارك أباه محنة الصبر على تولّي الظالمين والتعرّض للبلاء، كما ساهم مع أبيه في نشر العلوم الإسلامية من خلال حلقات الدرس التي أسّسها في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله؛ لكي لا تضيع الرسالة وتندرس معالم الدين.

وتمكّن من أن يواصل خلال مدّة إمامته ـ التي استمرّت أربعاً وثلاثين سنة ـ تربية أجيال عديدة من العلماء والفقهاء الصالحين ممّن يتبع نهج أهل البيت عليهم السلام.

كما عاصر الإمام الصادق‰ أيضاً مرحلة انحطاط الدولة الأُموية وأُفولها. وعاصر كذلك ظهور الدولة العباسية التي استمرت في ممارسة الظلم ضد أهل البيت‰ والتعدّي عليهم.

وتمكّن الإمام الصادق‰ ـ في هذه الفترة الحرجة من المعترك السياسي المرير ـ أن يحافظ على كيان الخطّ الشيعي، ويضمن سلامة وتنمية الجماعة الصالحة التي عمل على تكوينها آباؤه الطاهرون‰.

وتوفّي الإمام الصادق‰ بعد عشر سنوات من ملك أبي جعفر المنصور، ودفن في البقيع مع أبيه الباقر وجدّه السجّاد وعمّه الحسن المجتبى‰.(١)

انطباعات عن شخصية الإمام جعفر بن محمّد الصادق‰

١ . سأل رجل أبا حنيفة: ما تقول في رجل وقف ماله للإمام، فمن يكون المستحق؟ قال: المستحق جعفر الصادق؛ لأنّه إمام الحق(٢).

٢ . قال مالك بن أنس ـ إمام المذهب المالكي ـ: ما رأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر، أفضل من جعفر بن محمّد الصادق علماً وعبادة وورعاً(٣). كان من عظماء العبّاد، وأكابر الزهّاد، الذين يخشون الله عزّوجلّ(٤).

---

١. الإرشاد، ج ٢، ص ١٨٠ وإعلام الورى، ج ١، ص ٥١٤.
٢. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ج ٥، ص ٦٨.
٣. المناقب، ج ٢، ص ٣٢٥ والإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ج ٤، ص ٩.
٤. الخصال، ص ١٦٧.

٣ . قال عمرو بن المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد علمت أنّه من سلالة النبيّين[١].

٤ . وقف أبو شاكر الديصاني ذات يوم على مجلس أبي عبدالله عليه السلام فقال له: إنّك لأحد النجوم الزواهر، وكان آباؤك بدوراً بواهر، وأُمّهاتك عقيلات عباهر، وعنصرك من أكرم العناصر، وإذا ذكر العلماء فعليك تُثنى الخناصر، فخبّرنا يا أيّها البحر الزاخر[٢].

٥ . قال عبدالله بن المقفّع: ترون هذا الخلق ـ وأومأ بيده إلى موضع الطواف ـ ما منهم أحد أُوجب له اسم الإنسانية إلّا ذلك الشيخ الجالس، يعني الصادق عليه السلام[٣].

٦ . قال المنصور العباسي لابن مهاجر: اعلم أنّه ليس من أهل بيت نبوّة إلّا فيه محدَّث، وأنّ جعفر بن محمّد محدّثنا اليوم[٤].

وقال أيضاً: إنّه ممّن اصطفاه الله، وكان من السابقين في الخيرات[٥].

وقال مخاطباً إيّاه: لا نزال من بحرك نغترف، وإليك نزدلف، تبصِّر من العمى، وتجلو بنورك الطخياء، فنحن نعوم في سحاب قدسك، وطامي بحرك[٦].

---

١. تهذيب التهذيب، ٢، ١٠٤، وصفة الصفوة، ٢، ٩٤، وكشف الغمة، ٢٣٢، والمناقب، ٢، ٣٢٦.
٢. كشف الغمة، ص ٢٣٠.
٣. الإمام الصادق (للمظفر)، ج ١، ص ٢٢٤، والإمام الصادق ملهم الكيمياء، ص ١٣٥.
٤. أصول الكافي، ج ١، ص ٤٧٥.
٥. الإمام الصادق والمذاهب الاربعة، ج ٥، ص ٧٩.
٦. أئمتنا، ج ١، ص ٤٨٣.

وقال أيضاً عنه: سيّد أهل البيت وعالمهم، وبقية الأخيار منهم[١].

وقال أيضاً: إنّه ممّن يريد الآخرة لا الدنيا[٢].

وقال لحاجبه الربيع: وهؤلاء من بني فاطمة لا يجهل حقّهم إلّا جاهل لاحظّ له في الشريعة[٣].

وقال أيضاً: هذا الشجا المعترض في حلقي من أعلم الناس في زمانه[٤].

وقال لإسماعيل‌بن علي‌بن عبدالله‌بن العباس: إنّ جعفراً كان ممّن قال الله فيه: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾، وكان ممّن اصطفى الله، وكان من السابقين في الخيرات[٥].

٧. قال كمال الدين محمّدبن طلحة الشافعي: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم عليهم السلام، ذو علوم جمّة، وأوراد متواصلة، وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة، يتّبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحر جواهره، ويستنتج عجايبه، ويقسّم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسبه نفسه، رؤيته تذكّر الآخرة، واستماع كلامه يزهّد في الدنيا، والاقتداء بهديه يورث الجنّة[٦].

٨. قال أبوالفتح محمّدبن عبد الكريم الشهرستاني: جعفربن محمّد الصادق، وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ

---

١. أشعّة من حياة الصادق، ج ٣، ص ٥٠.　　٢. كشف الغمة، ص ٢٤٠.
٣. مهج الدعوات، ص ١٩٨.　　٤. كشف الغمة، ص ٢٣٦.
٥. تأريخ اليعقوبي، ج ٣، ص ١١٧، والآية ٣٢ من سورة فاطر.
٦. مطالب السؤول، ج ٢، ص ٥٥.

في الدنيا، وورع تامّ عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدّة يفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين، له أسرار العلوم[1].

٩ . قال علي بن محمّد بن أحمد المالكي ـ المشهور بابن الصباغ ـ: كان من بين إخوته خليفة أبيه ووصيّه، والقائم بالإمامة من بعده. برز على جماعتهم بالفضل، وكان أنبههم ذكراً وأجلّهم قدراً.

نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره في سائر البلدان، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه من الحديث.

ثمّ قال: مناقب أبي عبدالله جعفر الصادق فاضلة، وصفاته في الشرف كاملة، وشرفه على جبهات الأيّام سائلة، وأندية المجدّ والعزّ بمفاخره ومآثره آهلة[2].

---

١. الملل والنحل بهامش الفصل في الملل (لابن حزم)، ج ١، ص ٢٢٤.

٢. الفصول المهمّة، ص ٢١٦.

الخلاصة:

* عاش الصادق عليه السلام في مدينة جدّه صلى الله عليه وآله ، ولم يشارك في الصراع السياسي وتغييرات موازين القوىٰ ؛ حيث كان لا يرىٰ ذلك صحيحاً في تلك المرحلة. ولذا انصبّت جهوده العظيمة علىٰ التعريف بالإسلام وإحيائه، وتربية الجماعة الصالحة وتوسيع وتجذير حضورها في أوساط المسلمين.
* لم يسلم الإمام الصادق عليه السلام من ظلم الحاكمين ، إذ تعرّض للمضايقات لمرّات عديدة ، وكان يعالج الموقف بحنكة وحكمة ، تمدّه في ذلك العناية الإلهية فتحفظه عن كلّ مكروه.
* أجمع كلّ معاصري الإمام الصادق من المؤرّخين والعلماء على فضله، وعظم شخصيته، وعمق أثره في الشريعة الإسلامية ، وجهوده العلمية الكبيرة في جميع العلوم والمعارف. ويكفي دليلاً على ذلك أنّ مذهب أهل البيت عليهم السلام سمّي بالمذهب الجعفريّ.

الأسئلة:

١ . ما هي أهمّ الجوانب الّتي أشار اليها معاصرو الإمام الصادق عليه السلام عنه ؟

٢ . اذكر أوجه الشبه بين الإمام الصادق عليه السلام وجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله .

٣ . ما هي انطباعات كلّ واحد من أئمة المذاهب الأربعة عن الإمام عليه السلام ؟

للمطالعة

معرفته بجميع اللغات

كان الإمامعليه السلام في سنّه المبكرة عارفاً بجميع لغات العالم؛ إذ كان يتكلّم مع أهل كلّ لغة كأنّه واحد منهم. ويؤيد ذلك:

أولاً: روىٰ أبوبصير قائلاً: كنت عند أبيعبداللهعليه السلام، وعنده رجل من أهل خراسان، وهو يكلّمه بلسان لا أفهمه[١]. وتلك اللغة التي كان يتحدّث بها مع الخراساني هي اللغة الفارسية.

ووفد عليه قوم من أهل خراسان، فقالعليه السلام لهم: «من جمع مالاً يحرسه عذّبه الله على مقداره». فقالوا له باللغة الفارسية: لا نفهم العربية. فقالعليه السلام لهم: «هر كه درم اندوزد جزايش دوزخ باشد»[٢].

ثانياً: روىٰ أبانبن تغلب قائلاً: غدوت من منزلي بالمدينة وأنا أُريد أبا عبدالله، فلمّا صرت بالباب وجدت قوماً عنده لم أعرفهم، ولم أرَ قوماً أحسن زيّاً منهم، ولا أحسن سيماءً منهم كأنّ الطير على رؤوسهم، فجعل أبوعبداللهعليه السلام يحدّثنا بحديث فخرجنا من عنده، وقد فهّم خمسة عشر نفراً، متفرّقي الألسن، منهم العربي، والفارسي، والنبطي، والحبشي، والصقلبي، فقال العربي: حدّثنا بالعربية، وقال الفارسي: حدّثنا بالفارسية، وقال الحبشي: حدثنا بالحبشية، وقال الصقلبي: حدّثنا بالصقلبية، وأخبرعليه السلام بعض أصحابه بأنّ الحديث واحد، وقد فسّره لكلّ قوم بلغتهم[٣].

ثالثاً: دار حديث بين الإمامعليه السلام وبين عمّار الساباطي باللغة النبطية فبهر عمّار

---

١. الاختصاص، ص ١٨٣.

٢. الإمام الصادق كما عرّفه علماء الغرب، ص ٤٦ ـ ٤٧.

٣. الإمام الصادق كما عرّفه علماء الغرب، ص ٤٦ ـ ٤٧.

وراح يقول: ما رأيت نبطياً أفصح منك بـالنبطية. فـقال عليه السلام له: «يـا عـمّار ويكـل لسان»[١].

هيبتــه ووقـاره

لقد كانت الوجوه تعنو لهيبة الإمام الصـادق عليه السلام ووقـاره، فـقد حـاكـى هـيبة الأنبياء عليهم السلام، وجلالة الأوصياء عليهم السلام، وما رآه أحد إلّا هابه ورأى سيماء الإمامة عليه، وقداسة الأولياء تحيط به. وكان ابن‌مسكان ـ وهو من خيار الشيعة وثقاتها ـ يسمع ما يحتاج إليه من أُمور دينه من أصحابه، ويأبى أن يدخل عليه[٢] ؛ لما كان يدخل عليه من هيبته.

---

١. الاختصاص، ص ٢٨٣ و٢٠٣.

٢. المصدر نفسه.

الدرس ٣٦

من فضائل الإمام الصادقعليه السلام ومظاهر شخصيته

١ـ سعة علمه

شَقَّ الإمام الصادقعليه السلام عُباب العلوم ببصيرته الثاقبة حتى ملأ الدنيا بعلومه، وهو القائل: «سلوني قبل أن تفقدوني فإنّه لا يحدّثكم أحدٌ بعدي بمثل حديثي».[1] ولم يقل أحد هذه الكلمة سوى جدّه الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام .

وأدلىعليه السلام بحديث أعرب فيه عن سعة علومه، إذ قالعليه السلام : «والله إنّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنّه في كفّي، فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، قال الله عزّوجلّ: فيه تبيان كلّ شيء»[2].

٢ـ كرمه وجوده

أ . دخل عليه المفضّل بن رمانة ـ وكان من ثقات أصحابه ورواته ـ فشكا إليه ضعف حاله وسأله الدعاء، فقالعليه السلام لجاريته: «هاتِ الكيس

---

١. تأريخ الإسلام (للذهبي)، ج ٦، ص ٤٥ وتذكرة الحفّاظ، ج ١، ص ١٥٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٥، ص ٧٩.

٢. أصول الكافي، ج ١، ص ٢٢٩.

الذي وصلنا به أبوجعفر» فجاءته به، فقال له: «هذا كيس فيه أربعمائة دينار فاستعن به»، فقال المفضّل: لا والله ـ جُعلت فداك ـ ما أردت هذا، ولكن أردت الدعاء، فقال عليه السلام : «لا أدَعُ الدعاءَ لك»[١].

ب . سأله فقير فأعطاه أربعمائة درهم، فأخذها الفقير وذهب شاكراً، فقال عليه السلام لخادمه: «ارجعه» فقال الخادم: سُئِلتَ فَأَعْطَيْتَ، فماذا بعد العطاء؟ قال عليه السلام : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير الصدقة ماأبقت غنى، وإنّا لم نغنه، فخذ هذا الخاتم فاعطه فقد أُعطيتُ فيه عشرة آلاف درهم، فإذا احتاج فليبعه بهذه القيمة»[٢].

ج . ومن جوده وسخائه وحبّه للبرّ والمعروف أنّه كانت له ضَيْعة قرب المدينة تسمّى عين زياد، فيها نخل كثير، فإذا نضج التمر أمر الوكلاء أن يثلموا في حيطانها الثلم، ليدخل الناس، ويأكلوا من التمر[٣]. وكان يأمر لجيران الضيعة الذين لا يقدرون على المجيء كالشيخ والعجوز والمريض لكلّ واحد منهم بمدّ من التمر، وما بقي منه يأمر بحمله إلى المدينة فيفرّق أكثره على الضعفاء والمستحقّين، وكانت قيمة التمر الذي تنتجه الضيعة أربعة آلاف دينار، فكان ينفق ثلاثة آلاف منه، ويبقي له ألفاً[٤].

د . وكان يقوم في غَلَس الليل البهيم فيأخذ جراباً فيه الخبز واللحم والدراهم فيحمله على عاتقه ويذهب به إلى أهل الحاجة من فقراء المدينة فيقسّمه فيهم، وهم لا يعرفونه، وما عرفوه حتى مضى إلى الله تعالى،

---

١. الكشّي، ص ١٢١.
٢. الإمام جعفر الصادق (لأحمد مغنية)، ص ٤٧.
٣. المصدر نفسه.
٤. المصدر نفسه.

فافتقدوا تلك الصلات فعلموا أنّها منه[١].

ومن صلاته السرّية ما رواه إسماعيل بن جابر قائلاً: أعطاني أبوعبدالله عليه السلام خمسين ديناراً في صُرّة، وقال لي: ادفعها إلى شخص من بني هاشم، ولا تعلمه أنّي أعطيتك شيئاً، فأتيته ودفعتها إليه، فقال لي: من أين هذه؟ فأخبرته أنّها من شخص لا يقبل أن تعرفه. فقال العلوي: ما يزال هذا الرجل كلّ حين يبعث بمثل هذا المال، فنعيش بها إلى قابل، ولكن لا يصلني جعفر[٢] بدرهم مع كثرة ماله[٣].

هـ. ومن بوادر كرمه وسخائه حبّه للضيوف وتكريمه لهم، فكان يشرف على خدمة ضيوفه بنفسه، وكان يأتيهم بأشهى الطعام وألذّه وأوفره، ويكرّر عليهم القول وقت الأكل: «أشدّكم حبّاً لنا أكثركم أكلاً عندنا...»[٤].

٣. تواضعه

لقد كان شديد التواضع وهو سيّد المسلمين. وكان من تواضعه أنّه يجلس على الحصير[٥]، ويرفض الجلوس على الفرش الفاخرة، وكان ينكر التكبّر ويشجب المتكبّرين، وقد قال ذات مرّة لرجل من إحدى القبائل: «مَن سيّد هذه القبيلة؟» فبادر الرجل قائلا: أنا. فأنكر الإمام عليه السلام ذلك وقال له: «لو كنت سيّدهم ما قلت: أنا...»[٦].

ومن تواضعه ونكرانه للذات أن رجلاً من السواد كان يلازمه، فافتقده فسأل عنه، فبادر رجل فقال مستهيناً بمن سأل عنه: إنّه نبطي...

---

١. المصدر نفسه.
٢. المراد هنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام.
٣. مجموعة ورّام، ج ٢، ص ٨٢.
٤. حياة الإمام الصادق (للقرشي)، ج ١، ص ٦٥.
٥. النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٧٦.
٦. الطبقات الكبرى، ج ١ ص ٣٢.

فردّ عليه الإمامعليه السلام قائلاً: «أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، وكرمه تقواه، والناس في آدم مستوون...» فاستحيى الرجل[١].

٤. سمو أخلاقه

لقد ملك الإمامعليه السلام القلوبَ بسمّو أخلاقه الكريمة التي كانت امتداداً لأخلاق جدّه رسول اللهصلى الله عليه وآله.

وقد روي أنّ رجلاً من الحجّاج توهّم أنّ هميانه قد ضاع منه، فخرج يفتّش عنه، فرأى الإمام الصادقعليه السلام يصلّي في الجامع النبوي فتعلّق به، ولم يعرفه، وقال له: أنت أخذت همياني...؟

فقال له الإمام بعطف ورفق: «ما كان فيه؟» قال: ألف دينار. فأعطاه الإمام ألف دينار، ومضى الرجل إلى مكانه فوجد هميانه، فعاد إلى الإمام معتذراً منه ومعه المال، فأبى الإمام قبوله وقال له: «شيء خرج من يدي فلايعود إليّ»، فبهر الرجل وسأل عنه، فقيل له: هذا جعفر الصادق، وراح الرجل يقول بإعجاب: لا جرم هذا فعال أمثاله[٢].

وقالعليه السلام: «إنّا أهل بيت، مروءتنا العفو عمّن ظلمنا»[٣].

وكان يفيض بأخلاقه النديّة علىٰ حضّار مجلسه حتى قال رجل من العامة: والله ما رأيت مجلساً أنبل من مجالسته[٤].

٥. صبره

لقد تحلّى الإمامعليه السلام بصفة الصبر وعدم الجزع على ما لاقاه من عظيم المحن والخطوب. ومن صبره أنّه لما توفّي ولده إسماعيل، وكان ملء

---

١. موسوعة الإمام الصادق، ج ١، ص ٦٦.
٢. الإمام جعفر الصادق، ص ٤٨.
٣. الخصال، ص ١١.
٤. أصول الكافي، ج ٢، ص ٦٥٧.

العين في أدبه وعلمه وفضله، دعا عليه السلام جمعاً من أصحابه فقدّم لهم مائدة جعل فيها أفخر الأطعمة، وأطيب الألوان، ولمّا فرغوا من تناول الطعام قال بعض أصحابه له: يا سيدي لاأرى عليك أثراً من آثار الحزن على ولدِك؟ فأجابه عليه السلام: «وما لي لا أكون كما ترون، وقد جاء في خبر أصدق الصادقين ـ يعني جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ـ إلى أصحابه إنّي ميت وإيّاكم»[1].

٦. إقباله على العبادة

أمّا إقباله على عبادة الله تعالى وطاعته فقد كان من أعبد الناس لله في عصره، وقد أخلص في طاعته لله أشد الإخلاص، وإليك صورة موجزة من عباداته:

أ ـ صلاته

كان عليه السلام إذا أراد التوجه إلى الصلاة اصْفَرَّ لونه، وارتعدت فرائصه خوفاً من الله تعالى ورهبة وخشية منه، وقد أُثرت عنه مجموعة من الأدعية في حال وضوئه، وتوجّهه إلى الصلاة، وفي قنوته، وبعد الفراغ من صلاته[2].

ب ـ صومه

لقد حثّ الإمام الصادق عليه السلام الصائم على التحلّي بالأخلاق والآداب العالية. قال عليه السلام: «وإذا صمت فليصم سمعك، وبصرك، ولسانك من القبيح والحرام، ودع المراء، وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصيام، ولا تجعل يوم صومك مثل يوم فطرك سواء...»[3].

---

١. الإمام جعفر الصادق، ص ٤٩.
٢. راجع الصحيفة الصادقيّة.
٣. مجموعة ورّام، ج ٢، ص ٨٥.

وكان الإمام الصادق عليه السلام صائماً في أغلب أيامه تقرّباً إلى الله تعالىٰ. أمّا شهر رمضان المبارك فكان يستقبله بشوق بالغ، وقد أُثرت عنه بعض الأدعية المهمّة عند رؤيته لهلاله، كما أُثرت عنه بعض الأدعية في أيّامه وفي ليالي القدر وفي يوم عيد الأضحىٰ[١].

ج ـ حجّه

وقد حجّ الإمام الصادق عليه السلام مرّات متعدّدة، كما التقى كثيراً من الحجّاج المسلمين، وكان المعلّم والمرشد لهم على مسائل الحج. فقد جهد هو وأبوه الإمام محمّد الباقر عليه السلام على بيان أحكام الحج، وعنهما أخذ الرواة والفقهاء أحكام هذه الفريضة، ولولاهما لما عرفت مسائل الحجّ وأحكامه.

وكان الإمام الصادق عليه السلام يؤدّي بخضوع وخشوع مراسيم الحجّ من الطواف والوقوف في عرفات ومنى.

روى بكربن محمّد الأزدي قائلاً: خرجت أطوف وإلى جنبي الإمام أبوعبدالله الصادق عليه السلام حتى فرغ من طوافه، ثم مال فصلّىٰ ركعتين بين ركن البيت والحجر، وسمعته يقول في أثناء سجوده: «سجد وجهي لك تعبّداً ورقّاً، لا إله إلّا أنت حقّاً حقّاً، الأوّل قبل كلّ شيء، والآخر بعد كلّ شيء، وها أنا ذا بين يديك، ناصيتي بيدك، فاغفر لي، إنّه لا يغفر الذنب العظيم غيرك، فاغفر لي، فإني مقرٌّ بذنوبي على نفسي، ولا يدفع الذنب العظيم غيرك...».

---

١. راجعها في الصحيفة الصادقيّة.

ثم رفع رأسه الشريف ووجهه كأنّما غُمّس في الماء من كثرة البكاء[١].

وروى حمّادبن عثمان فقال: رأيت أبا عبدالله جعفربن محمّد بالموقف رافعاً يده إلى السماء... وكان في موقف النبيﷺ وظاهر كفّيه إلى السماء[٢].

وكانعليه السلام إذا خرج من الكعبة المقدّسة يقول: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، اللهم لاتجهد بلاءنا، ولاتشمت بنا أعداءنا، فإنّك أنت الضارّ النافع»[٣].

روى حفص‌بن عمر، مؤذّن علي‌بن يقطين، أنّه قال: كنّا نروي أنّه يقف للناس في الحج سنة ١٤٠هـ خير الناس، فحججت في تلك السنة، فإذا إسماعيل‌بن عبدالله‌بن العباس واقف، فداخلنا من ذلك غمّ شديد، فلم نلبث، وإذا بالإمام أبي‌عبداللهعليه السلام واقف على بغلة له، فرجعت أُبشّر أصحابي، وقلت: هذا خير الناس الذي كنا نرويه[٤].

وكان من أعظم الخاشعين والداعين في مواقف الحج؛ فقد روي أنّ سفيان الثوري قال: والله رأيت جعفربن محمّدعليه السلام ولم أرَ حاجّاً وقف بالمشاعر، واجتهد في التضرّع والابتهال منه، فلمّا وصل عرفات أخذ من الناس جانباً، واجتهد في الدعاء في الموقف[٥].

---

١. قرب الاسناد، ص ٢٨، ٣١، ٣، ٩٨. ٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه. ٤. المصدر نفسه.
٥. موسوعة الإمام الصادقعليه السلام، ج ١، ص ٧١، عن ضياء العالمين.

الخلاصة

* كان الإمام الصادق عليه السلام علىٰ نهج من سبقه من آبائه المعصومين عليهم السلام في الفضل والعلم والحكمة ومكارم الأخلاق. وفي عصره ظهرت الحاجة إلى تفتّق العلوم والمعارف فكان المؤسس الرائد والمعلِّم الحاذق لجامعة أهل البيت الإسلامية.

* لقد كان الصادق عليه السلام يعمل لتماسك الجماعة المؤمنة عبر أساليب عديدة، ويرتقي بالمؤمنين إلى أعلىٰ درجات العزّة والكرامة وقوّة الشخصية. والحديث عن كرمه وجوده وعطفه علىٰ الفقراء ومساعدته للمحتاجين حديث طويل.

* كان الإمام الصادق عليه السلام معلِّماً للأجيال، في كلّ نواحي الحياة، ذلك بسمو أخلاقه، وتفاعله الكبير مع الجماهير بيسر وعدم تكلّف، يستجيب لمتطلّبات المرحلة، ويسدّ الخلل في الفكر والعقيدة، ويوجّه الناس إلى التمسّك بأحكام الدين القويم.

* كانت عبادة الإمام عليه السلام متميّزة بشدّة إخلاصه لله، وسعة معرفته، وكمال فقهه. وفي الوقت ذاته كان يحثّ الجميع على التعبّد لله، والمحافظة على النسك والعبادات الإسلامية. وكان سلوكه في صلاته وصيامه وحجّه خير قدوة يحتذىٰ بها.

الأسئلة:

١. ماهي العلوم والمعارف التي أبدع فيها الإمام الصادق عليه السلام ؟

٢. من خلال مظاهر سلوك الإمام عليه السلام، ما هو الطابع العام لشخصيّته عليه السلام ؟

٣. اذكر نماذج من كرم الإمام الصادق عليه السلام وأثرها في تربية الأمّة.

٤. اذكر بعض توجيهات الإمام الصادق عليه السلام للمسلمين في خصوص الصلاة.

٥. ماذا يمكن أن نتعلّم من مدارسة اهتمام الإمام عليه السلام بالعبادة؟

الدرس ٣٧

من تراث الإمام الصادق عليه السلام

١. من رسالته عليه السلام إلى شيعته وأصحابه[1]

«أمّا بعد فسلوا ربّكم العافية، وعليكم بالدَّعَة والوقار[2] والسَّكينة والحياء والتنزُّه عمّا تنزَّه عنه الصالحون منكم.

وعليكم بمجاملة أهل الباطل، تحمّلوا الضيم منهم، وإيّاكم ومماظّتهم[3].

أكثِروا من الدُّعاء؛ فإنَّ الله يُحِبُّ من عبادِه الَّذين يدعُونهُ، وقد وعدَ عِباده المؤمنين الاستجابة، والله مصيّرٌ دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عَمَلاً يزيدُهم به في الجنَّة. وأكثروا ذِكر الله ما استطعتُمْ في كُلِّ ساعَةٍ من ساعات اللّيل والنَّهارِ؛ فإنَّ الله أمَرَ بِكَثْرَةِ الذِّكر لَهُ، والله ذاكرٌ من ذَكَرَهُ من

---

١. كتبها إلى أصحابه، وأمرهم بمدارستها، والنظر فيها، وتعاهدها والعمل بها، و كانوا يضعونها في مساجد بيوتهم، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها.

٢. الدعة: الخفض والطمأنينة.

٣. المجاملة: المعاملة بالجميل، الضيم: الظلم، المماظة: شدّة المنازعة والمخاصمة مع طول اللزوم.

المؤمنين؛ إنّ الله لم يذكره أحدٌ من عباده المؤمنين إلّا ذكرهُ بخيرٍ.

وعليكم بالمحافظة على الصَّلوات والصَّلاة الوسطى، وقوموا لله قانتين، كما أمر الله به المؤمنين في كتابه من قبلكم.

إيّاكم والعَظَمة والكِبر؛ فإنَّ الكِبر رداءُ الله، فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذلّه يوم القيامة.

إيّاكم أن يبغي بعضكم على بعضٍ؛ فإنّها ليست من خصال الصالحين؛ فإنّه من بغىٰ صيَّر الله بغيَهُ على نفسه، وصارت نُصرَة الله لمن بُغيَ عليه، ومن نصرَهُ الله غلب وأصابَ الظَّفر من الله.

إيّاكم أن يحسد بعضكم بعضاً؛ فإنَّ الكفر أصلهُ الحسد[١].

إيّاكم أن تُعينوا على مُسلِم مظلوم يدعو الله عليكم ويستجابُ له فيكم؛ فإنَّ أبانا رسول الله ﷺ يقول: إنَّ دعوةَ المسلِم المظلوم مستجابةٌ.

إيّاكم أن تشرَهَ نُفوسكم[٢] إلى شيء ممّا حرَّم الله عليكم؛ فإنّه من انتهكَ ما حَرَّم الله عليهِ هاهنا في الدنيا حال الله بينهُ وبين الجنَّة ونعيمها ولذَّتها وكرامتها القائمة الدائمة لأهل الجنّة أبدالآبدين».

٢ ـ من كلامه عليه السلام الذي سُمّي بنثر الدُّرَر

«الاستقصاء فُرقةٌ. الانتقادُ عداوَةٌ. قِلَّةُ الصَّبْرِ فضيحةٌ. إفشاءُ السِّرِّ سُقُوطٌ. السَّخاءُ فِطنَةٌ. اللّومُ تغافُلٌ.

ثلاثةٌ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِنَّ نالَ من الدُّنيا والآخرَة بُغيَتَهُ[٣]: مَنِ اعْتَصَم باللهِ،

---

١. لأنّ الشيطان أوّل من حسد، فكفر وأخرجه الله من الجنّة.

٢. شره فلان ـ كفرح ـ غلب حرصه واشتدّ ميله.

٣. البغية: ما يرغب فيه ويطلب أي المطلوب.

وَرَضيَ بِقَضاءِ اللهِ، وأحْسَنَ الظَّنَّ باللهِ.

ثلاثةٌ من فرَّط فيهنَّ كان محرُوماً: استِماحَةُ جوادٍ، ومصاحَبَةُ عالِمٍ، واستِمالةُ سُلطانٍ.

ثلاثَةٌ تُورِثُ المحَبَّةَ: الدِّينُ، والتَّواضعُ، والبَذْلُ.

مَنْ بَرِىء من ثلاثةٍ نالَ ثلاثةً: مَنْ بَرِىء من الشَّرِّ نالَ العِزَّ، ومَن بَرِىءَ من الكِبر نالَ الكرامَةَ، ومَنْ بَرِىءَ من البُخلِ نالَ الشَّرَفَ.

ثلاثةٌ مكسَبَةٌ للبغضاء: النِّفاقُ، والظُّلْمُ، والعُجْبُ.

ومن لم تكن فيه خصلةٌ من ثلاثةٍ لم يعدّ نبيلاً[1]: مَنْ لم يكن له عقلٌ يزِينُهُ، أو جِدَةٌ[2] تُغنيه، أو عشيرةٌ تعضدُهُ.

ثلاثةٌ تُزري بالمرء[3]: الحسد، والنّميمة، والطَّيْشُ.

ثلاثةٌ لا تُعرف إلّا في ثلاثة مواطِنَ: لا يُعرف الحليمُ إلّا عِندَ الغَضب، ولا الشجاع إلّا عند الحرب، ولا أخٌ إلّا عند الحاجة.

ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافِقٌ وإن صام وصلّى: مَنْ إذا حدَّث كَذَب، وَإذا وَعَدَ أخْلَف، وإذا ائتُمنَ خانَ.

إحذر من الناس ثلاثة: الخائن، والظّلوم، والنّمام؛ لأنَّ من خانَ لك خانَكَ، ومن ظَلَمَ لك سَيَظلِمُكَ، وَمَنْ نَمَّ إليكَ سَيَنُمُّ عليكَ.

لا يكونُ الأمين أميناً حتّى يُؤتَمن على ثلاثةٍ فيُؤَدِّيها: على الأموال والأسرار والفروج. وإن حفظ اثنين وضيّع واحدةً فليس بأمينٍ.

---

١. النبيل: ذوالنجابة.

٢. الجدة ـ مصدر وجد يجد كعدة ـ: الغنى والقدرة.

٣. أزرى به: عابه ووضعه من حقّه. والطيش: النزق والخفّة.

لا تُشاوِر أحمق، ولا تستعِن بكَذّابٍ، ولا تَـثِق بِـمودَّةِ مـلولٍ؛ فـإنَّ الكذّاب يُقَرِّبُ لكَ البعيدَ ويبعِّد لكَ القريب، والأحمَق يَجْهَدُ لكَ نفسهُ ولا يَبلُغُ ما تُريد، والملولَ أوثَق ما كُنت به خَذَلكَ وأوصلَ ما كنتَ لَهُ قطَعَكَ.

ثلاثة من كُنَّ فيه كان سيِّداً : كظمُ الغيظ، والعفو عن المُسيء، والصِّلةُ بالنَّفسِ والمالِ.

ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه كُنَّ عليه: المكرُ، والنَّكْثُ، والبغيُ؛ وذلك قـول الله: ﴿ولا يَحِيقُ المكرُ السَّيِّءُ إلّا بأهْلِه﴾[1]، ﴿فانْظُرْ كيف كانَ عاقِبةُ مكرِهِم أ نّا دَمَّرناهُم وقومَهُم أجمعين﴾[2]، وقال جلّ وعـزّ: ﴿فمَنْ نكثَ فإنّما يـنكُثُ على نفسه﴾[3]، وقال: ﴿يا أيُّها النّاسُ إنَّما بَغيُكُم على أنفُسِكُم متاعَ الحياة الدُّنيا﴾[4].

ثلاثٌ يَحْجُزْنَ المرءَ عن طلب المعالي: قـصرُ الهـمَّةِ، وقِـلَّة الحِـيلَةِ، وضعفُ الرأي.

مَنْ رُزِقَ ثلاثاً نال ثلاثاً ـ وهو الغنى الأكبر ـ : القـناعةُ بـما أُعـطي، واليأس ممّا في أيدي الناس، وترك الفضول.

لا يكون الجوادُ جواداً إلّا بثلاثةٍ: يكونُ سخيّاً بمالِه على حالِ اليُسر والعُسْر، وأنْ يَبْذُلَهُ للمُستحِقّ، ويرى أنَّ الّذي أخذه من شُكر الّذي أسدى إليه[5] أكثرُ ممّا أعطاهُ.

---

١. فاطر: ٤٣.
٢. النمل: ٥١.
٣. الفتح: ١٠.
٤. يونس: ٢٣.
٥. في بعض النسخ: «يسدى إليه».

ثــلاثةٌ لايُــعذَرُ المــرء فـيها: مُشـاوَرة نـاصحٍ، ومـداراةُ حـاسِدٍ، والتَّحبُّبُ إلى الناس.

لايُعَدُّ العاقِل عاقِلاً حتّى يستكْمِلَ ثلاثاً: إعطاء الحقِّ من نفْسه علىٰ حالِ الرِّضا والغضب، وأن يَرْضىٰ لِلنّاسِ مايرضى لنفسِهِ، واستعمال الحِلْم عند العثرةِ.

لاتدومُ النِّعم إلّا بعد ثلاثٍ[١]: معرفةٍ بما يلزم لله سبحانه فيها، وأداء شُكرِها، والتّعب فيها.

ثلاثٌ يجبُ على كل إنسانٍ تجنُّبها: مُقارنة الأشرارِ، ومحادثَةُ النساء، ومجالسة أهل البِدع.

ثلاثةٌ تدلُّ على كَرَمِ المرءِ: حُسْنُ الخُلُقِ، وكظم الغيظِ، وغضُّ الطَّرفِ.

مَنْ وَثِقَ بثَلاثَةٍ كان مغروراً: من صدَّق بما لا يكون، وركَنَ إلى من لا يثِقُ به، وطمعَ في ما لا يملِكُ.

ثلاثة من استعملها أفسد دينهُ ودُنياهُ: مَن [أ] ساءَ ظـنَّهُ، وأمكَـنَ مِـن سَمعِه، وأعطىٰ قيادهُ حَليلَتَه[٢].

أفضل الملوكِ من أُعطي ثلاثَ خصالٍ: الرَّأفةُ، والجود، والعَدل.

وليس يُحَبُّ للملوكِ أنْ يُفَرِّطوا في ثلاثٍ[٣]: في حِفظ الثُّغورِ، وتَفقُّدِ المظالِم، واختيار الصالحين لأعمالهم.

---

١. في بعض النسخ «إلا بثلاث». ٢. الحليلة: الزوجة.
٣. يفرطوا فيه: يقصروا وأظهروا العجز فيه.

ثلاثُ خِلالٍ[١] تجِبُ للمُلُوكِ على أصحابهم ورعيّتِهم: الطاعةُ لهم، والنَّصيحةُ لهم في المغيب والمشهَدِ، والدُّعاءُ بالنَّصرِ والصَّلاح.

ثلاثةٌ تجِبُ على السّلطانِ للخاصَّة والعامَّةِ: مُكافَأَةُ الُمحْسِن بالإحسان ليزدادوا رغبةً فيه، وتغمُّدُ ذنوبِ المُسيءِ ليتُوبَ ويرجِعَ عَن غيِّه[٢]، وتألُّفِهم جميعاً بالإحسان والإنصاف.

ثلاثةٌ أشياءَ مَنْ احتقرها من الملوكِ وأَهْمَلَها تفاقَمَتْ عَلَيه: خامِلٌ قَليلُ الفَضلِ شَذَّ عن الجماعةِ[٣]، وداعِيةٌ إلى بِدعَةٍ جَعلَ جُنَّتَهُ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المُنكرِ، وأهل بلدٍ جعلوا لِأنفسهم رئيساً يمنَعُ السلطان من إقامةِ الحكمِ فيهم.

---

١. الخِلال ـ بالكسر ـ: جمع خلّة. و ـ بالفتح ـ: الخصلة.

٢. في بعض النسخ: «عن عتبه».

٣. وتفاقم الأمر: عظم ولم يجر على استواء. والخامل: الساقط الّذي لا نباهة له. وشذّ عنهم: أي انفرد واعتزل.

الخلاصة:

* لقد اعتنى الإمام الصادق عليه السلام - كأبيه الإمام الباقر عليه السلام - أيّما اعتناء بإشادة صرح الجماعة الصالحة المؤمنة بخطّ أهل البيت وحقّانيّتهم في مجالات التشريع والحكم والتربية والتثقيف؛ لأنّها النخبة التي تتحمّل مسؤولية الدفاع عن الرسالة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، وتصونه من الانهيار ببركة تعليمات أهل البيت عليهم السلام وإرشاداتهم.

* كما أنّ الجماعة الصالحة تمثّل القدوة الصالحة لأبناء المجتمع حيث لا يتسنىٰ لهم الاتصال المباشر بالإمام المعصوم عليه السلام.

* كما أنّها تتهيّأ لتساهم في قيادة التجربة الإسلامية حينما تسمح الظروف للإمام المعصوم عليه السلام ليباشر مهمّة الحكم في المجتمع.

* ويمكن ملاحظة هذه الأهداف والمجالات التي استهدفها الأئمة عليهم السلام بشكل عامّ - والإمام الصادق عليه السلام بشكل خاصّ - في توصياتهم ومواعظهم وعطائهم الفكري والتربوي.

الأسئلة:

١ . ماهي درجات الولاء لأهل البيت عليهم السلام في كلام الإمام الصادق عليه السلام ؟

٢ . متىٰ يستكمل العبد إيمانه في ضوء كلام الإمام الصادق عليه السلام ؟

٣ . عدّد المساوئ التي حذّر الإمام الصادق عليه السلام شيعته منها.

٤ . ما الذي يورث المحبّة؟

٥ . ماهي الأمور التي لا ينبغي التفريط بها؟

٦ . من هو الأمين؟

٧ . من هو المنافق؟

٨ . ما الذي يُحجز الإنسان عن طلب المعالي؟

٩ . من هو الجواد؟

١٠ . متى يعدّ الإنسانَ عاقلاً؟

المطالعة

من غرر حكم الإمام الصادق عليه السلام

«لا يَصلُحُ مَنْ لا يَعقِل[١]، ولا يَعقِلُ من لا يَعْلَمُ. وسوفَ ينجُبُ من يفهَمُ، ويظْفَرُ مَنْ يَحْلُمُ. والعِلمُ جُنَّةٌ، والصِّدْقُ عِزٌّ، والجَهْلُ ذُلٌّ، والفَهْمُ مَجْدٌ.[٢]. والجود نجحٌ، وحسنُ الخلقِ مجلَبةٌ للمودَّةِ.

والعالِمُ بِزمانِه لا تهجُم عليه اللوابس[٣]. والحَزمُ مِشكاةُ الظَّن[٤]، واللهُ وليّ من عرَفَهُ وعدُوٌّ من تكَلَّفَهُ، والعاقِل غفورٌ، والجاهِلُ خَتُورٌ[٥].

وإن شئت أن تُكرَم فلِنْ. وإن شِئت أن تُهان فاخْشُن. ومن كَرُمَ أصله لانَ قلبُه. ومن خشُنَ عنصُرُه غلُظَ كَبِدُه[٦]. ومن فرَّطَ تورَّط[٧]. ومن خاف العاقِبةَ تثبَّتَ فيما لا يعلم. ومن هجمَ على أمرٍ بغير علم جدعَ أنفَ نفسه[٨]. ومن لم يعلم لم يَفهم، ومن لم يفهم لم يسلَم، ومن لم يسلَم لم يُكرم، ومن لم يَكرُم تهضَّم، ومن تهضَّمَ كان ألوَمَ[٩]، ومن كان كذلك كان أحرىٰ أن يندمَ.

---

١. رواها الكليني في الكافي، ج ١، ص ٢٦ وفيه: «لا يفلح من لا يعقل».
٢. المجد: العزّ والرفعة، والنجح: الفوز والظفر.
٣. اللبس ـ بالفتح ـ: الشبهة، أي لا تدخل عليه الشبهات.
٤. المشكاة: كوّة غير نافذة وأيضاً: ما يوضع فيها المصباح. وفي الكافي: «والحزم مساءة الظنّ» والمساءة: مصدر ميمي.
٥. ختر ـ كضرب ونصر ـ ختوراً: خبث وسد. والختر: الغدر والخديعة.
٦. العنصر: الأصل. وغلظ كبده: أي قسا قلبه.
٧. أي من قصّر في طلب الحقّ وفعل الطاعات وأوقع نفسه في ورطات المهالك.
٨. أي ذلّ نفسه.
٩. تهضّم من باب التفعّل. وفي بعض النسخ [يهضم] في الموضعين أي يُظلَم ويُغضب.

إنْ قدرتَ أن لا تُعرف فافعل، وما عليك إذا لم يثنِ الناسُ عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند النّاس إذا كنتَ عند اللهِ محموداً.

إنَّ أميرالمؤمنينَ عليهِ السَّلام كان يقولُ: لا خيرَ في الحياةِ إلّا لِأَحـدِ رَجُـلَين: رجلٌ يزدادُ كلَّ يومٍ فيها إحساناً، ورجُلٌ يتدارَكُ منيَّتَهُ بالتوبة[١].

إن قدرتَ أن لا تخرجَ من بيتِك فافعل، وإنَّ عليكَ في خُروجِك أن لا تغتابَ ولا تكذِبَ ولا تحسُد ولا ترائي ولا تتصنَّع ولا تداهِن.

صومَعَةُ المسلِم بيتُه، يحبس فيه نفسَه وبصره ولسانَهُ وفرجَهُ.

إنَّ من عرفَ نِعْمَةَ الله بقلبِه استوجَب المزيد من الله قبل أن يُظهِر شُكرَها على لسانه».

ثمّ قال عليه السلام: «كم من مغرورٍ بما أنعم الله عليه. وكم من مستدرجٍ بسترِ الله عليه. وكم من مفتونٍ بثناءِ الناس عليه. إنّي لأرجو النجاة لمن عرفَ حقّاً من هذهِ الأُمَّةِ إلّا [لـ] أحَدِ ثلاثةٍ: صاحِب سلطانٍ جائرٍ، وصاحِب هوى، والفاسِق المُعلِن.

كُن ذنباً ولا تكن رأساً. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من خافَ كَلَّ لِسانُهُ»[٢].

---

١. في بعض نسخ الكافي: «سيئته بالتوبة». ٢. تحف العقول، ص ٣٥٧

الدرس ٣٨

الإمام موسى الكاظم عليه السلام : نشأته ومراحل حياته

النسب المضيء

الإمام الكاظم عليه السلام سابع أئمة أهل البيت عليهم السلام، الكبير القدر، العظيم الشأن، الجادّ في العبادة، المشهور بالكرامات، الكاظم الغيظ، العافي عن الناس، العبد الصالح وباب الحوائج إلى الله.

أبوه جعفربن محمّد الصادق مفخرة الإنسانية على مرّ العصور وعبر الأجيال ؛ اذ لم تسمع الدنيا بمثله فضلاً ونُبلاً وعلماً وكمالاً.

أُمه حميدة التي خصّها الله بالفضل، وعناها بالشرف، فصارت وعاءً للإمامة والكرامة ، وكانت من أعز نساء أبيه الصادق وأحبهن إليه، وآثرهن عنده.

لقد كانت السيدة حميدة تعامل في بيتها معاملة كريمة، فكانت موضع عناية وتقدير عند جميع العلويات، كما أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يغدق عليها بمعروفه، وقد رأى فيها وفور العقل، وحسن الايمان، وأثنى عليها ثناءً عاطراً اذ قال عنها:

«حميدة مصفّاة من الأدناس كسبيكة الذهب، مازالت الأملاك تحرسها حتى أُدّيت إليّ، كرامة من الله وللحجّة من بعدي»[١].

الوليد المبارك

حمل الإمام زوجته حميدة، إلى بيت الله الحرام لاداء فريضة الحج، ولدىٰ رجوعهم أحسّت حميدة بالطلق ـ عند الابواء[٢] ـ فأخبرت الإمام بالأمر؛ كما عهد إليها أن لا تسبقه بشأن وليده.

وكان أبوعبدالله يتناول طعام الغذاء مع جماعة من أصحابه، فقام مبادراً إليها، ولم‌يلبث قليلاً حتى وضعت حميدة سيّداً من سادات المسلمين، وإماماً من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

تناول الإمام أبوعبدالله عليه السلام وليده، فأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية، فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرىٰ.

وعاد الإمام إلى أصحابه، وقد علت على ثغره ابتسامة، فبادره أصحابه قائلين: أسرّك الله، وجعلنا فداك، يا سيّدنا، ما فعلت حميدة؟

فبشّرهم بمولوده المبارك، وعرّفهم عظيم أمره قائلاً: «قد وهب الله لي غلاماً، وهو خير من برأ الله، فدونكم، فوالله هو صاحبكم»[٣].

وكانت ولادته عليه السلام في سنة ١٢٨هـ[٤]، وقيل سنة ١٢٩هـ[٥].

---

١. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٦ وأصول الكافي، ج ١، ص ٤٧٧.

٢. الأبواء: بالفتح ثمّ السكون، وواو وألف ممدودة، قرية من أعمال الفرع بالمدينة، وبها قبر الزاكية آمنة بنت وهب أمّ النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله معجم البلدان، ج ١، ص ٩٢.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢.

٤. تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٣٤ والمناقب، ج ٤، ص ٣٢٣.

٥. أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٣ وعن تحفة الأزهار، أنّه ولد قبل طلوع فجر يوم الثلاثاء من صفر سنة ١٢٧هـ ، وعن بحر الأنساب أنّه ولد يوم الأحد لسبع ليال خلون من صفر.

وقطع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شطراً من طفولته بحفاوة وتكريم من أبيه، إذ كان يغدق عليه بعطفه المستفيض، وجماهير المسلمين تقابله بالاحترام أيضاً. وقد قدّمه الإمام الصادق عليه السلام على بقيّة ولده، وتكلّم الإمام موسى وهو طفل بكلام أثار إعجاب أبيه، فاندفع أبوه قائلاً:

«الحمد لله الذي جعلك خَلَفاً من الآباء، وسروراً من الأبناء، وعوضاً عن الأصدقاء»[١].

ملامحه

كان أسمر شديد السمرة[٢]، ربع القامة، كث اللحية[٣]، ووصفه شقيق البلخي فقال: كان حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف الجسم.

وحاكى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في هيبته هيبة الأنبياء عليهم السلام، وبدت في ملامح شكله سيماء الأئمة الطاهرين من آبائه عليهم السلام، فما رآه أحد إلّا هابه وأكبره. وكان نقش خاتمه: «الملك لله وحده»[٤].

كُناه وألقابه

كُنّي الإمام عليه السلام بأبي الحسن الأوّل، وأبي الحسن الماضي، وأبي إبراهيم، وأبي علي، وأبي إسماعيل.

ولُقِب بـ:

---

١. حياة الإمام موسى بن جعفر «للقرشي»، ج ١، ص ٤٧ عن بحار الأنوار.

٢. أخبار الدول، ص ١١٢. عمدة الطالب، ص ١٨٥ والنفحة العنبريّة، ص ١٥ وزاد فيه أنه كان رابط الجأش واسع العطاء.

٣. أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٩.

٤. أخبار الدول، ص ١١٢.

١ ـ الصابر؛ لأنّه صبر على الآلام والخطوب التي تلقّاها من حكّام الجور، الذين قابلوه بجميع ألوان الإساءة والمكروه.

٢ ـ الزاهر؛ لأنّه زهر بأخلاقه الشريفة وكرمه المضيء الذي مثّل به خلق جدّه الرسول صلى الله عليه وآله.

٣ ـ العبد الصالح: ولقب به؛ لعبادته واجتهاده في الطاعة، حتى صار مضرب المثل في عبادته على مرّ العصور والأجيال، وقد عرف بهذا اللقب عند رواة الحديث.

٤ ـ السيّد؛ لأنّه من سادات المسلمين، وإمام من أئمّتهم.

٥ ـ الوفي؛ فقد كان أوفى إنسان في عصره، وقد برّ بأعدائه الحاقدين عليه، فضلاً عن برّه بإخوانه وشيعته.

٦ ـ الأمين؛ إذ كان أميناً على شؤون الدين وأحكامه، وأميناً على أُمور المسلمين، وقد حاز هذا اللقب كما حازه جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من قبل، ونال به ثقة الناس جميعاً.

٧ ـ الكاظم؛ وإنّما لقّب بذلك؛ لكظمه الغيظ وحلمه أمام الخطوب وصموده في المصائب التي جرت عليه حتى قضى شهيداً مسموماً وهو في ظلمات السجون، لم يُبدِ لأحد آلامه وأشجانه، بل قابل كل ذلك بالشكر لله والثناء عليه. قال ابن الأثير: إنّه عرف بهذا اللقب؛ لصبره، ودماثة خلقه، ومقابلته الشر بالإحسان[1].

٨ ـ ذو النفس الزكية؛ وذلك لصفاء ذاته التي لم تتلوّث بمآثم الحياة، ولا بأقذارها حتى سمت وانقطعت عن النظير.

---

١. مختصر تأريخ العرب، ص ٢٠٩.

٩ ـ باب الحوائج: وهذا أكثر ألقابه ذكراً، وأشهرها انتشاراً، فقد اشتهر بين العامّ والخاصّ أنّه ما قصده مكروب أو حزين إلّا فرّج الله آلامه وأحزانه، وما استجار أحد بضريحه المقدّس إلّا قضيت حوائجه، وقد آمن بذلك جمهور شيعته بل عموم المسلمين على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم، فهذا شيخ الحنابلة وعميدهم الروحي أبوعلي الخلّال يقول: ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر إلّا سهّل الله تعالى لي ما أحبّ[1].

وقال الشافعي: قبر موسى الكاظم الترياق المجرّب[2].

مراحل حياته

١ . ولد الإمام الكاظم عليه السلام في السنوات الأخيرة من عمر الدولة الأُموية، ونشأ وشبّ مع نشوء الدولة العباسية، وعاصرها وهي في أوج قوّتها وازدهارها، في مرحلة اتّسع الانفتاح فيها على الثقافات والشعوب

---

١. تأريخ بغداد، ج ١، ص ١٢٠.

٢. تحفة العالم، ج ٢، ص ٢٠. لقد اعتقد أغلب المسلمين أن الله يكشف البلاء، ويدفع الضرّ بالالتجاء إلى ضريح الإمام عليه السلام. وروى الخطيب البغدادي قصّة كان فيها شاهد عيان فقد رأى امرأة مذهولة قد فقدت رشدها، وهامت في تيار من الهواجس والهموم؛ لأنّها أُخبرت أنّ ولدها قد ارتكب جريمة، وألقت عليه السلطة المحلية القبض وأودعته السجن، فأخذت تهرول نحو ضريح الإمام مستجيرة به فرآها بعض الأوغاد ممّن لا يؤمن بالإمام، فقال لها: إلى أين؟ فقالت: إلى موسى بن جعفر، فإنّه قد حُبس ابني. فقال لها بسخرية واستهزاء: إنّه قد مات في الحبس. فاندفعت تقول بحرارة وقد لذعها قوله: اللهمَّ بحق المقتول في الحبس أن تريني القدرة. فاستجاب الله دعاءها، فأطلق سراح ولدها، وأودع ابن المستهزئ ظلمات السجون بجرم ذلك الشخص، وهكذا أراد الله أن يريها القدرة ويري ذلك الشخص كرامة الإمام عنده. انظر المناقب (لابن شهر آشوب)، ٤، ٣٠٥.

غيرالإسلامية، كما أن الدولة قد تطوّر نظامها، وقويت شوكتها، وبرزت ملامح الترف والبذخ والإسراف علىٰ طابع الحياة اليومية، وانتشرت مجالس اللهو والغناء بصورة واسعة.

٢ . عاش الإمام الكاظمعليه السلام عشرين عاماً مع أبيه في مرحلة البناء الفكري للجماعة الصالحة، وتحصين الأُمّة ضدّ التيارات المنحرفة والملحدة. وفي عهد إمامتهعليه السلام عانىٰ من ظلم العباسيين وجورهم؛ إذ كان وجوده يمثّل الخطر الحقيقي الذي يهدّد دولتهم؛ وذلك لما للإمامعليه السلام من قواعد شعبية واسعة كانت قد نشطت بعد أن انكشف واتضح انحراف العباسيين ومن قبلهم الأمويين عن خطّ الإسلام الصحيح، فازداد الضغط عليه من حكّامهم؛ فغلبت التقيّة علىٰ حركته.

٣ . واصل الإمام الكاظمعليه السلام مهمّة بناء المجتمع المسلم، وترسيخ العقيدة الإسلامية وإحيائها في عهد المنصور والمهدي والرشيد.

٤ . قضىٰ الإمامعليه السلام مدّة طويلة في سجون بني العبّاس الذين فاقوا في ظلمهم وطغيانهم ظلم بني أُمية، فكان ينقل من سجن لآخر، حتى استشهدعليه السلام في سجن السنديبن شاهك ببغداد، في ٢٥ رجب سنة ١٨٣ هـ، ودفن في مقابر قريش.

الخلاصة:

* علىٰ الرغم من رغم كلّ النكبات التي تعرّض لها آل النبي صلى الله عليه وآله من أعدائهم المتحكمين في رقاب المسلمين، استمرّ خط النبوّة في سلسلة مترابطة من الأئمة من أبناء النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، فكان موسى بن جعفر سابع الأئمة من هذه السلسلة الطيبة الطاهرة.
* حظي الإمام موسى الكاظم عليه السلام بحب وعنايه والده الصادق عليه السلام، فتأدّب بأدب الرسالة وأخلاق النبوّة، وتميز بما له من لياقات تؤهّله للإمامة المعصومة.
* أنعم الله على الإمام الكاظم عليه السلام بالهيبة والوقار، كما أنعم بذلك على آبائه عليهم السلام من قبل، فكان محل التقدير والاحترام والحّب في نفوس جميع المسلمين. وتلقّب بألقاب شريفة سامية توضح كرامته وعظمة دوره في الحياة الإسلامية، بل بعد استشهاده أيضاً تسامىٰ في مكانته الرفيعة.
* عاش الإمام عليه السلام في عصر دولة ظالمة كانت ترىٰ فيه الندّ والمنافس الحقيقيّ لوجودها وزعامتها، فتعرّض للاضطهاد والأذىٰ والسجن لفترة طويلة. ولكن هذا لم يمنع الإمام الكاظم عليه السلام عن مواصلة مسيرته الرساليّة وإكمال دوره في الإمامة وقيادة المجتمع، فتعهّد بتربية الجماعة الصالحة، وإبطال الشبهات الواردة، وصيانة الثقافة الإسلامية من أيدي العابثين.
* نال الإمام الكاظم عليه السلام التقدير والإعجاب والاحترام من فئات وأطراف عديدة مؤيّدة ومخالفة لخطّ الإمامة؛ لوضوح أن عدالة أهل البيت، وشرعية منهجهم و أهدافهم، وسموّ ذات الإمام عليه السلام، فرضت نفسها علىٰ واقع الأمّة الإسلامية جمعاء.

الأسئلة:

١ . من هي أمّ الإمام الكاظمعليه السلام ؟

٢ . لماذا لقّب الإمام موسى بن جعفرعليه السلام بالصابر وبالعبد الصالح؟

٣ . لماذا لقّب الإمام عليه السلام بباب الحوائج؟

٤ . ما هي مظاهر حبّ الإمام الصادقعليه السلام لولده موسىٰ بن جعفرعليه السلام ؟

٥ . متى استشهد الإمام موسى الكاظمعليه السلام ؟ وأين دفن؟

للمطالعة

انطباعات عن شخصية الإمام موسى الكاظم عليه السلام

١ . قال عنه أبوه الإمام الصادق عليه السلام : «فيه علم الحكم، والفهم، والسخاء، والمعرفة، فيما يحتاج الناس إليه، فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، وفيه حسن الخلق، وحسن الجوار، وهو باب من أبواب الله عزّوجلّ»[١].

٢ . قال هارون الرشيد لابنه المأمون ـ وقد سأله عنه ـ: هذا إمام الناس، وحجّة الله على خلقه، وخليفته على عباده[٢].

وقال له أيضاً: يا بني هذا وارث علم النبيّين، هذا موسى بن جعفر، إن أردت العلم الصحيح فعند هذا[٣].

٣ . قال المأمون العباسي في وصفه: قد أنهكته العبادة، كأنّه شَن بالٍ، وقد كَلَم السجودُ وجهَه وأنفَه[٤].

٤ . كتب عيسى بن جعفر للرشيد: لقد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي، وقد اختبرت حاله، ووضعت عليه العيون طول هذه المدّة، فما وجدته يفتُر عن العبادة، ووضعت من يسمع منه ما يقوله في دعائه، فما دعا عليك ولا عليّ، ولا ذكرنا بسوء، وما يدعو لنفسه إلّا بالمغفرة والرحمة. فإن أنت أنفذت إليّ من يتسلّمه منّي وإلّا خلّيت سبيله؛ فإنّي متحرّج من حبسه[٥].

---

١. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٢.
٢. أئمتنا، ج ٢، ص ٦٥.
٣. المناقب، ج ٤، ص ٣١٠ وأمالي الشيخ الصدوق، ص ٣٠٧.
٤. الأنوار البهيّة، ص ٩٣.
٥. أعيان الشيعة، ج ٤، ق ٣، ص ٧١.

٥ . قال الخطيب البغدادي: كان سخيّاً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه، فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار، وكان يصرّ الصرر: ثلثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ومائتي دينار، ثم يقسّمها بالمدينة، وكان مثل صرر موسى‌بن جعفر إذا جاءت الإنسان الصرّة فقد استغنى[١].

٦ . قال عليّ‌بن محمّدبن أحمد المالكي ـ ابن‌الصبّاغ ـ: وأمّا مناقبه وكراماته الظاهرة، وفضائله وصفاته الباهرة، فتشهد له بأنّه افترع قبّة الشرف وعلاها، وسما إلى أوج المزايا فبلغ علاها، وذلّلت له كواهل السيادة وامتطاها، وحكّم في غنائم المجد فاختار صفاياها فأصفاها...[٢].

٧ . قال كمال الدين محمّدبن طلحة الشافعي: هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير، المجتهد الجادّ في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظماً. كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه. ولكثرة عبادته كان يسمّى بالعبد الصالح، ويعرف في العراق بباب الحوائج إلى الله؛ لنُجح مطالب المتوسّلين إلى الله تعالى به. كراماته تحار منها العقول، وتقضي بأنّ له عند الله قدم صدق، لا تزال ولا تزول[٣].

٨ . قال أحمدبن يوسف الدمشقي القرماني: هو الإمام الكبير القدر، الأوحد، الحجّة، الساهر ليله قائماً، القاطع نهاره صائماً، المسمّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج؛ لأنّه ما خاب المتوسّل به في قضاء حاجة قط...له كرامات ظاهرة، ومناقب باهرة، انتزع قمّة

---

١. تأريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٨.
٢. الفصول المهمّة، ص ٢١٧.
٣. مطالب السؤول، ص ٨٣.

الشرف وعلاها، وسما إلى أوج المزايا فبلغ علاها[١].

٩ . قال محمّدبن أحمد الذهبي : كان موسى من أجود الحكماء، ومن عبّاد الله الأتقياء، وله مشهد معروف ببغداد، مات سنة ثلاث وثمانين وله خمس وخمسون سنة[٢].

١٠ . قال مؤمن الشبلنجي: كان موسى الكاظم عليه السلام أعبد أهل زمانه، وأعلمهم، وأسخاهم كفّاً، وأكرمهم نفساً، وكان يتفقّد فقراء المدينة فيحمل إليهم الدراهم والدنانير إلى بيوتهم ليلاً، وكذلك النفقات، ولا يعلمون من أيّ جهة وصلهم ذلك، ولم يعلموا بذلك إلّا بعد موته. وكان كثيراً ما يدعو: «اللهمَّ إنّي أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب»[٣].

١١ . قال محمّد خواجة البخاري: ومن أئمّة أهل البيت أبوالحسن موسىٰ الكاظم‌بن جعفر الصادق رضي الله عنهما، كان عليه السلام صالحاً، عابداً، جواداً، حليماً، كبير القدر، كثير العلم، كان يدعى بالعبد الصالح، وفي كلّ يوم يسجد لله سجدة طويلة بعد ارتفاع الشمس إلى الزوال.

طلبه المهديّ‌بن المنصور من المدينة إلى بغداد فحبسه، فرأى المهدي في النوم عليّاً كرّم الله وجهه يقول: يا مهدي ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم﴾ ، فأطلقه[٤].

١٢ . قال محمودبن وهيب القراغولي البغدادي الحنفي: هو موسى‌بن جعفر الصادق‌بن محمّد الباقربن علي زين العابدين‌بن الحسين‌بن علي‌بن أبي‌طالب رضي

---

١. أخبار الدول، ص ١١٢.
٢. ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٢٠٩.
٣. نور الأبصار، ص ٢١٨.
٤. ينابيع المودّة، ص ٤٥٩ والآية ٢٢ من سورة محمّد.

الله عنهم أجمعين، وكنيته أبوالحسن، وألقابه أربعة: الكـاظم، والصـابر، والصـالح، والأمين، والأول هو الأشهر. وصفته معتدل القامة، أسمر. وهو الوارث لأبيه رضي الله عنهما علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً. سمّي بالكاظم لكظمه الغيظ، وكثرة تجاوزه وحلمه. وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان من أعبد أهل زمانه، وأعلمهم، وأسخاهم[١].

١. جوهرة الكلام، ص ١٣٩.

الدرس ٣٩

من فضائل الإمام الكاظمعليه السلام ومظاهر شخصيته (١)

١. وفور علمه

لقد شهد له بوفور علمه أبوه الإمام الصادقعليه السلام حين قال: «إنّ ابني هذا لو سألته عمّا بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم»[١].

وقال فيه: «وعنده علم الحكمة، والفهم، والسخاء، والمعرفة بما يحتاج إليه الناس، فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم»[٢].

ويكفي للدلالة على وفور علمه رواية العلماء عنه جميع الفنون من علوم الدين وغيرها ممّا ملأوا به الكتب، وألّفوا المؤلّفات الكثيرة، حتى عرف بين الرواة بالعالم. قال الشيخ المفيد: وقد روى الناس عن أبي‌الحسن موسىعليه السلام فأكثروا، وكان أفقه أهل زمانه[٣].

٢. عبادته وتقواه

نشأ الإمام في بيت القداسة والتقوى، وترعرع في معهد العبادة والطاعة، بالإضافة إلى ما ورثه عن آبائه من حب الله والإيمان به

---

١. بحار الانوار، ج ٤٨، ص ٢٤. ٢. بحار الانوار، ج ١٤٨، ص ١٢.
٣. الإرشاد، ص ٢٧٢.

والإخلاص له ؛ فقد قدّموا نفوسهم قرابين في سبيله، وبذلوا جميع ما لديهم في نشر دينه، والقضاء على الشرك والضلال. فأهل البيت عليهم السلام أساس التقوى، ومعدن الايمان، فلولاهم ما عَبَدَ اللهَ عابد، ولا وحّده موحِّد، وما تحقّقت فريضة، ولا أُقيمت سُنّة، ولا ساغت في الإسلام شريعة.

وحدّث المؤرخون أنّه كان أعبد أهل زمانه[١] حتّى لُقِّب بالعبد الصالح، وزين المجتهدين؛ إذ لم ترَ عين إنسانٍ نظيراً له قطّ في الطاعة والعبادة. ونشير إلى نماذج من مظاهر طاعته وعبادته:

أ ـ صلاته: إنّ أجمل الساعات وأثمنها عند الإمام عليه السلام هي الساعات التي كان يخلو بها مع الله عزّ اسمه، حيث كان يُقبل عليه بجميع مشاعره وعواطفه. وقد ورد: أنّه إذا وقف بين يدي الله تعالى مصليّاً أو مناجياً أو داعياً أرسل ما في عينيه من دموع، وخفق قلبه، واضطرب خوفاً منه، مستغرقاً أغلب أوقاته في الصلاة، فكان يصلّي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح، ثم يعقّب حتى تطلع الشمس، ويخرّ لله ساجداً، فلا يرفع رأسه من الدعاء والتمجيد حتى يقرب زوال الشمس[٢].

ومن مظاهر طاعته أنّه دخل مسجد النبي صلى الله عليه وآله في أوّل الليل فسجد سجدة واحدة وهو يقول بنبرات تقطر إخلاصاً وخوفاً منه:

«عظم الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوىٰ، ويا أهل المغفرة»، وجعل يردّد هذه الكلمات بإنابة وخشوع وبكاء حتى أصبح الصبح.[٣]

---

١. جوهرة الكلام، ص ١٣٩. ٢. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٢٨.
٣. وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٩٣ وكنز اللغة، ص ٧٦٦.

ولمّا أودعه طاغية زمانه هارون الرشيد في ظلمات السجون تفرّغ للطاعة والعبادة حتى بَهَر بذلك العقول وحيّر الألباب، وشكر الله على تفرّغه لطاعته قائلاً:

«اللهمَّ، إنّي طالما كنت أسألك أن تفرّغني لعبادتك، وقد استجبت منّي، فلك الحمد على ذلك...»[1].

لقد ضرب الإمام الكاظم عليه السلام المثل الأعلى للعبادة، فلم يضارعه أحد في طاعته وإقباله على الله تعالى، حتّى ذابت نفسه في حبّه تعالى.

وحدّث الشيباني[2] عن عبادته فقال: كانت لأبي الحسن موسى عليه السلام في بضع عشرة سنة سجدة في كلّ يوم بعد ابيضاض الشمس إلى وقت الزوال[3].

وقد اعترف عدوّه هارون الرشيد بأنّه المثل الأعلى للإنابة والإيمان، وذلك حينما أودعه في سجن الربيع[4]، فكان يطلّ من أعلى القصر فيرى ثوباً مطروحاً في مكان خاصّ من البيت لم يتغيّر عن موضعه، فيتعجّب من ذلك ويقول للربيع: ما ذاك الثوب الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع؟!

فيجيبه الربيع: يا أمير المؤمنين: ما ذاك بثوب، وإنّما هو موسى بن

---

١. وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٩٣ والمناقب، ج ٤، ص ٣١٨.

٢. الشيباني، هو أبوعبدالله محمّد بن الحسن مولى لبني شيبان، حضر مجلس أبي حنيفة سنين، وقرأ على أبي يوسف، وصنّف الكتب الكثيرة ونشر علم أبي حنيفة. توفّي بالريّ سنة ١٨٧هـ وهو ابن ثمان وخمسين سنة، أُنظر طبقات الفقهاء، ١١٤.

٣. حياة الإمام موسى بن جعفر، ج ١، ص ١٤٠ عن بحار الأنوار.

٤. كان الربيع بن يونس حاجباً للمنصور ثم صار وزيراً له بعد أبي أيوب، وكان المنصور كثير الميل إليه، حسن الاعتماد عليه. توفي الربيع سنة ١٧٠هـ، أُنظر وفيات الأعيان، ١، ٢٣١ ـ ٢٣٣، ط. بولاق.

جعفر، له في كلّ يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال.

فيبدي هارون إعجابه قائلاً: أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم!

وهنا طلب الربيع منه أن يطلق سراحه ولا يضيّق عليه قائلاً: يا أميرالمؤمنين، مالكَ قد ضيّقت عليه في الحبس؟!

فأجابه هارون قائلاً: هيهات! لابد من ذلك[1].

ب ـ صومه: كان الإمام عليه السلام يصوم في النهار، ويقوم مصلّياً في الليل، خصوصاً لمّا سجنه هارون؛ اذ لم يترك العبادة المستحبة بجميع أنواعها من صوم وغيره، وهو يشكر الله ويحمده على هذا التفرّغ للعبادة.

ج ـ حجّه: وما من شيء أحبّه الله وندب إليه إلّا فعله الإمام عليه السلام عن رغبة وإخلاص، فمن ذلك أنّه حجّ بيت الله ماشياً على قدميه، والنجائب تُقاد بين يديه. وقد حجّ معه أخوه علي‌بن جعفر وجميع عياله أربع مرّات، وحدّث علي‌بن جعفر عن الوقت الذي قطعوا به طريقهم فقال: كانت السفرة (الأُولىٰ) ستة وعشرين يوماً، و(الثانية) كانت خمسة وعشرين يوماً، و(الثالثة) كانت أربعة وعشرين يوماً، و(الرابعة) كانت واحداً وعشرين يوماً[2].

وكان في أغلب أسفاره إلى بيت الله يتنكّب الطريق، (وينفرد عن الناس)؛ لشدّة تعلّق قلبه وفكره بالله تعالى.

د ـ تلاوته للقرآن: كان الذكر الحكيم رفيق الإمام في خلواته وصاحبه

---

١. حياة الإمام موسى‌بن جعفر، ج ١، ص ١٤٠ ـ ١٤٤، باقر شريف القرشي.

٢. المصدر نفسه.

في وحشته، وكان يتلوه بإمعان وتدبّر، وكان من أحسن الناس صوتاً به، فإذا قرأ يُبكي السامعين لتلاوته[١].

وحدَّث حفص عن كيفية تلاوته للقرآن فقال: وكانت قراءته حزناً، فإذا قرأ فكأنّه يخاطب إنساناً[٢].

٣. زهده

كان الإمام في طليعة الزاهدين في الدنيا والمعرضين عن زخارفها، فقد اتّجه إلى الله، ورغب فيما أعدّه للمتقين في دار الخلود من النعيم والكرامة. وقد حدّثنا عن زهده إبراهيم‌بن عبدالحميد فقال: دخلت عليه في بيته الذي كان يصلّي فيه، فإذا ليس في البيت شيء سوىٰ خصفة، وسيف معلّق، ومصحف[٣].

لقد كان عيشه زهيداً، وبيته بسيطاً، فلم يحتوِ على شيء حتى الأمتعة البسيطة التي تجدها في بيوت الفقراء، على أنّه كانت تجبى له الأموال الطائلة، والحقوق الشرعية من شيعته، كما أنّه كان يملك البسرية وغيرها من الأراضي الزراعية التي تدرّ عليه الأموال الخطيرة.

وقد «أنفق» جميع ذلك بسخاء على البائسين والمحرومين في سبيل الله وابتغاء مرضاته.

وكان عليه السلام يتلو باستمرار على أصحابه سيرة أبي‌ذر الصحابي العظيم

---

١. المناقب، ج ٤، ص ٣١٨.
٢. حياة الإمام موسى‌بن جعفر، ج ١، ص ١٤٨.
٣. حياة الإمام موسى‌بن جعفر، ج ١، ص ١٤٩. الخصفة: بساط أو حصير يُعمل من الخوص (ورق النخل).

الذي ضرب المثل الأعلى لنكران الذات، والتجرّد عن الدنيا، والزهد في ملاذها، بقولهﷺ: «رحم الله أبا ذر فلقد كان يقول: جزىٰ الله الدنيا عـنّي مذمّة بعد رغيفين من الشعير، أتغذّى بأحدهما وأتعشّى بـالآخر، وبـعد شملتي الصوف، أئتزر بإحداهما وأتردّى بالأُخرىٰ...»[1].

١. أُصول الكافي، ج ٢، ص ١٣٤.

الخلاصة:

* عرف الإمام الكاظم عليه السلام بالحكمة ووفور العلم حتى روى عنه الناس فأكثروا.
* كان أعبد أهل زمانه وأتقاهم حتّى لُقّب بالعبد الصالح، وزين المجتهدين؛ حيث ضرب المثل الأعلى للاجتهاد في عبادة الله وطاعته.
* وكان يشكر الله تعالى في السجن؛ لتفرّغه للعبادة، كما كان عيشه زهيداً جداً؛ لتجرّده من الدنيا وإعراضه عنها بالرغم من إنفاقه السخي الذي كان يضرب به المثل في عصره.

الأسئلة:

١. كيف توضح وفور علم الإمام الكاظم عليه السلام؟
٢. اذكر أهم مظاهر عبادة الإمام الكاظم عليه السلام.
٣. ما هي مميّزات حجّ الإمام الكاظم عليه السلام؟
٤. لماذا كان الإمام الكاظم عليه السلام يضرب المثل لأصحابه بسيرة أبي ذر رضي الله عنه؟

الدرس ٤٥

من فضائل الإمام موسى الكاظم عليه السلام ومظاهر شخصيّته (٢)

٤. جوده وسخاؤه

لقد تجلّى الكرم الواقعي والسخاء الحقيقي في سيرة الإمام الكاظم عليه السلام، حتى صار مضرب المثل للكرم. وفزع إليه البائسون والمحرومون لينقذهم من كابوس الفقر. وقد ذكر المؤرخون أنّه أنفق عليه السلام جميع ما عنده عليهم، كلّ ذلك في سبيل الله لم يبتغ من أحد جزاءً ولا شكوراً. وكان عليه السلام في صِلاته كتوماً؛ لئلا يشاهد على الآخذ ذلّة الحاجة، ملتمساً بذلك وجه الله ورضاه، ولهذا كان يخرج في ظلام الليل فيصل الطبقة الضعيفة ببرّه وإحسانه، وهي لا تعلم من أيّ جهة تصلها تلك المبرّة، وكان يصلهم بصِراره التي كانت تتراوح ما بين مئتي دينار إلى أربعمائة دينار[1]، وكان يضرب المثل بتلك الصرار فيقال: عجباً لمن جاءته صِرار موسىٰ وهو يشتكي القلّة والفقر![2].

---

١. تأريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٨. صِرار: جمع صُرّة وهي الوعاء الذي يُجعل فيه المال.

٢. عمدة الطالب، ص ١٨٥.

وبلغ من عطفه المستفيض أنّه إذا بلغه عن شخص مـا يؤذيه ويسـيء إليه بعث له بصرّة فيها ألف دينار[١]. لقد كانت هـباته السـرّية وصـلاته الخفيّة تقوم بإعاشة فقراء يثرب، فكانوا جميعاً يرتعون بنعمته ويـعيشون من عطاياه.

وحدّث عيسى بن محمّد القرطي قال: زرعت بطيخاً وقثّاء وقـرعاً[٢] في موضع بالجوانية[٣] على بئر يقال لها أم عـضام، فـلمّا قـرب الخـير واستوى الزرع بغتني الجراد فأتىٰ على الزرع كلّه، وكنت قد غرمت عليه مع ثمن جملين مئة وعشرين ديناراً، فبينما أنا جالس إذ طلع عليَّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فسلّم ثم قال لي: «كيف حالك؟»

فقلت: أصبحت كالصريم[٤]: بغتني الجراد فأكل زرعي.

فقال له: «كم غرمت فيه؟»

فقلت: مئة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين.

فالتفت عليه السلام لعرفة، وقال له: «زن لابن المغيث مائة وخمسين ديناراً»، ثم قال لعيسى: «فربحك ثلاثون ديناراً مع الجملين»[٥].

ودخل على الإمام عليه السلام فقير يسأله العطاء فأراد عليه السلام اختباره ليكرمه على مقدار معرفته، فقال له: «لو جُعل لك التمنّي في الدنيا ما كنت تتمنّى؟».

قال: كنت أتمنّى أن أُرزق التقيّة في ديني وقضاء حقوق إخواني.

---

١. تأريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٧.
٢. القرع: نوع من اليقطين، الواحدة قرعة.
٣. الجوّانيّة: بالفتح وتشديد ثانيه، وكسر النون وياء مشدّدة: موضع أو قرية قرب المدينة، جاء ذلك في معجم البلدان، ج ٢، ص ١٧٥، ط. طبع بيروت.
٤. الصريم: الأرض المحصود زرعها.
٥. تأريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٩ وكشف الغمّة، ج ٢، ص ٢١٧.

فاستحسن عليه السلام جوابه وأمر بأن يُعطى ألفي دينار[١].

ومن آيات كرمه عليه السلام أنّه أولَم وليمة في مناسبة لبعض أولاده، فأطعم أهالي يثرب إطعاماً شاملاً ثلاثة أيام، فعابه على ذلك بعض حسّاده، فقال عليه السلام :

«ما آتى الله نبيّاً من أنبيائه شيئاً إلّا وقد آتىٰ محمّداً صلى الله عليه وآله وزاده ما لم يؤتهم، قال تعالى لسليمان بن داود: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾».[٢]

وكان عليه السلام يقول: «من موجبات المغفرة إطعام الطعام»[٣].

وكان عليه السلام لا يرى للمال قيمة سوى ما يردّ به جوع جائع أو يكسو به عارياً، وقد تلقّىٰ هذه الصفة الرفيعة من آبائه الذين ضربوا في ذلك أسمى الأمثلة.

٥. حلمه

لقد كان الحلم من أبرز صفات الإمام موسى عليه السلام ، فقد كان مضرب المثل في حلمه وكظمه للغيظ، وكان يعفو عمّن أساء إليه، ويصفح عمّن اعتدى عليه، ولم يكتف بذلك وانّما كان يحسن إليهم، ويغدق عليهم بالمعروف ؛ ليمحو بذلك روح الشرّ والأنانية من نفوسهم.

وقد ذكر المؤرخون أنّ شخصاً من أحفاد عمر بن الخطّاب كان يسيء للإمام عليه السلام ويكيل السبّ والشتم لجدّه أمير المؤمنين عليه السلام، فأراد بعض شيعة

---

١. وسائل الشيعة ، ج ٦، ص ٢٢٣ وأُنظر الأنوار البهيّة، ص ١٦٠.

٢. فروع الكافي ، ج ٦، ص ٢٨١ والآية ٣٩ من سورة ص.

٣. حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، ج ١، ص ١٥٥ عن وسائل الشيعة.

الإمام اغتياله فنهاهم؈ عن ذلك، ورأى أن يعالجه بغير ذلك فسأل عن مكانه فقيل: إنّه يزرع في بعض نواحي المدينة، فركب؈ بغلته ومضىٰ إليه متنكّراً، فوجده في مزرعته، فأقبل نحوه فصاح به العمري: لا تطأ زرعنا. فلم يعتنِ الإمام إذ لم يجد طريقاً يسلكه غير ذلك، ولما انتهىٰ إليه جلس إلى جنبه وأخذ يلاطفه ويحدّثه بأطيب الحديث، وقال له بلطف ولين:

«كم غرمت في زرعك هذا؟». فقال له: مائة دينار.

فقال؈: «كم ترجو أن تصيب منه؟».فقال: أنا لا أعلم الغيب!

قال له الإمام: «إنّما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك منه؟». فقال: أرجو أن يجيئني منه مئتا دينار.

فأعطاه؈ ثلاثمئة دينار، وقال: «هذه لك وزرعك على حاله». فتغيّر العمري، وخجل من نفسه على ما فرّط في حقّ الإمام، وتركه؈ ومضى إلى الجامع النبوي، فوجده قد سبقه، فلمّا رأى الإمام؈ مقبلاً قام إليه تكريماً وأخذ يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء.

فبادر إليه أصحابه منكرين عليه هذا الانقلاب، فأخذ يخاصمهم، ويتلو عليهم مناقب الإمام ومآثره، ويدعو له. فالتفت؈ إلى أصحابه قائلاً: «أيما كان خيراً؟ ما أردتم أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار؟»[1].

ومن آيات حلمه؈ أنّه اجتاز على جماعة من حسّاده وأعدائه، وكان فيهم ابن هيّاج فأمر بعض أتباعه أن يتعلّق بلجام بغلة الإمام؈ ويدّعيها، فمضى الرجل إلىٰ الإمام وتعلّق بزمام بغلته فادّعاها له. فعرف الإمام

---

١. تأريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٨ ـ ٢٩ وكشف الغمّة، ج ٢، ص ٢٢٨.

غايته فنزل عن بغلته وأعطاها له[١]. وكان عليه السلام يوصي أبناءه بالتحلّي بهذه الصفة الرفيعة، ويأمرهم بالصفح عمّن أساء إليهم، فقد جمعهم وأوصاهم بذلك فقال:

«يا بني إنّي أُوصيكم بوصيّة من حفظها انتفع بها، إذا أتاكم آت فأسمع أحدكم في الأُذن اليمنىٰ مكروهاً ثم تحوّل إلى اليسرى فاعتذر لكم وقال: إنّي لم أقل شيئاً، فاقبلوا عذره...»[٢].

٦. إرشاده وتوجيهه

لقد قام الامام عليه السلام بدور مهمّ في إنقاذ جماعة ممّن أغرتهم الدنيا وجرفتهم بتيّاراتها، وببركة إرشاده ووعظه لهم تركوا ما هم فيه من الغيّ والضلال وصاروا من صالحي المؤمنين.

وقد ذكر المؤرّخون قصّته مع بشر الحافي الذي كان في بداية أمره ـ كما يُقال ـ يتعاطى الشراب ويقضي لياليه وأيامه باللهو، فاجتاز الإمام عليه السلام على داره ببغداد، فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تعلو من داره، وخرجت منها جارية وبيدها قمامة[٣] فرمت بها في الطريق، فالتفت الإمام إليها قائلاً:

«يا جارية صاحب هذه الدار حرّ أم عبد؟» فقالت: حر.

فقال لها: «صدقتِ، لو كان عبداً لخاف مولاه».

ودخلت الجارية الدار، وكان بشر علىٰ مائدة السُكر، فقال لها: ما

---

١. بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢٨.
٢. الفصول المهمّة (لابن الصبّاغ)، ص ٢٣٥.
٣. القمامة: الكناسة و زبالة البيت.

أبطأكِ؟ فنقلت له ما دار بينها وبين الإمام. فخرج بشر مسرعاً حتى لحق بالإمام فتاب على يده، واعتذر منه، وبكى[1]. وبعد ذلك أخذ يجدّ في تهذيب نفسه، واتّصل بالله عن معرفة وإيمان حتى فاق أهل عصره في الورع والزهد، وقال فيه إبراهيم الحربي:

«ما أخرجتْ بغداد أتمّ عقلاً، ولا أحفظ للسانه، من بشربن الحارث كان في كلّ شعرة منه عقل»[2].

وممّن أرشدهم الإمام إلى طريق الحقّ: الحسن بن عبدالله؛ فقد كان شخصية مرموقة عند الملوك، زاهداً في الدنيا يأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، فاجتمع بالإمامعليه السلام فقال له:

«يا أبا علي، ما أحب إليّ ما أنت عليه، وأسرّني به، إلّا أنّه ليست لك معرفة، فاطلب المعرفة».فقال: وما المعرفة؟

فقال لهعليه السلام: «تفقّه واطلب الحديث».

فذهب الرجل فكتب الحديث عن مالك وعن فقهاء أهل المدينة، وعرضه على الإمام فلم يرضَعليه السلام ، وأرشده إلى فقه أهل البيت، وأخذ الأحكام منهم، والاعتراف لهم بالإمامة، فانصاع الرجل لذلك واهتدىٰ[3].

٧. إحسانه إلى الناس

ما قصده أحد في حاجة إلّا قام بقضائها، وكانعليه السلام يرى أنّ إدخال الغبطة على الناس، وقضاء حوائجهم من أهم أفعال الخير، فلذا لم يتوان قطّ في إجابة المضطر، ورفع الظلم عن المظلوم. وقد أباح لعليبن يقطين

---

١. الكنى والألقاب، ج ٢، ص ١٥٠ نقلاً عن منهاج الكرامة للعلّامة.

٢. تأريخ بغداد، ج ٧، ص ٧٣.

٣. المناقب (لابن شهر آشوب)، ج ٤، ص ٢٨٨.

الدخول في حكومة هارون وجعل (كفّارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان)، وقد فزع إليه جماعة من المنكوبين، فكشف آلامهم وملأ قلوبهم رجاءً ورحمةً.

ومن هؤلاء الذين أغاثهم الإمام عليه السلام شخص من أهالي الري، كانت عليه أموال طائلة لحكومة الري فلم يتمكّن من أدائها، وخاف على نعمته أن تسلب منه، فأخذ يطيل الفكر فيما يعمل. فسأل عن حاكم الري، فأُخبر أنّه من الشيعة، فنوىٰ السفر إلى الإمام؛ ليستجير به، فسافر إلى المدينة. فلمّا انتهىٰ إليها تشرّف بمقابلة الإمام، فشكا إليه حاله، فزوّده عليه السلام برسالة إلى والي الري، جاء فيها بعد البسملة:

«اعلم أنّ لله تحت عرشه ظلّاً لايسكنه إلّا من أسدى إلى أخيه معروفاً، أو نفّس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سروراً، وهذا أخوك والسلام...».

وبعد أدائه لفريضة الحج، اتّجه إلى وطنه، فلمّا وصل، مضى إلى الحاكم ليلاً، فطرق عليه باب بيته فخرج غلامه، فقال له: من أنت؟ فقال له: رسول الصابر موسىٰ.

فهرع إلى مولاه فأخبره بذلك، فخرج حافي القدمين باستقباله، فعانقه وقبّل ما بين عينيه، وجعل يكرّر ذلك ويسأله بلهفة عن حال الإمام عليه السلام، ثم مناوله رسالة الإمام فقبّلها وقام لها تكريماً، فلمّا قرأها أحضر أمواله وثيابه، فقاسمه في جميعها وأعطاه قيمة مالا يقبل القسمة، وهو يقول له: يا أخي! هل سررتك؟ فقال له: أي والله، وزدت على ذلك!.

ثم استدعى السجل فشطب جميع الديون التي عليه وأعطاه براءة منها، وخرج الرجل وقد طار قلبه فرحاً وسروراً. ورأى أن يجازيه على إحسانه ومعروفه فيمضي إلىٰ بيت الله الحرام فيدعو له، ويخبر الإمامعليه السلام بما أسداه إليه من البرّ والمعروف. ولما أقبل موسم الحج مضى إليه، ثم اتّجه إلى المدينة فواجه الإمام وأخبره بحديثه، فسرعليه السلام بذلك سروراً بالغاً، فقال له الرجل: يا مولاي: هل سرّك ذلك؟

فقال: «إي والله! لقد سرّني، وسرّ أميرالمؤمنين. والله لقد سرّ جدّي رسول اللهصلى الله عليه وآله، ولقد سرّ الله تعالى...»[1].

وهذا دليل على اهتمامه البالغ بشؤون المسلمين ورغبته الملحّة في قضاء حوائج الناس.

---

١. حياة الإمام موسى بن جعفر، ج ١، ص ١٦١ ـ ١٦٢.

الخلاصة:

* لقد تجلّىٰ الكرم بأسمى معانيه في سيرة الإمام الكاظم عليه السلام وكان لا يسمح للمحرومين أن ترىٰ ذلة الحاجة على وجوههم، حتى أصبحت صِرار موسى بن جعفر عليه السلام مضرب المثل في عصره.
* وأما حلم الإمام عليه السلام وشدة كظمه للغيظ فقد اشتهر وذاع حتى لُقِّب بالكاظم.
* وكان دور الإمام التوجيهي والتربوي لعامة الناس وخاصّتهم واضحاً للغاية؛ فقد اهتدى على يديه الكثيرون من معاصريه ممّن أصبحوا مضرب المثل في العرفان، والزهد، والانقطاع إلى الله تعالىٰ.

الأسئلة:

١. كيف تجلّىٰ كرم الإمام الكاظم عليه السلام؟
٢. لماذا لُقّب الإمام موسى بالكاظم عليه السلام؟
٣. اذكر نموذجاً من حلم الإمام عليه السلام وكظمه للغيظ.
٤. ما هو الدور الإرشادي والتربوي للإمام الكاظم عليه السلام؟
٥. اذكر بعض مظاهر الإحسان التي تجلّت في سلوك الإمام الكاظم عليه السلام.

الدرس ٤١

من تراث الإمام الكاظم عليه السلام

إنّ من غـرر أحـاديث الإمـام مـوسى‌بن جـعفر عليه السلام وصـيّته الثـمينة لهشام[1] بن الحكم، وإليك بعض مقاطعها:

«إنّ الله تبارك وتعالى بشَّرَ أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فـبشّر عبادِ * الذينَ يستمعون القولَ فيتَّبِعون أحسـنهُ أُولئكَ الّـذين هـداهُـم الله وأُولئكَ هم أُولوا الألباب﴾[2].

يا هشام‌بن الحكم، إنّ الله عزّوجلّ أكمل للـناس الحُـجج بـالعقول، وأفضى إليهم بالبيان، ودلَّـهُم على ربوبيّته بالأدلّاء، فقال: ﴿وَإلٰـهُكم إلٰـهٌ واحِدٌ لا إلٰهَ إلّا هو الرَّحمن الرحيم﴾[3]، ﴿إنَّ في خـلق السَّـماوات والأرض واختلافِ اللَّيل والنَّهارِ...لآياتٍ لقومٍ يعقِلون﴾[4]».

---

١. هو أبومحمّد، هشام‌بن الحكم البغدادي الكندي مولى بني‌شيبان، ممّن اتّفق الأصحاب على وثاقته وعِظَم قدره ورِفعة منزلته عند الأئمة عليهم السلام. وكانت له حوارات كثيرة مع المـخالفين في الأُصول وغيرها. صحب أباعبدالله وبعده أبـاالحسـن مـوسى عليهما السلام وكـان مـن أجـلّة أصحاب أبي عبدالله عليه السلام.

٢. الزمر: ١٧ ـ ١٨.

٣. البقرة: ١٦٣.

٤. البقرة: ٤.

يا هشام قد جَعلَ الله عزّوجلّ ذلك دليلاً على معرفته بأَنَّ لهُم مـدبِّراً، فقال: ﴿وسخَّر لكُم اللّيل والنّهار والشمس والقمر والنُّجوم مُسخَّراتٌ بأمره إنَّ في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون﴾[1]. وقـال: ﴿حم* والكتاب المبين* إنّـا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلَّكم تعقِلون﴾[2]، وقال: ﴿ومِنْ آياته يُريكم البرقَ خوفاً وطمعاً ويُنزِّل من السَّماءِ ماءً فيُحيي به الأرضَ بعدَ موتِها إنَّ في ذلِكَ لآياتٍ لقومٍ يعقِلون﴾[3].

يا هِشام، ثُمَّ وعظَ أهل العقل ورغَّبهُم في الآخِرة فقال: ﴿وما الحيوٰةُ الدُّنيا إلّا لَعِبٌ ولهوٌ وللدّارُ الآخِرَةُ خيرٌ لِلَّذينَ يتَّقُونَ أفلا تعقِلون﴾[4]، وقال: ﴿وما أُوتيتم من شيءٍ فمتاعُ الحيوٰةِ الدُّنيا وزينَتُها وما عندَ الله خيرٌ وأبقىٰ أفلا تعقِلون﴾[5].

يا هشام، ثمَّ خوَّف الّذين لا يعقلون عذابَه فقال عزّوجلّ: ﴿ثُمَّ دمَّرنا الآخرينَ* وإنَّكم لَتمُرُّون عليهم مصبِحينَ* وباللَّيلِ أفلا تَعقِلونَ﴾[6].

يا هشامُ، ثمَّ بيَّن أنَّ العقل مع العِلم فقال: ﴿وتِلك الأمثالُ نضرِبُها للناسِ وما يَعقِلُها إلّا العالِمُونَ﴾[7].

يا هشامُ، ثمَّ ذَمَّ الَّذينَ لا يَعقِلُونَ فقال: ﴿وإذا قيلَ لَـهُم اتَّبِعوا ما أنْزَلَ اللهُ قالوا بل نتَّبِعُ ما أَلفَينا عليه آباءَنا أولَو كان آباؤهم لا يعقِلونَ شـيئاً ولا يَـهْتَدوُنَ﴾[8]، وقـال: ﴿إنَّ شَـرَّ الدّوابِّ عـند الله الصُّـمُّ البُكـم الّـذينَ لا

---

١. النحل: ١٢.
٢. الزخرف: ١ ـ ٣.
٣. الروم: ٢٤.
٤. الأنعام: ٣٢.
٥. القصص: ٦٠.
٦. العنكبوت: ٤٣.
٧. البقرة: ١٧٠.
٨. البقرة: ١٧٠.

يعقِلونَ﴾[١]، وقال: ﴿ولَئِن سألتَهُم مَنْ خلقَ السمواتِ والأرضَ ليقولُنَّ الله قل الحمدُ للهِ بل أكثرُهم لا يعقِلون﴾[٢].

ثُمَّ ذمَّ الكثرةَ فقال: ﴿وإن تُطِع أكثرَ مَنْ في الأرضِ يُضلُّوكَ عن سبيلِ الله﴾[٣]، وقال: ﴿ولكنَّ أكثرَهُم لا يعْلَمُونَ﴾[٤]، ﴿وأكثرُهُم لا يشعُرُونَ﴾[٥].

يا هشام، ثمَّ مدحَ القِلّة فقال: ﴿وقليلٌ من عباديَ الشَّكور﴾[٦]. وقال: ﴿وقليلٌ ماهُم﴾[٧]، وقال: ﴿وما آمنَ معهُ إلّا قليلٌ﴾[٨].

يا هِشامُ، ثمَّ ذكرَ أُولي الألباب بأحسن الذِّكرِ وحلّاهُم بأحسن الحِليةِ، فقال: ﴿يؤتِي الحِكمَةَ مَن يَشاءُ ومن يؤتَ الحِكمةَ فقد أُوتِي خيراً كثيراً وما يذَّكَّرُ إلّا أُولوا الألبابِ﴾[٩].

يا هشام، إنّ الله يقول: ﴿إنَّ في ذلك لذِكرىٰ لمن كان لَهُ قلبٌ﴾[١٠]، يعني العقل، وقال: ﴿ولقد آتينا لُقمان الحِكْمةَ﴾[١١]، قال: الفهم والعقل.

يا هِشام، إنَّ لقمان قال لابنِهِ: تواضع للحق تَكُن أعقل النّاس[١٢]. يا بُنيَّ، إنَّ الدُّنيا بحرٌ عميقٌ قد غرِقَ فيه عالمٌ كثيرٌ، فلتكن سفينتُكَ فيها

---

١. الأنفال: ٢٢.

٢. هذه الآية ٢٥ من سورة لقمان، وفيها ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ كما في بعض نسخ الكافي، ولعلّه سهو وغفلة من الراوي أو اشتباه من النسّاخ.

٣. الأنعام: ١١٦.

٤. الأنعام: ٣٧.

٥. مضمون مأخوذ من آي القرآن.

٦. سبأ: ١٣.

٧. ص: ٢٣.

٨. هود: ٤٢.

٩. البقرة: ٢٦٩.

١٠. ق: ٣٦.

١١. لقمان: ١١، إلى هنا في الكافي تقديم و تأخير.

١٢. وزاد في الكافي: «وانّ الكيّس لدى الحقّ يسير».

تقوىٰ الله، وحشوها الإيمان[١]، وشِراعُها التَّوكُّلَ، وقيِّمُها العقل، ودليلُها العِلْمَ، وسُكّانُها الصبر.

يا هشام، لكلِّ شيءٍ دليلٌ، ودليلُ العاقِل التفكُّر، ودليل التفكُّر الصَّمتُ. ولِكُلِّ شيءٍ مطيَّةٌ، ومطيَّةُ العاقل التواضع[٢]، وكفى بكَ جهلاً أن تركَبَ ما نُهيتَ عنه.

يا هشام، لو كان في يدك جوزةٌ وقال النّاس: [في يدكَ] لؤلؤةٌ، ما كان ينفعُك وأنت تعلم أنّها جوزَةٌ. ولو كان في يدكَ لؤلؤةٌ وقال الناسُ: إنّها جوزةٌ، ما ضرَّكَ وأنتَ تعلمُ أنّها لؤلؤةٌ.

يا هشام، ما بعثَ الله أنبياءهُ ورسُلهُ إلى عبادهِ إلّا ليعقِلوا عن الله، فأحسنُهم استجابةً أحسنُهم معرفةً لله، وأعلمُهم بِأمرِ الله أحسنُهم عقلاً، وأعقلُهُم[٣] أرفعهم درجةً في الدُّنيا والآخرةِ.

يا هِشام، ما مِن عبدٍ إلّا ومَلَكٌ آخذٌ بناصيته، فلا يتواضعُ إلّا رفعهُ الله، ولا يتعاظَمُ إلّا وضعهُ الله.

يا هِشامُ، إنَّ لله على الناس حُجَّتين: حُجَّةٌ ظاهرة وحجّةٌ باطِنةٌ، فأمّا الظاهرةُ فالرُّسل والأنبياء والأئمّة، وأمّا الباطنةُ فالعقولُ.

يا هِشام، إنَّ العاقل: الّذي لا يشغل الحلالُ شكرَهُ، ولا يغلِبُ الحرامُ صبرَهُ.

---

١. الحشو: ما حشي به الشيء أي مُلىء به، والظاهر أنّ ضمير «فيها» يرجع إلى الدنيا، وضمير حشوها وما بعده يرجع إلى السفينة.

٢. في الكافي: مكان العاقل: «العقل» في الموضعين.

٣. في الكافي: «وأكملهم عقلاً».

يا هِشامُ، من سلَّطَ ثلاثاً على ثلاثٍ فكأنّما أعان هواهُ علىٰ هدم عقله: من أظلَمَ نور فكرِه[١] بطول أملِه، ومحا طرائِفَ حكمتِه بفضولِ كلامه، وأطفأ نور عبرتِه بشهوات نفسه، ومن هَدَمَ عقله أفسد عليه دينه ودنياهُ.

يا هشام، كيف يزْكو عند الله عملُكَ وأنتَ قد شغلْتَ عقلكَ عن أمرِ ربِّكَ، وأطعْتَ هواكَ علىٰ غلبَةِ عقلِكَ؟!

يا هِشامُ، الصَّبرُ على الوحدة علامةُ قوّة العقل، فمن عقَلَ عن الله تبارك وتعالى اعتزلَ أهلَ الدُّنيا والرّاغبين فيها، ورغبَ فيما عندَ ربِّه، [وكانَ الله] آنِسَهُ في الوحشةِ وصاحبَهُ في الوحدةِ، وغناهُ في العَيلةِ، ومُعِزَّهُ في غير عشيرةٍ[٢].

يا هِشام، نُصِبَ الخلقُ لطاعة الله[٣]، ولا نجاةَ إلّا بالطّاعةِ والطاعةُ بالعِلم، والعِلم بالتّعلُّمُ، والتعلُّمُ بالعقلِ يُعتقدُ[٤]. ولا عِلمَ إلّا من عالِمٍ ربّانيٍّ، ومعرِفةُ العالِم بالعقل.

يا هشامُ، قليلُ العملِ من العاقِل مقبولٌ مضاعفٌ، وكثيرُ العملِ من أهل الهوى والجهل مردودٌ.

يا هِشام، إنَّ العاقِل رضي بالدُّونِ من الدُّنيا مع الحِكمةِ، ولم يرضَ بالدُّونِ من الحِكمَةِ مع الدُّنيا، فلذلكَ ربِحَتْ تجارتُهُم.

---

١. في الكافي: «من أظلم نور تفكّره». ٢. العَيلة: الفاقة.
٣. نُصِبَ ـ من باب ضرب على صيغة المجهول ـ يعنى وضع. أو من باب التفعيل من نَصَبَ الأمير فلاناً: ولاه منصباً. وفي الكافي: «ونصب الحقّ لطاعة الله».
٤. اعتقد الشيء نقيض حلّه. وفي بعض النسخ: «يعتقل» وهو أيضاً نقيض حلّ، أي يمسك ويشدّ.

يا هِشام، إن كان يُغنيك ما يَكفيكَ فأدنىٰ ما في الدُّنيا يكفيك، وإن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدُّنيا يُغنيك.

يا هِشام، إنَّ العُقلاء تركوا فُضول الدُّنيا فكيف الذُّنوبُ؟! وتركُ الدُّنيا من الفَضلِ، وتركُ الذُّنوبِ من الفرضِ[١].

يا هِشام، إنَّ العُقلاء زهدوا في الدُّنيا ورغبوا في الآخرةِ؛ لأنَّهم عَلِموا أنَّ الدُّنيا طالبةٌ ومطلوبَةٌ، والآخِرةَ طالبةٌ ومطلوبةٌ. فمن طلب الآخِرةَ طلبتهُ الدُّنيا حتّى يستوفي منها رزقَهُ، ومن طلب الدنيا طلبتهُ الآخرة فيأتيه الموتُ فيُفسدُ عليه دنياهُ وآخرَته.

يا هِشام، من أراد الغنىٰ بلا مالٍ، وراحة القلب من الحسد والسَّلامة في الدِّين، فليتضرَّعْ إلى الله في مسألته، بأنْ يُكمل عقله، فمن عقل قنعَ بما يكفيهِ، ومن قَنَع بما يكفيهِ استغنىٰ، ومن لم يقنعْ بما يكفيهِ لمْ يُدرِكِ الغِنى أبداً[٢].

---

١. وزاد في الكافي: «يا هشام، إنّ العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنّها لا تنال الّا بالمشقّة، ونظر إلى الآخرة فعلم أنّها لا تنال إلّا بالمشقّة، فطلب بالمشقّة أبقاهما».

٢. راجع تمام هذه الوصية في الكافي، كتاب العقل والجهل، وانظر تحف العقول، القسم المختص بالإمام الكاظم عليه السلام.

الخلاصة:

* تُعدّ وصيّة الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم من أروع نصوص التراث الذي قدّمَه أهل البيت عليهم السلام إلى البشرية عامّة والأُمة الإسلامية خاصّة.

* وقد تضمّنت هذه الوصية الإشارة إلىٰ معالم المنهج العقلي الذي تفرّد به القرآن العزيز، كما تضمّنت معالم الشخصية الإسلاميّة للإنسان الكامل في ضوء الرؤية الاسلامية التي تعتبر العقل وفي سير وسلوك الانسان.

الأسئلة:

١ . تكلّم عن علاقة العقل بسائر الحجج الإلهية.

٢ . ما هو دور العقل في نيل معرفة الله سبحانه؟

٣ . من هم أُولو الألباب؟ وما هي خصائصهم؟

٤ . ما هي علاقة الصمت والتواضع بالعقل؟

٥ . لماذا يزهد العقلاء في الدنيا؟

المطالعة

يا هِشامُ، إنَّ اللهَ جلَّ وعَزَّ حكىٰ عن قومٍ صالحين أنَّهم قالوا: ﴿رَبَّنا لا تُزِغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وَهَب لنا من لدُنك رحمةً إنَّك أنتَ الوهّاب﴾[1]، حين عَلِمُوا أنَّ القُلوبَ تزيغُ وتعودُ إلى عَماها ورداها[2]. إنَّهُ لم يَخَفِ اللهَ من لم يعقِل عن الله، ومن لم يعقِل عن الله لم يعقِد قلبَهُ على معرفةٍ ثابتةٍ يُبصرها ويجدُ حقيقتها في قلبهِ. ولا يكونُ أحدٌ كذلِكَ إلّا من كانَ قولهُ لفِعله مصدِّقاً، وسرُّهُ لعلانيتِه موافقاً؛ لأنّ الله لم يَدُلَّ[3] على الباطِن الخفيِّ من العقل إلّا بظاهرٍ منهُ وناطِقٍ عنهُ.

يا هِشامُ، كان أميرالمؤمنينعليه السلام يقول: ما من شيءٍ عُبِدَ الله بـه[4] أفضلَ من العقلِ. وما تمَّ عقلُ امرىء حتّى يكون فيه خِصالٌ شتّى: الكفرُ والشرُّ منهُ مأمونانِ[5]، والرُّشدُ والخير منه[6] مأمولان، وفضل مالِه مبذولٌ، وفضل قولهِ مكفوفٌ. نصيبهُ من الدُّنيا القوتُ، ولا يشبع من العِلم دهرَهُ. الذُّلُّ أحبُّ إليهِ مع الله مِن العزِّ معَ غيره، والتَّواضُعُ أحبُّ إليه من الشَّرفِ. يستكثر قليل المعروفِ من غيرِه، ويستقِلُّ كثير المعروف من نفسه. ويرى النّاسَ كُلَّهُم خيراً منه، وأنَّهُ شرُّهُم في نفسه، وهو تمامُ الأمرِ[7].

---

١. آل عمران: ٧.

٢. الردى: الهلاك.

٣. في بعض النسخ: «لا يدل».

٤. في الكافي «ما عبدالله بشيء».

٥. الكفر في الاعتقاد والشرّ في القول والعمل والكلّ ينشأ من الجهل. وفي بعض النسخ: «مأمون».

٦. الرشد في الاعتقاد والخير في القول، والكلّ ناشىء من العقل. وفي بعض النسخ: «مأمول».

٧. أي ملاك الأمر وتمامه في أن يكون الإنسان كاملاً تامّ العقل هو كونه متّصفاً بمجموعة هذه الخصال.

يا هِشامُ، مَن صدقَ لسانُهُ زكا عملُهُ، ومن حَسُنت نيَّتُهُ زِيدَ في رزقِه، ومَن حَسُنَ بِرُّه بإخوانِه وأهله مُدَّ في عُمرِه.

يا هِشام، لا تَمنحوا الجُهّال الحِكمةَ فتظلِموها[١]، ولا تمنعوُها أهلَها فتظلِموهُم.

يا هِشام، كما تركوا لكم الحِكمةَ فاتركوا لهم الدُّنيا[٢].

يا هِشام، لا دينَ لِمَن لا مُروَّةَ لهُ، ولا مُرُوَّة لمن لاعقلَ له، وإنَّ أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدُّنيا لنفسه خطراً[٣]. أما إنَّ أبدانكم ليس لها ثمنٌ إلّا الجنَّةَ، فلا تبيعوها بغيرها.

يا هِشامُ، إنَّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان يقول: لا يجلِس في صدر المجلِس إلّا رجلٌ فيه ثلاثُ خِصالٍ: يُجيبُ إذا سُئِل، وينطِقُ إذا عجزَ القومُ عن الكلامِ، ويُشير بالرَّأي الَّذي فيه صلاحُ أهله، فمن لم يكن فيهِ شيءٌ مِنهنَّ فجلسَ فهوَ أحمق.

وقال الحسن بن عليّ عليهما السلام: إذا طلبتُم الحوائج فاطلبوها من أهلِها. قيل: يابن رسول الله، ومَن أهلُها؟ قال: الَّذين قصَّ الله في كتابِه وذكرَهُم، فقال: ﴿إنَّما يتذكَّر أُولوا الألباب﴾[٤]، قال: هم أُولوا العقول»[٥].

---

١. لا تمنحوا الجهّال: أي لا تعطوهم ولا تعلموهم. والمنحة: العطاء.

٢. في الكافي ههنا: «يا هشام، إنّ العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه».

٣. أي قدراً ورفعةً. والخطر: الحظّ والنصيب والقدر والمنزلة.

٤. الزمر: ١٢.

٥. راجع تمام الوصيّة في تحف العقول، أو أصول الكافي.

الدرس ٤٢

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: نشأته و مراحل حياته

النسب المشرق

الإمام الزكي أبومحمّد عليه السلام ثامن أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، مصدر الفيض والعطاء، ومصدر الخير والرحمة إلى الناس. هو ثمرة من ثمرات رسول الله صلى الله عليه وآله، وفرع مشرق من فروعه... .

فأبوه الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمّد الباقر ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام وليس في دنيا الأنساب أرفع ولا أزكى من هذا النسب.

وأُمه من النساء الماجدات في الإسلام، وهي أمة الّا أنّ هذا لا يُنقص من مكانتها؛ لأنّ الإسلام جعل المقياس في تفاوت الناس يدور مدار التقوىٰ والعمل الصالح، ولا أثر لغير ذلك.

اسمها تكتم، وقيل: الخيزران[١]، وأرْوىٰ[٢]، ونجمة[٣]، وأم البنين[٤].

---

١. تذكرة الخواصّ، ص ٣٦١؛ بحر الأنساب، ص ٢٨، وبحار الأنوار، ج ١٢، ص ٢.
٢. الصراط السويّ (للشيخاني القادري)، الورقة ١٦٩، مصوّر ونور الأبصار، ص ١٣٨.
٣. كشف الغمّة، ج ٣، ص ١٠٢.
٤. الإرشاد، ص ٣٤٢.

وكانت من العابدات المقبِلات على طاعة الله إقبالاً شديداً؛ فقد تأثّرت بسلوك زوجها الإمام الكاظمعليه السلام ، إمام المتّقين والمنيبين إلى الله تعالىٰ. وكان من مظاهر عبادتها أنّها لما ولدت الإمام الرضاعليه السلام قالت: أعينوني بمرضعة، فقيل لها: أنَقَص الدرُّ؟ قالت: ما أكذب، ما نقص الدرُّ، ولكن عليّ وِرد من صلاتي وتسبيحي[١].

وحين أشرقت الأرض بمولد الإمام الرضاعليه السلام ، استقبل الإمام الكاظم النبأ بمزيد من الابتهاج، مهنّئاً زوجته بوليدها.

ثم أخذ وليده، وقد لُفّ في خرقة بيضاء، وأجرى عليه المراسم الشرعية، فأذّن في أُذنه اليمنىٰ، وأقام في اليسرى، ودعا بماء الفرات فحنّكه به، ثم ردّه إلى أُمّه، وقال لها: «خذيه فإنّه بقيّة الله في أرضه»[٢].

وسمّىٰ الإمام الكاظمعليه السلام وليده المبارك باسم جدّه الإمام أميرالمؤمنين عليعليه السلام، تبرّكاً بهذا الاسم الذي يشير إلىٰ أعظم شخصية بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله .

ألقابه وكناه

لُقّب الإمام علي بالرضا، الصابر[٣]، الزكي[٤]، الوافي، سراج الله، قرّة عين المؤمنين[٥]، مكيدة الملحدين، الصدّيق[٦]، الفاضل[٧].

---

١. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٤. والدّر: اللبن.
٢. كشف الغمّة، ج ٣، ص ٨٨ وعيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٨.
٣. جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام، ص ١٤٣.
٤. الصراط السويّ، الورقة ١٩٩.
٥. تذكرة الخواصّ، ص ٣٦١ والدّر النظيم، ص ٢١٠.
٦. بحارالأنوار، ج ١٢، ص ٤.
٧. المصدر نفسه، ج ٤٩، ص ٢٣.

واعتاد أئمّة أهل البيت عليهم السلام أن يكنّوا أبناءهم منذ صغرهم، وهذا من محاسن التربية الإسلامية الهادفة إلى إشعار الطفل بأنّ له مكانة عند أهله. وقد كُني الإمام الرضا عليه السلام بما يلي:

١ . أبوالحسن: كنّاه بذلك أبوه الإمام موسى الكاظم عليه السلام، فقد قال عليه السلام لعلي بن يقطين: «يا علي هذا ابني ـ وأشار إلى الإمام الرضا عليه السلام ـ سيّدُ ولدي، وقد نحلته كنيتي»[١]. وكان الإمام الكاظم يكنّىٰ بأبي الحسن أيضاً، ولما كانت هذه الكنية مشتركة بينهما قيل للإمام الكاظم: أبوالحسن الماضي، وللإمام الرضا: أبوالحسن الثاني، وذلك للتفرقة بين الكنيتين.

٢ . أبوبكر: وهذه الكنية نادرة، ولم يعرف بها إلّا نادراً. قال أبو الصلت الهروي، سألني المأمون يوماً عن مسألة، فقلت: قال فيها أبوبكر كذا وكذا، فقال المأمون: من هو أبوبكر؟ أبوبكرنا، أو أبوبكر العامّة؟ قلت: أبوبكرنا.

قال عيسىٰ: قلت لأبي الصلت من هو أبوبكركم؟ فقال: علي بن موسىٰ، كان يكنّىٰ بها[٢].

والمشهور أنّه ولد في اليوم الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٤٨ هجرية[٣].

---

١. مقاتل الطالبين، ص ٥٦١.
٢. غاية الاختصار، ص ١٤٨ وبحر الأنساب، ص ٢٨ وأصول الكافي، ج ١، ص ٤٨٦ و الإرشاد، ٣٤١ والدرّ المسلوك، ص ١٣٩. مصوّر وأخبار الدول، ص ١١٤.
٣. راجع حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، ج ١ ص ٢٧.

هيبته ونقش خاتمه

لقد بدت على الامام الرضاعليه السلام هيبة الأنبياء والأوصياء الذين كساهم الله بنوره، وما رآه أحد إلّا هابه. وكان من هيبته أنّه إذا جلس للناس أو ركب لم يقدر أحد أن يرفع صوته من عظيم هيبته[1]. وروي أنّه إذا جاء إلى المأمون بادره الحجّاب والخدم بين يديه، ورفعوا له الستر.

أمّا النقش الذي كان على خاتم الإمام الرضاعليه السلام فهو:«وليي الله»[2] و«العزّة لله»[3].

مراحل حياته عليه السلام

١ . عاش الإمام الرضاعليه السلام مع أبيه الكاظم عليه السلام محنة الظلم والاستبداد العبّاسي، حتىٰ إذا بلغ الخامسة والثلاثين من عمره الشريف تقلّد مهامّ الإمامة، واستمرّ دوره حوالي عشرين عاماً.

٢ . اتّسم عهد الإمام الرضاعليه السلام بالانفتاح واطمئنان الجماهير الموالية لخطّ أهل البيت عليهم السلام ، خصوصاً بعد أن أصبح عليه السلام وليّاً لعهد المأمون تحت ضغوط وتهديدات كثيرة أُعملت من قبل المأمون العبّاسي تجاه الرضاعليه السلام.

٣ . عاش في المدينة إلى أن تمكّن المأمون من إمساك السلطة بعد التنافس مع أفراد أُسرته، فأجبر الإمام عليه السلام على الانتقال إلىٰ خراسان، فأقام بها إلى أن استشهد في آخر شهر صفر من سنة ٢٠٣ هجرية بالسمّ الّذي دسّه له المأمون العبّاسي، ودفن في المحل الذي يعرف به الآن[4].

---

١. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٧. ٢. دلائل الإمامة للطبري: ص ١٨٣.

٣. إعلام الورى، ج ٢، ص ٤١ وراجع عوالم العلوم للبحراني، ج ٢٢، ص ٤٧٧.

٤. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ١٦.

انطباعات عن شخصية الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

١ . لقد أشاد الإمام الكاظم عليه السلام بولده الإمام الرضا، وقدّمه على السادة الأجلّاء من أبنائه، وأوصاهم بخدمته، والرجوع إليه في أُمور دينهم، فقال لهم:

«هذا أخوكم، عليبن موسى، عالم آل محمّد صلى الله عليه وآله، سلوه عن أديانكم، واحفظوا مايقول لكم؛ فإنّي سمعت أبي(جعفربن‌محمّد) يقول لي:إنّ عالم آل محمّد صلى الله عليه وآله لفي صلبك، وليتني أدركته؛ فانّه سَمِيُّ أميرالمؤمنين...»[١].

٢ . وأعلن المأمون العبّاسي عن فضل الإمام الرضا عليه السلام في كثير من المناسبات، منها:

أ ـ أنّه قال للفضل بن سهل وأخيه: ما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل ـ يعني الإمام علي بن موسى ـ على وجه الأرض[٢].

ب ـ وأشاد بالإمام الرضا عليه السلام في رسالته ـ التي بعثها للعباسيين الذين نقموا عليه تقليده ولاية العهد للإمام عليه السلام ـ قائلاً:

ما بايع له المأمون ـ أي للإمام الرضا ـ إلّا مستبصراً في أمره، عالماً بأنّه لم يبق أحد على ظهرها ـ أي على ظهر الأرض ـ أبين فضلاً، ولا أظهر عفّة، ولا أورع ورعاً، ولا أزهد زهداً في الدنيا، ولا أطلق نفساً، ولا أرضى في الخاصة والعامّة، ولا أشدّ في ذات الله منه، وإن البيعة له لَموافقة لرضىٰ الربّ»[٣].

---

١. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٢٠٨. ٢. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ١٤.

٣. حياة الإمام عليّبن موسى الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٥٧.

٣ . وقال أبو الصلت عبدالسلام الهروي ـ وهو من أعلام عصره ـ: ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا، ولا رآه عالم إلّا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجلس له عدداً من علماء الأديان، وفقهاء الشريعة والمتكلّمين، فغلبهم عن آخرهم، حتى ما بقي منهم أحد إلّا أقر له بالفضل، وأقرَّ على نفسه بالقصور...[١].

٤ . وقال زعيم الإمامية محمّدبن محمّد النعمان العكبري البغدادي الملقّب بالشيخ المفيد: كان الإمام القائم بعد أبي‌الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ابنه أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام لفضله على جماعة إخوته وأهل بيته، وظهور علمه وحلمه وورعه، واجتماع الخاصة والعامة علىٰ ذلك فيه، ومعرفتهم به منه[٢].

---

١. الإرشاد، ص ٣٤١.
٢. النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٧٤.

الخلاصة:

* اعتنىٰ الإمام الكاظم عليه السلام بولده الامام الرضا عليه السلام بما يليق به كإمام معصوم، وهو يعدّه لمسؤوليات كبيرة في عصر ازدادت فيه الصراعات السياسية والمذهبية المنحرفة.

* نشأ الإمام الرضا عليه السلام وهو يحمل سيماء جدّه النبي صلى الله عليه وآله وهيبته وجلالته، وبدت منه أفضل الأخلاق، وأحمد السجايا، حتى عرف بين الناس بألقاب تدلّ علىٰ مظاهر الشرف والكرم في شخصيّته العظيمة.

* عاش في بيت هو فرع النبوّة، فنهل العلم والمعرفة والتقوىٰ والورع، وكلّ فضيلة يتحلّى بها الإنسان، وكما ربّىٰ أهل بيته وأصحابه على التمسّك بالدين والصلابة في الحقّ.

* وشمله الظلم الذي شمل آباءه منذ انحراف أمر الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، فعاش بعيداً عن ممارسة حقّه في التصرّف بشؤون السلطة في عصر اتّسم بالصراعات السياسية والفتن، التي أشعلها ذوو المصالح والأهواء والرغبة في السلطة من بني العبّاس.

الأسئلة:

١. متى ولد الإمام علي بن موسى وأين؟ ومتى استشهد وأين دفن؟

٢. من الذي نصّ علىٰ إمامة الرضا عليه السلام؟ اذكر بعض النصوص على ذلك.

٣. لماذا لقّب الإمام علي بن موسى بالرضا؟ ومن الذي لقّبه بذلك؟

٤. اذكر مظاهر الفضل التي شهد بها المأمون في عهده للإمام الرضا عليه السلام؟

للمطالعة

انطباعات عن شخصية الإمام الرضاعليه السلام

١ . قال ابن‌حجر: كان الرضا من أهل العلم والفضل مع شرف النسب...[١].

٢ . قال اليافعي: الإمام الجليل المعظّم، سلالة السادة الأكارم، علي بن موسى الكاظم، أحد الأئمة الاثني عشر، أُولي المناقب الذين انتسبت الإماميّة إليهم، وقصروا بناء مذهبهم عليهم...[٢].

٣ . قال الذهبي: هو الإمام أبوالحسن بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي‌طالب الهاشمي العلوي... وكان سيّد بني هاشم في زمانه، وأحلمهم، وأنبلهم، وكان المأمون يعظّمه، ويخضع له ويتغالى فيه، حتى إنّه جعله وليّ عهده...[٣].

فالذهبي الذي عرف بالبغض والعداء لأهل البيتعليهم السلام لم يسعه إلّا الاعتراف بالواقع والإقرار بفضل الإمام الرضاعليه السلام .

٤ . لمّا الشعراء المعاصرون للإمامعليه السلام فقد مدحوه بأنواع الثناء سوى أبي‌نؤاس، فعوتب على ذلك[٤] فقال:

---

١. مرآة الجنان، ج ٢، ص ١١.

٢. تأريخ الإسلام، ج ٨، الورقة ٢٤ وصوّر في مكتبة الإمام الحكيم، التسلسل ٣٢٣.

٣. ذكر ابن‌طولون في كتابه (الأئمة الاثنا عشر)، ٩٨ ـ ٩٩ أنّ أبانؤاس عوتب على ترك مدح الإمام، فقال له بعض أصحابه: ما رأيت أوقح منك، ما تركت خمراً ولا طوداً ولا مغني إلّا قلت فيه شيئاً، وهذا علي‌بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً؟! فقال: والله ما تركت ذلك إلّا إعظاماً له، وليس يقدر مثلي أن يقول في مثله، ثم أنشد بعد ساعة تلك الأبيات.

٤. خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢٠٠.

قيل لي أنت أوحد الناس طرّاً في فنون من المقال النبيه
لك من جوهر الكلام نظام يثمر الدرّ في يدي مجتنيه
فلماذا تركت مدح ابن‌موسى والخصال التي تجمّعن فيه؟
قلت: لا أهتدي لمدح إمامٍ كان جبريل خادماً لأبيه

وهذه‌الأبيات قدحفظها الناس جيلاً بعدجيل، واعتبروها من روائع‌الشعرالعربي.

٥ . خرج الإمام الرضا عليه السلام يوماً على بغلة فارهة، فدنا منه أبونؤاس، وسلّم عليه وقال له: يابن رسول الله قلت فيك أبياتاً أُحبّ أن تسمعها منّي. فقال له عليه السلام: «قل»، فقال أبونؤاس:

مطَهَّرون نقيّاتٌ ثيابُهُم تجري الصلاةُ عليهم كلّما ذُكروا
من لم يكن علوياً حين تَنسِبُه فما له في قديم الدهر مفتَخَرُ
أُولئك القوم أهلُ‌البيت عندهمُ علُم‌الكتاب وما جاءت به السُوَرُ[١]

وأعجب الإمام بهذه الأبيات فقال لأبي نؤاس: «قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد...»

ثم التفت إلى غلامه فقال له: «ما معك من فاضل نفقتنا؟» فقال: ثلاثمئة دينار. قال عليه السلام: «ادفعها له»، ثم لما ذهب إلى بيته، قال لغلامه: «لعلّه استقلّها؟ سُق إليه البغلة»[٢].

٦ . وقال دِعْبِل في‌مدح الإمام‌الرضا عليه السلام وفي رثائه:

لقد رحل ابنُ‌موسى بالمعالي وسار بيسره العلم الشريف
وتابعه الهدى والدين طُرّاً كما يتبع الألف الأليف[٣]

---

١. الإتحاف بحبّ الأشراف، ص ٦٠ وكشف الغمّة، ج ٣، ص ١٠٧.
٢. ديوان دعبل، ص ١٠٨.
٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٤.

٧ . أمّا الصاحب بن عبّاد الوزير فقد هام بحبّ الإمام الرضاعليه السلام ، وقد أهدىٰ تحياته العطرة إلى الإمام بهذه الأبيات:

يــا سـايراً زائـراً إلى طـوس	مشهدِ طـهرٍ وأرضِ تـقديس
أبلغ سلامي الرضا وحطّ على	أكـرم رمس لخـير مـرموس
والله والله حـــلفة صــدرت	من مخلص في الولاء مغموس
إنّــي لو كــنت مـالكاً أربـي	كان بـطوس الفـنّاء تـعريسي
لمشـــهد بـــالزكاء مــلتحف	وبـالسنى والثـناء مأنـوس[1]

---

١. عيون أخبار الرضاعليه السلام ، ج ١، ص ٤.

الدرس ٤٣

من فضائل الإمام الرضا؈ ومظاهر شخصيّته (١)

لقد كانت شخصية الإمام الرضا؈ ملتقىً للفضائل بجميع أبعادها وصورها، فقد وهبه الله كلّ مكرمة، وحباه بكل شرف، وجعله علماً لأُمّة جدّه، يهتدي به الحائرون، ويرشد به الضالون، وتستنير به العقول.

لقد كانت أخلاقه نفحة من أخلاق جدّه الرسول الأعظمﷺ الذي امتاز على سائر النبيين بهذه الظاهرة الكريمة؛ اذ استطاع بسمو أخلاقه أن يرتقي بحياة الإنسان، وينقذه من أوحال الجاهلية، وإليك لمحات من مكارم أخلاقه:

١. تواضعه

لقد تقلّد الامام؈ ولاية العهد ولكنّه لم يأمر أحداً من مواليه وخدمه بأداء الكثير من شؤونه حتى قيل إنّه احتاج إلى الحمّام فكره أن يأمر أحداً بتهيئته له، ومضى إلىٰ حمّام في البلد لم يكن صاحبه يظنّ أنّ ولي العهد يأتي إلى الحمّام في السوق؛ فإنّ حمّامات الملوك في قصورهم.

ولمّا دخل الإمام الحمّام كان فيه جندي، فأزال الإمام عن موضعه،

وأمره أن يصبّ الماء على رأسه، ففعل الإمام ذلك، ودخل الحمّام من كان يعرف الإمام، فصاح بالجندي: هلكت، أتستخدم ابن بنت رسول الله ﷺ؟

فخاف الجندي، ووقع على الإمام يقبّل أقدامه، ويقول له متضرّعاً: يابن رسول الله! هلّا عصيتني إذ أمرتُك؟

فتبسّم الإمام في وجهه، وقال له برفق ولطف: «إنّها لمثوبة، وما أردت أن أعصيك فيما أُثابُ عليه»[١].

وكان إذا جلس على مائدة أجلس عليها مماليكه حتى السايس والبوّاب[٢].

وقال له رجل: والله ما على وجه الأرض أشرف منك أباً.

فقال عليه السلام: «التقوىٰ شرّفتهم، وطاعة الله أحفظتهم».

وقال له شخص آخر: أنت والله خير الناس...فرّد عليه قائلاً:

«لا تحلف يا هذا، خيرٌ منّي من كان أتقىٰ لله عزّوجلّ، وأطوع له، والله ما نُسخت هذه الآية: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾»[٣].

٢. زهده

وقد تحدّث عن زهده محمّد بن عبّاد حيث قال: كان جلوس الرضا على حصيرة في الصيف، وعلى مسح[٤] في الشتاء، ولباسه الغليظ من

---

١. نورالأبصار، ص ١٣٨.

٢. راجع الكافي، ج ٨ ص ٢٣٠، المناقب لابن شهرآشوب، ج ٤، ص ٢٦١. السايس: القائم بالأمر.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٣٦ والآية ١٣ من سورة الحجرات. الحيف: الظلم.

٤. المسح: الكساء من الشعر.

الثياب، حتى إذا برز للناس تزيّن لهم[١].

وروي: أنّه التقاه سفيان الثوري، وكان الإمام قد لبس ثوباً مـن خَـزّ، فأنكر عليه ذلك وقال له: لو لبست ثوباً أدنىٰ من هذا؟ فأخذ الإمام عليه السلام يده برفق، وأدخلها في كُمّه، فإذا تحت ذلك الثوب مسح، وقال عليه السلام له:

«يا سفيان، الخزّ للخلق، والمسح للحقّ...»[٢].

وحينما تقلّد ولاية العهد لم يحفل بأيّ مظهر من مظاهر السلطة، ولم يُقِم لها أيّ وزن، ولم يرغب في أي موكب رسميّ، وكره مظاهر العظمة التي يقيمها الناس لملوكهم.

٣. سخاؤه

ولم يكن شيء في الدنيا أحبّ إلى الإمام الرضا عليه السلام من الإحسان إلى الناس، والبرّ بالفقراء. وقد نقلت بوادر كثيرة من جوده وإحسانه كان منها ما يلي:

١. إنّه أنفق جميع ما عنده على الفقراء حينما كان في خراسان، وذلك في يوم عرفة، فأنكر عليه الفضل بن سهل، وقال له: إنّ هذا المَغْرَم...

فأجابه الإمام: «بل هو المَغْنَم، لاتحدّث مغرماً ما ابـتغيت بـه أجـراً وكرماً»[٣].

يرىٰ الامام عليه السلام أنّه ليس من المغرم صلة الفقراء والإحسان إلى الضعفاء،

---

١. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٧٨ والمناقب، ج ٤، ص ٣٦١.
٢. المناقب، ج ٤، ص ٣٦٠. المسح: ثوب خشن.
٣. المناقب، ج ٤، ص ٣٦١.

ابتغاء مرضاة الله تعالى، وإنّما المغرم الإنفاق بغير وجه مشروع كإنفاق الملوك والوزراء الأموال الطائلة على المغنيّن والعابثين.

٢ . ووفد عليه رجل فسلّم عليه وقال له: أنا رجل من محبّيك ومحبّي آبائك، ومصدري من الحج، وقد نفذت نفقتي، وما معي ما أَبلُغُ مرحلة، فإن رأيت أن ترجعني إلى بلدي، فإذا بلغت تصدّقت بالذي تعطيني عنك.

فقال له: «اجلس رحمك الله»، وأقبل على الناس يحدّثهم حتّى تفرّقوا، وبقي هو وسليمان الجعفري وحيثمة، فاستأذن الإمام منهم، ودخل الدار، ثم خرج وردّ الباب وخرج من أعلى الباب وقال: «أين الخراساني؟» فقام إليه، فقال عليه السلام له: «خذ هذه المئتي دينار واستغنِ بها في مؤونتك ونفقتك، ولا تتصدّق بها عنّي». وانصرف الرجل مسروراً قد غمرته نعمة الإمام. والتفت إليه سليمان فقال له: جعلت فداك لقد أجزلت ورحمت، فلماذا سترت وجهك عنه؟.

فأجابه عليه السلام : «إنّما صنعت ذلك مخافة أن أرى ذلّ السؤال في وجهه لقضائي حاجته. أما سمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: المستتر بالحسنة تعدل سبعين حجّة، والمذيع بالسيئة مخذول...أما سمعت قول الشاعر:

متى آته يوماً لأطلب حاجة   رجعت إلى أهلي ووجهي بمائه»[1]

٣ . ومن بوادر جوده وكرمه أنّ فقيراً قال له: أعطني على قدر مروّتك...

فأجابه الإمام: «لا يسعني ذلك...»

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٤٢٨ وراجع عوالم العلوم للبحراني، ج ٢٢، ص ١٩٩.

والتفت الفقير إلى خطأ كلامه، فقال ثانياً: أعطني على قدر مروّتي...

وقابله الإمام ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً: «إذن نعم...» وأمر له بمئتي دينار[1].

إنّ مروءة الإمام لا تُقدّر بمقدار، ولذا لو أعطاه جميع ما عنده فإنّ ذلك ليس على قدر مروءته التي هي امتداد لمروءة جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

هذه بعض مظاهر كرمه، وهي تنمّ عن نفس خُلقت للإحسان والبرّ والمعروف.

٤. تكريمه للضيوف

كان عليه السلام يكرم الضيوف، ويغدق عليهم بنعمه وإحسانه، وكان يبادر بنفسه لخدمتهم. وقد استضافه شخص، وكان الإمام يحدّثه في بعض الليل فتغيّر السراج، فبادر الضيف لإصلاحه، فوثب الإمام وأصلحه بنفسه، وقال لضيفه: «إنّا قوم لا نستخدم أضيافنا»[2].

٥. عتقه للعبيد وإحسانه إليهم

لقد رُوي أنّه أعتق ألف مملوك[3]، وكان كثير البرّ والإحسان إليهم. وقد روىٰ عبدالله بن الصلت عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الإمام الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان، فدعا يوماً بمائدة، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة. فأنكر عليه ذلك وقال له:

---

١. الكافي، ج ٦، ص ٢٨٣.
٢. الإتحاف بحبّ الاشراف، ص ١٥٥.
٣. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١٠١.

«إنّ الربّ ـ تبارك وتعالىٰ ـ واحد، والأُم واحدة، والجزاء بالأعمال...»(١).

٦. علمه

الشيء البارز في شخصية الإمام الرضاعليه السلام هو إحاطته بجميع العلوم والمعارف، فقد كان ـ بإجماع المؤرخين ـ أعلم أهل زمانه، وأفضلهم، وأدراهم بأحكام الدين والفلسفة والطب وغيرها من سائر العلوم. وقد تحدّث عبد السلام الهروي عن سعة علومه، وكان مرافقاً له ، فقال:

ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا، ما رآه عالم إلّا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له عدداً من علماء الأديان، وفقهاء الشريعة والمتكلّمين، فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي منهم أحد إلّا أقرّ له بالفضل، وأقرّ له على نفسه بالقصور. ولقد سمعته يقول: «كنت أجلس في (الروضة) والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا عيّ الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم، وبعثوا إليّ المسألة فأُجيب عنها...»(٢).

ويقول إبراهيم بن العباس: ما رأيت الرضا يسأل عن شيء قطّ إلّا علم، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأوّل إلىٰ وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء فيُجيب...(٣).

وقد دلّت على ذلك مناظراته في خراسان والبصرة والكوفة حيث سئل عن أعقد المسائل، فأجاب عنها جواب العالم الخبير المتخصّص، وقد أذعن له علماء الدنيا في عصره، وأقرّوا له بالفضل والتفوّق عليهم.

---

١. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٣١٦.

٢. عيون أخبار الرضاعليه السلام، ج ٢، ص ١٨ وراجع عوالم العلوم، ج ٢٢، ص ١٧٩.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٥٠.

الخلاصة:

* جمع الإمام الرضا عليه السلام فضائل الأخلاق ، ومحاسن الصفات وكمالاتها، وكان ينهج في حياته نهج جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في علاقته مع الله تبارك وتعالىٰ ؛ إذ كان أعبد الناس وأرسخهم عقيدة وإيماناً ، يرتجي ثواب الله ورضاه في كلّ قول وفعل. وقد جاهد وصبر وصابر أمام أنواع البلاء من أجل الرسالة الإسلامية ؛ كي لا تندرس معالمها ولا تضيع أُصولها.

* وتعامل مع الناس بما يليق بمقامه السامي ، ومنزلته العالية ، ونفسه الكبيرة ، فكان محطّ الإعجاب والتقدير وكان بحقّ القدوة الحسنة للمسلمين جميعاً.

* ومن خلال نظرة سريعة الىٰ بعض أحوال الإمام عليه السلام نصل ـ دون تردّد ـ إلى عمق الوعي الرسالي الذي كان يملكه ، ووضوح الرؤية ، وقوّة الإرادة في تطبيقه لأحكام الإسلام ، وسعة علمه ، ودرايته بأحوال الأُمّة، ممّا جعله قادراً على تخطّي المرحلة التي كان يعيشها ليثبّت دعائم الرسالة في الأمة ، ويكشف الحقائق المحرّفة كما استطاع أن يُربّي ثلّة من العلماء المؤمنين بخطّ أهل البيت وحقّانية منهجهم خلال عقدين من الزمن.

الأسئلة:

١ . اذكر صوراً من تواضع الإمام الرضاعليه السلام .

٢ . ما هي مظاهر زهد الإمام الرضاعليه السلام ؟

٣ . كيف كان ينظر الإمام الرضاعليه السلام إلى الانفاق؟

٤ . كيف نتعلّم من مواقف الإمام عليه السلام إحياء كرامة الإنسان؟

٥ . كيف نستنتج من سعة علم الإمامعليه السلام أنّه مسدّد من الله؟

المطالعة

نماذج من علم الإمام الرضا عليه السلام

أولاً: معرفته بجميع اللّغات: روىٰ أبوإسماعيل السندي فقال: سمعت بالهند أنّ لله في العرب حجّة، فخرجت في طلبه، فدُلِلت على الرضا عليه السلام، فقصدته وأنا لا أحسن العربية، فسلّمت عليه بالسندية، فردّ عليّ بلغتي، فجعلت أكلّمه بالسندية، وهو يردّ عليّ بها، وقلت له: إنّي سمعت أنّ لله حجّة في العرب، فخرجت في طلبه، فقال عليه السلام: أنا هو. ثم قال لي: «سل عمّا أردته» فسألته عن مسائل فأجابني عليه السلام عنها بلغتي[1].

وقال أبوالصلت الهروي: كان الرضا عليه السلام يكلّم الناس بلغاتهم، فقلت له في ذلك فقال:

«يا أبا الصلت، أنا حجّة الله على خلقه، وما كان الله ليتّخذ حجّة على قوم، وهو لا يعرف لغاتهم. أوَما بلغك قول أميرالمؤمنين عليه السلام: أُوتينا فصل الخطاب، وهل هو إلّا معرفته اللغات؟!»[2].

ثانياً: علمه بالملاحم: أخبر الإمام الرضا عليه السلام عن كثير من الملاحم والأحداث قبل وقوعها، وتحقّقت بعد ذلك على الوجه الأكمل الذي أخبر به، وهي تؤكّد ـ بصورة واضحة ـ أصالة ما تذهب إليه الإمامية من أنّ الله تعالى قد منح أئمّة أهل البيت عليهم السلام المزيد من الفضل والعلم كما منح رسله. ومن بين ما أخبر به ما يلي:

١. روىٰ الحسن‌بن بشار قال: قال الرضا: «إنّ عبدالله ـ يعني المأمون ـ يقتل

---

١. المناقب، ج ٤، ص ٣٣٣.

٢. المناقب، ج ٤، ص ٣٣٥، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٠٩.

محمّداً ـ يعني الأمين ـ» فقلت له: عبد الله بن هارون يقتل محمّد بن هارون؟ قال نعم: «عبدالله الذي بخراسان يقتل محمّدبن زبيدة الذي هو ببغداد» وكان يتمثّل بهذا البيت:

«وإنّ الضغن بعد الضغن يفشو   عليك، ويخرج الداء الدفينا»[١]

ولم تمضِ الأيام حتى قتل المأمون أخاه الأمين.

٢ . ومن بين الأحداث التي أخبر عنها: أنّه لما خرج محمّد بن الإمام الصادق بمكّة، ودعا الناس إلى نفسه، وخلع بيعة المأمون، قصده الإمام الرضا، وقال له:

«ياعم لا تكذّب أباك ولا أخاك ـ يعني الإمام الكاظمعليه السلام ـ فإنّ هذا الأمر لا يتمّ» ثم خرج، ولم يلبث محمّد إلّا قليلاً حتى لاحقته جيوش المأمون بقيادة الجلودي، فانهزم محمّد ومن معه، وطلب الأمان، فآمنه الجلودي، وصعد المنبر وخلع نفسه، وقال: إنّ هذا الأمر للمأمون وليس لي فيه حقّ[٢].

٣ . قال الحسين نجل الإمام موسىعليه السلام: كنّا حول أبي‌الحسن الرضاعليه السلام، ونحن شبّان من بني هاشم، إذ مرّ علينا جعفر بن عمر العلوي، وهو رثّ الهيئة، فنظر بعضنا إلى بعض وضحكنا من هيئته، فقال الرضاعليه السلام: «لترونّه عن قريب كثير المال، كثير التبع» فما مضى إلّا شهر ونحوه حتى ولي المدينة وحسنت حاله[٣].

٤ . وقال صفوان‌بن يحيى: لمّا مضى أبو إبراهيم ـ يعني الإمام الكاظمعليه السلام ـ وتكلّم أبوالحسن الرضاعليه السلام خفنا عليه، فقيل له: إنّك قد أظهرت أمراً عظيماً، وإنّا نخاف عليك هذا الطاغية ـ يعني هارون ـ فقالعليه السلام: «ليجهد جهده فلا سبيل له عليّ»[٤].

---

١. عيون أخبار الرضاعليه السلام، ج ٢، ص ٢٠٧.

٢. الفصول المهمّة، ص ٢٢٩؛ المناقب، ج ٤، ص ٣٣٥.

٣. عيون أخبار الرضاعليه السلام، ج ٢، ص ٢٢٦ وراجع عوالم العلوم، ج ٢٢، ص ٢٢١.

٤. الكافي، ج ٨ ص ٢٥٧.

وتحقّق ذلك؛ فإنّ هارون لم يعرض له بسوء وقد أكّد الإمام هذا المعنى لبعض أصحابه، فقد روىٰ محمّد بن سنان قال: قلت لأبي الحسن الرضا في أيّام هارون: إنّك قد شهرت نفسك بهذا الأمر، وجلست مجلس أبيك، وسيف هارون يقطر الدم ـ أي من دماء أهل البيت وشيعتهم ـ فقالعليه السلام: «جرّأني على هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنْ أخذ أبوجهل من رأسي شعرة، فاشهدوا أنّي لست بنبيّ. وأنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا أنّي لست بإمام»[1].

لقد أعلنعليه السلام غير مرّة أنّ هارون لا يعرض له بسوء، وأنّه يدفن إلى جانب هارون، فقد روىٰ حمزة بن جعفر الأرجاني أنّه خرج هارون من المسجد الحرام من باب، وخرج علي الرضا من باب، فقالعليه السلام: «يا بُعد الدار، وقرب الملتقى؛ إنّ طوس ستجمعني وإيّاه»[2].

وقال موسى بن هارون: رأيت عليّاً الرضا في مسجد المدينة، وهارون الرشيد يخطب، فقالعليه السلام: «تروني وإيّاه ندفن في بيت واحد»[3].

ثالثاً: عبادته وتقواه

يقول بعض جماعته: ما رأيته قطّ إلّا ذكرت قوله تعالىٰ: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾[4].

ويقول الشبراوي عن عبادته: إنّه كان صاحب وضوء وصلاة، وكان في ليله كلّه يتوضّأ ويصلّي ويرقد، وهكذا إلى الصباح[5].

لقد كان الإمامعليه السلام أتقىٰ أهل زمانه، وأكثرهم طاعة لله تعالى. قال رجاء بن

---

١. المناقب، ج ٤، ص ٣٤٠.
٢. الإتحاف بحبّ الأشراف، ص ١٥٨.
٣. المصدر نفسه، ص ١٥٦.
٤. الذاريات، ١٧.
٥. الإتحاف بحبّ الأشراف، ص ١٥٩.

أبي الضحّاك ـ الّذي كان المأمون قد بعثه ليأتي بالإمام إلى خراسان، فكان معه من المدينة المنوّرة إلى مرو ـ عن عبادته:

والله ما رأيت رجلاً كان أتقى لله منه، ولا أكثر ذكراً له في جميع أوقاته منه، ولا أشدّ خوفاً لله عزّوجلّ[١].

رابعاً: تسلّحه بالدعاء

من مظاهر حياة الإمام الروحية تسلّحه بالدعاء إلى الله تعالى والتجاؤه إليه في جميع أُموره، وكان يجد فيه متعة روحية لا تعادلها أيّة متعة من متع الحياة.

وكان الإمامعليه السلام يحثّ أصحابه على الدعاء إلى الله فيقول لهم: «عليكم بسلاح الأنبياء» فيقال له: وما سلاح الأنبياء؟ فيجيب: «الدعاء»[٢].

وأوصىٰ الإمام أصحابه بإخفاء الدعاء، وأن يدعو الإنسان ربّه سرّاً لا يعلم به أحد، قالعليه السلام : «دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية»[٣].

وكان الإمامعليه السلام يتسلّح بهذا الدعاء الشريف «بسم الله الرحمن الرحيم، يا من لا شبيه له ولا مثال، أنت الله لا إله إلّا أنت، ولا خالق إلّا أنت، تُفني المخلوقين وتبقى، أنت حلمت عمّن عصاك، وفي المغفرة رضاك»[٤].

كما كان متشبّثاً بهذا الدعاء الجليل: «استسلمت يا مولاي لك، وأسلمت نفسي إليك، وتوكّلت في كلّ أُموري عليك، وأنا عبدك وابن‌عبديك، فأخبئني اللهم في سترك عن شرار خلقك، واعصمني من كلّ أذىً وسوء بمنّك، واكفني شرّ كلّ ذي شرّ بقدرتك.

---

١. بحارالأنوار، ج ١٢، ص ٢٦ ـ ٢٧.
٢. أصول الكافي، ج ٢، ص ٣٦٨.
٣. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٧٦.
٤. مهج الدعوات، ص ٤٤.

اللهمَّ من كادني أو أرادني فإنّي أدرأ بك في نحره، فسدَّ عني أبصار الظالمين إذ كنت ناصري، لا إله إلّا أنت. يا أرحم الراحمين وإله العالمين، أسألك كفاية الأذى، والعافية والشفاء، والنصر على الأعداء، والتوفيق لما تحبّ ربّنا وترضى، ياربّ العالمين، يا جبّار السماوات والأرضين، يا رب محمّد وآله الطيبين الطاهرين، صلواتك عليهم أجمعين»[١].

لقد استسلم الإمام عليه السلام إلى الله، وأسلم نفسه وجميع أُموره للواحد القهّار الذي بيده جميع مجريات الأحداث، وقد احتجب بهذا الدعاء ليردّ الله عنه كيد المعتدين وظلم الظالمين.

---

١. المصباح، ص ٢١٧.

الدرس ٤٤

من تراث الإمام الرضاعليه السلام

١ . «صديقُ كلِّ امرءٍ عقلُه وعدوُّهُ جهلُهُ».

٢ . «التودُّدُ إلى النّاسِ نصفُ العقلِ».

٣ . «إنَّ الله يبغض القيل والقالَ، وإضاعة المالِ، وكثرةَ السُّؤال».

٤ . «لا يتمُّ عقلُ امرىء مسلمٍ حتّى تكون فيه عشرُ خِصالٍ: الخيرُ منه مأمولٌ، والشَّرُّ منهُ مأمونٌ، يستكثِرُ قليلَ الخيرِ من غيره، ويستقلُّ كثير الخير من نفسه، لا يسأمُ من طلب الحوائج إليه، ولا يملُّ من طلبِ العلم طولَ دهرِه، الفقرُ في الله أحبُّ إليه من الغنى، والذُّلُّ في الله أحبُّ إليه من العِزِّ في عدوّه، والخمُولُ أشهى إليه من الشُّهرةِ» ثمَّ قالعليه السلام: «العاشِرةُ وما العاشِرَة» قيل له: ما هي؟ قالعليه السلام: «لا يرىٰ أحداً إلّا قال: هو خيرٌ منّي وأتقى. إنّما الناسُ رجُلانِ: رجلٌ خيرٌ منه وأتقى، ورجلٌ شرٌّ منهُ وأدنىٰ، فإذا لقِيَ الّذي شرٌّ منه وأدنىٰ قال: لعلَّ خيرَ هذا باطنٌ وهو خيرٌ له، وخيري ظاهر وهو شرٌّ لي، وإذا رأى الذي هو خيرٌ منه وأتقىٰ تواضع له

ليلحَقَ به. فإذا فعل ذلك فقد علا مجدُهُ، وطابَ خيرهُ، وحَسُنَ ذِكرُه، وساد أهل زمانه».

٥ . وسألَهُ أحمدبن نجم[١] عن العُجب الّذي يُفسِد العمل؟ فقالعليه السلام: «العُجبُ درجاتٌ: منها أن يُزيَّن للعبد سوءُ عملِه فيراهُ حسناً فيعجِبُهُ ويحسب أنّه يُحسن صنعاً. ومنها أن يؤمنَ العبدُ بربّه فَيَمنَّ على الله[٢] ولله المِنَّةُ عليهِ فيهِ».

٦ . وسُئِلَ عن خيار العباد؟ فقالعليه السلام : «الّذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤا استغفروا، وإذا أُعطوا شكروا، وإذا ابتلُوا صبروا، وإذا غضِبوا عَفَوْا».

٧ . وسألَهُ رجلٌ عن قول الله: ﴿ومن يتوكَّل على الله فهو حَسبُهُ﴾[٣] فقالعليه السلام: «التوكُّلُ درجاتٌ: منها أن تثِقَ به في أمركَ كلّه فيما فعل بك، فما فعل بك كنتَ راضياً، وتعلَمَ أنَّهُ لم يأ لُك خيراً ونظراً[٤]، وتعلم أنَّ الحُكمَ في ذلك له، فتتوكَّلَ عليه بتفويض ذلك إليه. ومن ذلك الإيمانُ بغيوب الله التي لم يحط عِلمُكَ بها فوكلت عِلمها إليه وإلى أُمنائه عليها ووثقت به فيها وفي غيرها».

٨ . «لا يكون المؤمن مؤمِناً حتّى تكون فيه ثلاثُ خصالٍ: سُنَّةٌ من ربّه وسُنّةٌ من نبيّهصلى الله عليه وآله وسُنّةٌ من وليّهعليه السلام . فأمّا السُنّة من ربّه فكتمانُ السِّر،

---

١. رواه الكلينيرحمه الله في الكافي، ٢، ٣١٣. ٢. في بعض النسخ، «فيمتن».
٣. الطلاق: ٣.
٤. ألا في الأمر: قصّر وأبطأ وترك الجهد، ومنه يقال: لم يأل جهداً.

وأمّا السُنّة من نبيّهﷺ فمداراةُ الناس، وأمّا السُّنّة من وليّهعليه السلام فالصَّبرُ في البأساء والضراء».

٩ . «لا يستَكمِلُ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتّى تكون فيه خِصالٌ ثلاثٌ: التَّفقُّهُ في الدِّينِ، وحُسنُ التقديرِ في المعيشةِ، والصَّبر على الرَّزايا».

١٠ . «إنَّ من علامات الفِقه: الحِلم والعلم، والصَّمتُ بابٌ من أبواب الحكمة. إنَّ الصَّمتَ يكسِبُ المحبَّةَ، إنَّهُ دليلٌ على كُلِّ خيرٍ»[١].

١١ . «ما من شيءٍ من الفضول إلّا وهو يحتاجُ إلى الفضول من الكلام».

١٢ . «الأمان أربعةُ أركانٍ: التّوكل على الله، والرِّضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله. قال العبدُ الصالح[٢]: ﴿وأُفوّض أمري إلى الله فوقاهُ الله سيئات ما مكروا﴾.

١٣ . وقالعليه السلام : «خمسٌ من لم تكن فيه فلا ترجوه لشيءٍ من الدُّنيا والآخرة: من لم تعرف الوثاقةَ في أُرومته، والكرمَ في طِباعه، والرَّصانةَ في خُلقِه، والنبل في نفسهِ[٣]، والمخافَةَ لربِّه».

١٤ . وقالعليه السلام لأبي هاشمٍ داود بن القاسِم الجعفريّ[٤]: «يادوادُ، إنَّ لنا عليكُم حقّاً برسولِ اللهﷺ، وإنَّ لكُمْ علينا حقّاً. فمَنْ عرفَ حقَّنا وجبَ

---

١. وفي بعض النسخ: «على كلّ حقّ».

٢. أرادعليه السلام بالعبد الصالح مؤمن آل فرعون، والآية ٤٤ من سورة غافر.

٣. الأُرومة: الأصل. ورَصُن: استحكم واشتدّ وثبت. والنُبل: الفضل والنجابة.

٤. وهو ثقة، جليل القدر، عظيم المنزلة عند الائمة. شاهد منهم الإمام الثامن الى الثاني عشرعليهم السلام وهو من وكلاء الناحيه الذين لا تختلف الشيعة فيهم. توفي سنة ٢٦١هـ .

حقَّهُ، ومَنْ لَم يَعرِف حقَّنا فلا حقَّ لَهُ».

١٥ . وقال عليه السلام لأبي هاشم الجعفريّ: «يا أباهاشم، العقلُ حِباءٌ من الله، والأدبُ كُلفَةٌ، فمنْ تكلَّفَ الأدبَ قَدَرَ عليه، ومَنْ تكلَّف العقل لم يزدد بذلِك إلّا جهلاً»[١].

١٦ . وقال له ابن السِّكيت: ما الحُجّةُ على الخَلقِ اليومَ؟ فقال عليه السلام: «العقلُ، يعرفُ بِهِ الصّادق على الله فيُصَدِّقُهُ والكاذِب على الله فيُكذِّبُهُ». فقال ابن السِّكيت: «هذا، والله، هو الجوابُ».

١٧ . «من أخلاق الأنبياء التنظُّفُ».

١٨ . «ليس لبخيلٍ راحةٌ، ولا لحسودٍ لَذَّةٌ، ولا لِملولٍ وفاءٌ، ولا لِكذوبٍ مروَّةٌ».

١٩ . «الأخُ الأكبر بمنزلة الأب».

٢٠ . وسُئِلَ عليه السلام عن السَّفَلَة فقال: «من كان لهُ شيءٌ يُلهيه عن الله».

٢١ . وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال عليه السلام: «أصبحتُ بأجَلٍ منقوصٍ، وعملٍ محفوظٍ، والموتُ في رِقابِنا، والنارُ من ورائنا، ولاندري ما يُفعَلُ بِنا».

٢٢ . «صِل رحِمكَ ولو بشربةٍ من ماءٍ، وأفضل ما توصل به الرَّحِمُ كفُّ الأذى عنها».

---

١. الحِباء ـ بالكسر ـ : العطية. والمراد أنّ العقل غريزة موهبة من الله فكان في فطرة الإنسان وجبلّته فليس للكسب فيه أثر، فمن لم يكن فيه عقل ليس له صلاحية اكتساب العقل بخلاف الأدب فإنّ الأدب هو السيرة والطريقة الحسنة في المحاورات والمعاشرات فيمكن للإنسان تحصيله بأن يتجشّمه ويتكلّفه. وأبوهاشم الجعفري هو داود بن القاسم بن إسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب.

٢٣ . «إنَّ الَّذي يَطلبُ من فضلٍ يكفُّ به عيالَهُ أعظمُ أجراً من المجاهِد في سبيلِ الله».

٢٤ . «السَّخيُّ يأكُل من طعام الناس ليأكُلوا من طعامِه، والبـخيلُ لا يأكُلُ من طعام النّاس لئلّا يأكلوا من طعامه».

٢٥ . «عونُكَ للضَّعيفِ من أفضلِ الصَّدقَةِ»[١].

١. راجع محتويات هذا الدرس في تحف العقول، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٩.

الخلاصة:

* لقد استثمر الامام الرضا عليه السلام عقدين من الزمن لبثّ علوم أهل البيت عليهم السلام ، وقدمّ من خلالها للبشرية ثروة علمية جبّارة ، تسدّ بها فقرها ، ويلمّ شعثها ، ويصنع منها مجتمعاً إنسانياً رسالياً.
* تكفي نظرة سريعة إلى تراث الإمام الرضا عليه السلام لتكشف عن إحاطته وتوجهه إلى حاجات الإنسانية عموماً والمسلمين بشكل خاصّ وشيعة أهل البيت عليهم السلام بشكل أخصّ.
* تراوح تراث الإمام عليه السلام بين الإجابه عن الأسئلة الموجهة إليه وبين ابتدائه لطلاّب المعرفة بطرح أسئلةٍ عليهم ، أو بثّ مفاهيم راقية تقود الإنسان إلى حظيرة القدس الإلهي، من خلال التعامل الاجتماعي السليم مع أبناء مجتمعه.

الأسئلة:

١ . ما هي درجات التوكّل في ضوء كلام الامام الرضا عليه السلام ؟
٢ . كيف علّل الرضا عليه السلام أنّ العُجب يفسد العمل؟
٣ . من هم خيار العباد؟
٤ . متى يستكمل العبد حقيقة الإيمان؟
٥ . اذكر بعض نصائح الإمام عليه السلام لتوثيق العلاقات الاجتماعية بين المؤمنين.
٦ . ماهي علاقة السخاء؟
٧ . متىٰ يتمّ عقل المسلم؟

الدرس ٤٥

الإمام محمّد الجواد عليه السلام: نشأته ومراحل حياته

نسبه المشرق

الإمام أبوجعفر عليه السلام؛ من صميم الأُسرة النبويّة التي هي من أجلّ الأُسر التي عرفتها الإنسانية في جميع أدوارها. تلك الأُسرة التي أمدّت العالم بعناصر الفضيلة والكمال، وأضاءت جوانب الحياة بالعلم والإيمان.

فالأب هو الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى بن جعفر ابن الإمام محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وهذه هي السلسلة الذهبية التي لو قرأت على الصمّ البكم لبرئوا بإذن الله عزّوجلّ، كما قال المأمون العباسي[1]. وقال إمام الحنابلة: لو قرأت هذا الاسناد على مجنون لبرئ من جُنّته[2].

الأمّ هي السيّدة الفاضلة الكريمة الّتي سمّاها الإمام الرضا عليه السلام

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٤٧. ٢. الصواعق المحرقة، ص ٢٠٧.

بالخيزران، كما كانت تسمّى درّة أو ذرّة[١]، وقيل: إنّها كانت تنتسب إلى أهل مارية القبطيّة، أم ابراهيم زوجة الرسول الأعظم ﷺ[٢].

كنيته وألقابه

وكُنّيَ بأبي جعفر، وهي كنية جدّه الإمام محمّد الباقر عليه السلام، ويفرّق بينهما فيقال للإمام الباقر: أبوجعفر الأوّل، وللإمام الجواد: أبوجعفر الثاني.

ولقّب بالجواد؛ لكثرة ما أسداه من الخير والبرّ والإحسان إلى الناس.

ولقّب بالتقّي؛ لأنّه اتقّى الله وأناب إليه واعتصم به فلم يستجب لأيّ داع من دواعي الهوىٰ؛ اذ امتحنه المأمون بشتّى ألوان المغريات فلم ينخدع، بل أناب إلى الله وآثر طاعته على كلّ شيء.

كما لقّب بالقانع، والمرتضىٰ[٣]، والرضي، والمختار، والمتوكّل، والزكي[٤]. وعرف أيضاً بباب المراد عند عامّة المسلمين، لوضوح أنّه باب من أبواب الرحمة الإلهيّة التي يلجأ إليها الملهوفون وذوو الحاجة لدفع ما ألمّ بهم من مكاره الدهر وفجائع الأيام.

تاريخ ولادته

المشهور بين المؤرّخين أنّ ولادة الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام كانت في سنة ١٩٥ هـ في النصف أو ١٧ أو ١٩ من شهر رمضان، أو لعشرخلون من رجب[٥].

---

١. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٣٢. ٢. المقنعة، ص ٤٨٢.
٣. دلائل الإمامة، ص ٢٠٩ وراجع عوالم العلوم، ج ٢٣، ص ٢٧.
٤. نور الأبصار، ص ١٤٦ والفصول المهمّة لابن الصبّاغ، ص ٢٥٢.
٥. مكارم الأخلاق، ص ٩٢ وعوالم العلوم، ج ٢٣، ص ٢٣.

نشأته

نشأ الإمام محمّد الجواد عليه السلام في بيت النبوّة والإمامة، ذلك البيت الذي أعزّ الله به المسلمين. وقد ترعرع عليه السلام في ظلاله وهو يتلقّى المُثل العليا من أبيه، وقد أفاض عليه أشعة من روحه العظيمة، وتولّى بنفسه تربيته، فكان يصحبه في حلّه وسفره، ويطعمه بيده. روى يحيى الصنعاني فقال: دخلت على أبي‌الحسن الرضا عليه السلام وهو بمكّة، وكان يقشّر موزاً، ويطعم أبا جعفر، فقلت له: جعلت فداك، هذا المولود المبارك؟ قال عليه السلام: «نعم، يا يحيى، هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام مولود أعظم بركة على شيعتنا منه»[1].

ذكاؤه

امتلك الإمام محمّد الجواد عليه السلام في سنّه المبكّرة من الذكاء والعبقرية ما يثير الدهشة ويملك النفس إكباراً وإعجاباً، وقد ذكر المؤرّخون مظاهر من ذكائه كان من بينها:

١ . ما رواه أُميّة بن عليّ قال: كنت مع أبي‌الحسن الرضا عليه السلام بمكّة في السنة التي حجّ فيها مودّعاً البيت الحرام، عندما أراد السفر إلى خراسان، وكان معه ولده أبوجعفر الجواد، فودّع أبوالحسن البيت، وعدل إلى المقام فصلّىٰ عنده. وكان أبوجعفر قد حمله موفّق الخادم يطوف به، وحينما انتهى إلى الحجر جلس فيه وأطال الجلوس، فانبرىٰ إليه موفق، وطلب

---

١. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٣٦٢.

منه القيام معه، فأبىٰ عليه وهو حزين، قد بان عليه الجزع، فأسرع موفق إلى الإمام الرضاعليه السلام وأخبره بشأن ولده، فأسرع إليه، وطلب منه القيام، فأجابه بنبرات مشفوعة بالبكاء والحسرات قائلاً:

«كيف أقوم وقد ودّعتَ ـ يا أبتي ـ البيت وداعاً لا رجوع بعده؟!»

وسرت موجة من الألم في نفس الإمام الرضاعليه السلام فالتمس منه القيام معه فأجابه إلى ذلك[1].

ودلّت هذه البادرة على مدىٰ ذكائه، فقد أدرك من كيفيّة وداع أبيه للبيت الحرام أنّه الوداع الأخير له؛ لأنّه رأى ما عليه من الوجل والأسى، ممّا أوحى إليه أنّه النهاية الأخيرة من حياته. وقد تحقّق ذلك فعلاً؛ اذ لم يَعُد الإمام الرضاعليه السلام بعد سفره إلى خراسان لم يعد إلى الديار المقدّسة، وقضىٰ شهيداً مسموماً على يد المأمون العبّاسي.

٢ . ومن آيات نبوغه المذهل أنّه في سنّه المبكرة قد سأله العلماء والفقهاء عن ثلاثين ألف مسألة فأجاب عنها، ولا مجال لتعليل هذه الظاهرة إلّا بالقول: إنّ الله تعالى قد منح أئمّة أهل البيتعليهم السلام طاقات من العلم لم يمنحها إلّا إلىٰ أُولي العزم من أنبيائه ورسله.

مراحل حياته

استلم الإمام محمّد بن علي الجوادعليه السلام مهام الإمامة بعد استشهاد أبيه ـ وهو لم يزل في الثامنة من عمره الشريف ـ وأظهر من المعجزات والبيان والحجج والبراهين ما دلّ على حقّانية مبدأ الإمامة عند أهل البيتعليهم السلام.

---

١. أخبار الدول، ص ١١٥ وكشف الغمّة، ج ٢، ص ٣٤٤.

وانتقل إلى مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد استشهاد أبيه الرضا عليه السلام وزواجه من ابنة المأمون (أُم الفضل). ولم يزل فيها حتى أشخصه المعتصم العباسي إلى بغداد، فاستشهد فيها ودفن في مقابر قريش خلف قبر جدّه الإمام الكاظم عليه السلام في نهاية ذي القعدة سنة ٢٢٠هـ، بواسطة السم الذي دسّه إليه المعتصم من خلال اخته أُم الفضل.

كانت مدّة إمامته حوالي سبعة عشر عاماً، واتّسمت أكثر أيّامه بالتقيّة، وتصدّى إلى الإعداد الفكري والروحي للقواعد الشيعية الواسعة لتستقبل عصر الغيبة بعد أن كثرت الاتّجاهات المعادية والمناوئة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، وبدأت السلطات تضع الإمام عليه السلام ووكلاءه تحت رقابتها المشدّدة.

الخلاصة:

* تجلّت آيات الله الباهرات في العترة الطاهرة من نسل المصطفى ﷺ ، فكان الإمام محمّد بن علي الجواد الدال على الحقّ ، والهادي إلى الرشاد ، والمعجز في القول والفعل، السادس من ولد الحسين. وقد ولد في بيت العلم والفضل والإيمان والفضيلة ، وتسنّم مقاليد الإمامة وهو لم يزل صبيّاً.
* ليس العمر شرطاً في الإمامة ؛ فإنّها من لطف الله ورحمته يهبها لمن يشاء. وقد زاد الإمام الرضا عليه السلام من العناية وإظهار المقام المحمود لولده محمّد الجواد عليه السلام ؛ لما كان يعلم من دوره الجليل ، فكان يجلّه ويعظّمه أمام الناس ، فدانت له الجموع المسلمة بالولاء والطاعة.
* ورث الإمام الجواد عليه السلام العلم عن آبائه الطيّبين عليهم السلام ، وحمل جمال النبوّة ، وجلال الإمامة وهيبتها، فكان آية في الفهم والعلم ودان له كلّ مدّعٍ ومعاند، وانقاد له كلّ محبّ وموال.
* وقد حفل التاريخ بشهادات صريحة من معاصري الإمام عليه السلام ، تسطّر الفضل ، وتسجّل عظمة هذه الشخصية وأهميّتها ودورها في حياة الرسالة والأُمّة الإسلامية. وقد تبعهم جمع من المؤرّخين والمحدّثين المنصفين والعلماء الأمناء إلىٰ يومنا هذا.

الأسئلة:

١. ما هي مظاهر اهتمام الإمام الرضا عليه السلام بولادة ابنه محمّد الجواد عليه السلام وعنايته به؟

٢. لماذا لُقِّب الإمام محمّد بن علي بالجواد والتقي؟

٣. كم كان عمره عليه السلام حين قام بمهام الإمامة؟ ومتىٰ استشهد؟ وأين دفن؟

٤. اذكر ما قام به الامام الرضا عليه السلام من تمهيد للإمامة المبكرة الّتي تحقّقت لابنه محمّد الجواد عليه السلام .

للمطالعة

انطباعات عن شخصية الإمام الجوادﷺ

ملكت مواهب الإمام محمّد الجوادﷺ عقول وعواطف من عاصره ومن تطلّع إلى شخصيته، فما استطاع أحد أن ينكر ذلك الحقّ، وإنّما سجّل الجميع إعجابهم وإكبارهم له. وفيما يلي بعض ما قالوه:

١ . قال المأمون لبني العبّاس ـ لما طلبوا منه الإعراض عن تزويج الإمام الجوادﷺ لابنته ـ: قد اخترته لتبريزه على كافّة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنّه، والاعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلمون أنّ الرأي ما رأيت فيه[1].

وقال له أيضاً: أنت ابن الرضا حقّاً، ومن بيت المصطفى صدقاً[2].

٢ . قال أبو العيناء للإمام الجوادﷺ وهو يعزّيه بأبيهﷺ: أنت تجلّ عن وصفنا، ونحن نقلّ عن وعظك، وفي علم الله ما كفا، وفي ثواب الله ما عزّاك[3].

٣ . قال صلاح الدين الصفدي: محمّد بن علي: هو الجواد بن الرضا بن الكاظم موسى بن الصادق جعفر رضي الله عنهم. كان يلقّب بالجواد وبالقانع وبالمرتضى،

---

١. الفصول المهمّة، ص ٢٥٣.
٢. المصدر نفسه.
٣. المناقب، ج ٢، ص ٤١٣.

وكان من سروات آل بيت النبوّة. زوّجه المأمون ابنته، وكان يبعث إلى المدينة في كلّ عام بأكثر من ألف ألف درهم. توفي ببغداد شابّاً طرياً بعد وفاة المأمون سنة عشرين ومائتين. وقد قدم على المعتصم فأكرمه وأجلّه، وقبره عند قبر جدّه موسىٰ ... وكان من الموصوفين بالسخاء ولذلك لقّب الجواد، وهو أحد الأئمّة الاثني عشر، ومولده سنة خمس وتسعين ومائة[١].

٤ . قال ابن تيميّة: محمّد بن عليّ الجواد: كان من أعيان بني هاشم، وهو معروف بالسخاء، ولهذا سمّي بالجواد[٢].

٥ . قال الشيخ كمال الدين محمّد بن طلحة: أمّا مناقب أبي جعفر الجواد فما اتّسعت حلبات مجالها، ولا امتدّت أوقات آجالها، بل قضت عليه الأقدار الإلهيّة بقلّة بقائه في الدنيا بحكمها وأسجالها، فقلّ في الدنيا مقامه، وعجّل القدوم عليه كزيارة حمامه، فلم تطل بها مدّته ولا امتدّت فيها أيّامه[٣].

٦ . وأدلى عليّ بن عيسى الإربلي بكلمات أعرب فيها عن عميق إيمانه وولائه للإمام الجواد قائلاً: فاق الناس بطهارة العنصر، وزكاء الميلاد، وافترع قلّة العلاء، فما قاربه أحد ولا كاد مجده، عالي المراتب، ومكانته الرفيعة تسمو على الكواكب، ومنصبه يشرف على المناصب. إذا أنس الوفد ناراً قالوا: ليتها ناره، لا نار غالب. له إلى المعالي سمو، وإلى الشرف رواح وغدوّ، وفي السيادة إغراق وعلوّ، وعلى هام السماك ارتفاع وعلوّ، وعن كلّ رذيلة بعد، وإلى كلّ فضيلة دنوّ. تتأرّج المكارم من

١. الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ١٠٥. وانظر الذهبي في تاريخ الإسلام ج ٨، الورقة ١٥٨ (مصوّر).

٢. منهاج السنّة، ج ٢، ص ١٢٧.

٣. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ج ٢، ص ٧٤.

أعطافه، ويقطر المجد من أطرافه، وتُروى أخبار السماح عنه وعن أبنائه وأسلافه. فطوبىٰ لمن سعىٰ في ولائه، والويل لمن رغب في خلافه. إذا اقتُسمت غنائم المجد والمعالي كان له صفاياها، وإذا امتُطيت غوارب السؤدد كان له أعلاها وأسماها. يباري الغيث جوداً وعطيّة، ويجاري الليث نجدة وحميّة[1].

---

١. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٣٧.

الدرس ٤٦

من فضائل الإمام الجواد(ع) ومظاهر شخصيته

تجسّدت في شخصيّة الإمام أبي جعفر الجواد(ع) المُثل العليا والسمات الرفيعة التي تعتبر شرطاً اساسيّاً في الامامة في مدرسة أهل البيت(ع)، ومنها:

١. العلم والمعرفة

إنّ الإمام لا يدانيه أحد في سعة علومه ومعارفه، كما لابدّ أن يكون أعلم أهل زمانه، وأدراهم بشؤون الشريعة وأحكام الدين على الإطلاق.

فالإمام أميرالمؤمنين علي(ع) فتق أبواباً من العلوم بلغت ـ كما يذكر عبّاس محمود العقّاد ـ اثنين وثلاثين علماً، وهو الذي أخبر عن التقدّم التكنولوجي الذي يظهر على مسرح الحياة، حيث قال(ع): «يأتي زمان على الناس يرىٰ مَنْ في المشرق مَنْ في المغرب، ومَنْ في المغرب يرىٰ مَنْ في المشرق». وقال(ع): «يأتي زمان على الناس يسمع مَنْ في المشرق مَنْ في المغرب، ومَنْ في المغرب يسمع مَنْ في المشرق». وتحقّق ذاك بظهور جهاز التلفزيون والراديو ونحوهما. وقال(ع): «يأتي

زمان على الناس يسير فيه الحديد»، وتحقّق ذلك بظهور القطار والسيارات وغيرها.

أمّا الإمام الصادقعليه السلام ـ معجزة العلم والفكر ـ فقد أخبر عن تلوّث الفضاء والبحار، وما ينجم عنهما من الأضرار البالغة للإنسان، كما أخبر عن وجود الحياة في بعض الكواكب، وهو الذي وضع قواعد التشريح[١]. ويعتبر المؤسّس الأوّل لعلوم الفيزياء والكيمياء، فقد وضع أُصولها على يد تلميذه جابر بن حيّان.

وقد خاض الإمام الجوادعليه السلام أيضاً ـ وهو في سن مبكّرة ـ مختلف العلوم حتى اختبره العلماء والفقهاء عن كلّ شيء، فأجاب عنه، ممّا أوجب انتشار التشيّع لأهل البيتعليهم السلام في ذلك العصر، وذهاب أكثر العلماء إلى القول بإمامته.

لقد احتفّ بالإمام الجواد ـ وهو ابن سبع سنين ـ العلماء والفقهاء والرواة، وهم ينتهلون من نمير علومه، وقد رووا عنه الكثير من المسائل الفلسفية والكلامية، ويعتبر ذلك من أوثق الأدلّة على ما تذهب إليه الشيعة في الإمامة[٢].

٢. العبادة

كان الإمام الجوادعليه السلام أعبد أهل زمانه، وأشدّهم خوفاً من الله تعالىٰ، وأخلصهم في طاعته وعبادته، شأنه شأن الائمّة الطاهرين من آبائهعليهم السلام

---

١. أنظر توحيد المفضّل.

٢. أنظر الدرس ٤٧ أيضاً. ولك أن تراجع الاحتجاج أو مسند الإمام محمّدالجوادعليه السلام.

الذين وهبوا أرواحهم لله، وعملوا بكلّ ما يقرّبهم إليه زُلفىٰ. أمّا مظاهر عبادة الإمام الجواد عليه السلام فهي:

أ ـ كان الإمام الجواد كثير النوافل؛ اذ كان يصلّي يوميّاً ركعتين يقرأ في كلّ ركعة سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص سبعين مرّة[1].

وكان كثير العبادة في شهر رجب. قال الريّان بن الصلت: صام أبوجعفر الثاني عليه السلام لمّا كان ببغداد يوم النصف من رجب، ويوم سبع وعشرين منه، وصام معه جميع حشمه، وأمرنا أن نصلّي بالصلاة التي هي اثنتا عشرة ركعة، تقرأ في كلّ ركعة الحمد وسورة، فإذا فرغت قرأت الحمد أربعاً، وقل هو الله أحد أربعاً، والمعوّذتين أربعاً، وقلت: لا إله إلّا الله والله أكبر، وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم (أربعاً)، الله الله ربّي، ولا أشرك به شيئاً (أربعاً)، لا أشرك بربّي أحداً (أربعاً)[2].

ب ـ وكان الإمام أبوجعفر عليه السلام كثير الحجّ، روى عليّ بن مهزيار بعض الخصوصيات في حجّ الإمام عليه السلام قال: رأيت أبا جعفر الثاني عليه السلام ليلة الزيارة طاف طواف النساء، وصلّى خلف المقام، ثمّ دخل زمزم، فاستقىٰ منها بيده بالدلو الذي يلي الحجر، وشرب منه، وصبّ على بعض جسده، ثمّ اطّلع في زمزم مرّتين، وأخبرني بعض أصحابنا أنّه رآه بعد ذلك في سنة فعل مثل ذلك[3].

---

١. وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٢٩٨.
٢. المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٤٣.
٣. المصدر نفسه، ج ٩، ص ٥١٥.

٣. الزهد

عندما كان الإمام الجوادعليه السلام شابّاً في مقتبل العمر كان المأمون يغدق عليه الأموال الوافرة البالغة مليون درهم، كما كانت الحقوق الشرعية ترد إليه من الطائفة التي تذهب إلى إمامته، بالإضافة إلى الأوقاف التي كانت في قم وغيرها، إلّا أنّه لم يكن ينفق شيئاً منها في أُموره الخاصّة، وإنّما كان ينفقها على الفقراء والمعوزين والمحرومين. وقد رآه الحسين المكاري في بغداد، وكان محاطاً بهالة من التعظيم والتكريم من قِبل الأوساط الرسميّة والشعبيّة، فحدّثته نفسه أنّه لا يرجع إلى وطنه يثرب، بل سوف يقيم في بغداد غارقاً في النعم والترف، وعرف الإمام قصده، فانعطف عليه وقال له:

«ياحسين، خبز الشعير وملح الجريش في حرم جدّي رسول اللهصلى الله عليه وآله أحبّ إليَّ ممّا تراني فيه...»[١].

إنّه لم يكن من عشّاق تلك المظاهر التي كانت تضفيها عليه الدولة، وإنّما كان كآبائه الذين طلّقوا الدنيا، واتّجهوا إلى الله تعالى، لا يبغون عنه بديلاً.

٤. الكرم

كان الإمام أبوجعفرعليه السلام من أندىٰ الناس كفّاً، وأكثرهم سخاءً، وقد لُقِّب بالجواد؛ لكثرة كرمه ومعروفه وإحسانه إلى النّاس. وقد ذكر المؤرّخون

---

١. إثبات الهداة، ج ٦، ص ١٨٥.

بوادر كثيرة من كرمه، كان منها ما يلي:

١ . قال الصفدي: كان يبعث إلى المدينة في كلّ عام بأكثر من ألف ألف درهم(١).

٢ . قال أحمد بن حديد: خرجت مع جماعة حُجّاجاً، فقطع علينا الطريق، فلما دخلت المدينة لقيت أبا جعفر عليه السلام في بعض الطريق، فأتيته إلى المنزل، فأخبرته بالذي أصابنا، فأمر لي بكسوة، وأعطاني، دنانير وقال: فرقّها على أصحابك على قدر ما ذهب، فقسمتها بينهم، فإذا هي على قدر ما ذهب منهم لا أقل ولا أكثر(٢).

٣ . قال منخل: لقيت محمّدبن علي عليه السلام ، فسألته النفقة إلى بيت المقدس، فأعطاني مائة دينار(٣).

٤ . قال داود بن القاسم الجعفري: أعطاني أبوجعفر عليه السلام ثلاثمئة دينار، وأمرني أن أحملها إلى بعض بني عمّه(٤).

٥ . كتب عليه السلام إلى إبراهيم بن محمّد: «قد بعثت إليك من الدنانير بكذا، ومن الكسوة بكذا، فبارك الله لك فيه وفي جميع نعم الله إليك»(٥).

٦ . إنّ كرم الإمام عليه السلام ومعروفه قد شمل حتى الحيوانات، فقد روى محمّد بن الوليد الكرماني قال: أكلت بين يدي أبي‌جعفر الثاني عليه السلام حتى إذا

---

١. الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ١٠٥. ٢. بحار الأنوار، ج ١٢، ص ١٠٩.
٣. الدمعة الساكبة، ج ٣، ص ١١٢.
٤. الإرشاد، ص ٢٩٨ وإعلام الورى، ص ٣٣٤ وأصول الكافي، ج ٢، ص ٢٩٥.
٥. بحار الأنورا، ج ١٢، ص ١٢٦.

فرغت ورفع الخوان ذهب الغلام ليرفع ما وقع من فتات الطعام، فقال‏ﷺ له: «ما كان في الصحراء فدعه ولو فخذ شاة، وما كان في البيت فتتبعه والقطه»[١].

٥. الإحسان إلى الناس

يعبّر الإحسان إلى الناس والبرّ بهم من سجايا الإمام الجوادﷺ ومن أبرز سماته، وقد ذكروا بوادر كثيرة من إحسانه، كان منها ما يلي:

روى أحمد بن زكريا الصيدلاني عن رجل من بني حنيفة من أهالي بست وسجستان[٢] قال: رافقت أبا جعفر في السنة التي حجّ فيها في أوّل خلافة المعتصم، فقلت له وأنا على المائدة: إنّ والينا ـ جعلت فداك ـ يتولّاكم، أهل البيت، ويحبّكم وعليَّ في ديوانه خراج، فإن رأيت ـ جعلني الله فداك ـ أن تكتب إليه بالإحسان إلي، فقالﷺ: «لا أعرفه»، فقلت: جعلت فداك، إنّه على ما قلت، من محبّيكم أهل البيت، وكتابك ينفعني. واستجاب له الإمام فكتب إليه بعد البسملة:

«أمّا بعد، فإنّ موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً، وإنّ ما لك من عملك إلّا ما أحسنت فيه، فأحسن إلى إخوانك، واعلم أنّ الله عزّوجلّ سائلك عن مثاقيل الذرّة والخردل»[٣].

ولمّا ورد إلى سجستان عرف الوالي ـ وهو الحسين بن عبدالله

١. وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٤٩٩.
٢. سجستان: بلدة جنوبي هراة.
٣. الخردل: نبات حبّه صغير جدّاً.

النيسابوري ـ أنّ الإمام قد أرسل إليه رسالة فاستقبله من مسافة فرسخين، وأخذ الكتاب فقبّله، واعتبر ذلك شرفاً له، وسأله عن حاجته فأخبره بها، فقال له: لا تؤدِّ لي خراجاً ما دام لي عمل، ثمّ سأله عن عياله، فأخبره بعددهم فأمر له ولهم بصلة، وظلّ الرجل لا يؤدّي الخراج ما دام الوالي حيّاً، كما أنّه لم يقطع صلته عنه[1]، كلّ ذلك ببركة الإمام ولطفه.

---

١. بحار الأنوار، ج ١٢، ص ١٢٩.

الخلاصة:

* لقد كان الإمام الجوادعليه السلام المصداق الامثل للفضيلة والكمال في الأرض، فلم يرَ الناس في عصره من يضارعه في علمه وتقواه وورعه، وشدّة تحرّجه في الدين.
* لقد عجبت الأوساط الإسلامية بالإمام الجوادعليه السلام ، وهالتهم مواهبه وملكاته العلمية التي لا تحدّ، وهي ممّا زادت الشيعة إيماناً ويقيناً بصحّة ما تذهب إليه وتعتقد به ، من أنّ الإمام لابدّ أن يكون أعلم أهل زمانه وأفضلهم وأتقاهم.
* وقد كانعليه السلام أعبد أهل زمانه ، وأشدّهم خوفاً من الله تعالىٰ.
* تمتّع الإمام الجوادعليه السلام بكلّ مؤهّلات الإمامة والقيادة بالرغم من إمامته المبكّرة ، فكان القدوة والنموذج الرسالي الواعي لما رسمته الشريعة السمحاء ، فقام بدوره في الأُمة علماً هادياً يقيم عمود الدين الإسلامي ، ويرسم للجماعة الصالحة ولعموم المسلمين طريق العمل والسلوك والتربية وفق ما تقتضيه مرحلته الراهنة وما تتطلّبه المرحلة المقبلة من إعداد.

الأسئلة:

١ . ما هي أهم مظاهر عبادة الإمام الجوادعليه السلام ؟

٢ . ماهي أهمّ صفات الإمام المفترض الطاعة؟

٣ . تحدث باختصار عن زهد الإمام الجوادعليه السلام ؟

٤ . اذكر صوراً من جود الإمام الجوادعليه السلام وإحسانه.

المطالعة

مواساة الناس

وواسىٰ الإمام الجوادعليه السلام الناس في سرّائهم وضرّائهم، فقد ذكروا: أنّه قد جرت على إبراهيم بن محمّد الهمداني مظلمة من قِبل الوالي، فكتب إلى الإمام الجوادعليه السلام يخبره بما جرى عليه، فتألّم الإمام وأجابه بهذه الرسالة:

«عجّل الله نصرتك على من ظلمك، وكفاك مؤنته، وابشر بنصر الله عاجلاً إن شاء الله، وبالآخرة آجلاً، وأكثر من حمد الله»[1].

ومن مواساته للناس تعازيه للمنكوبين والمفجوعين، فقد بعث رسالة إلى رجل قد فجع بفقد ولده، وقد جاء فيها بعد البسملة:

«ذكرت مصيبتك بعليّ ابنك، وذكرت أنّه كان أحبّ ولدك إليك، وكذلك الله عزّوجلّ إنّما يأخذ من الولد وغيره أزكى ما عند أهله، ليعظم به أجر المصاب بالمصيبة، فأعظم الله أجرك، وأحسن عزاك، وربط على قلبك، إنّه قدير، وعجّل الله عليك بالخلف، وأرجو أن يكون الله قد فعل إن شاء الله...»[2]، وأعربت هذه الرسالة الرقيقة عن مدى تعاطف الإمام مع الناس، ومواساته لهم في البأساء والضرّاء.

لقد شارك الناس في البأساء والضرّاء وواساهم في فجائعهم ومحنهم ومدّ يد المعونة إلى فقرائهم وضعفائهم، وبهذا البرّ والإحسان فقد ملك القلوب والعواطف وأخلص له الناس وأحبّوه كأعظم ما يكون الإخلاص والحبّ.

هذه بعض مُثل الإمام الجواد وقيمه، وقد رفعته إلى المستوىٰ الرفيع الذي بلغه آباؤه الذين فجّروا ينابيع العلم والحكمة في الأرض، ورفعوا مشعل الهداية والإيمان بالله تعالى.

---

١. بحار الأنوار، ج ١٢، ص ١٢٦.
٢. وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٨٧٤.

الدرس ٤٧

من تراث الإمام محمّد الجواد عليه السلام

١ . «إنّ مَن وَثِقَ بالله أراه السرور، ومن توكّل على الله كفاه الأُمور. والثقة بالله حصن لا يتحصّن فيه إلّا المؤمن، والتوكّل على الله نجاة من كلّ سوء وحرز من كلّ عدوّ...»[١].

٢ . «من استغنى بالله افتقر الناس إليه، ومن اتّقى الله أحبّه الناس»[٢].

٣ . «من انقطع إلى غير الله وكله الله إليه»[٣].

٤ . «القصد إلى الله تعالىٰ بأعماق القلوب أبلغ من إتعاب الجوارح...»[٤].

٥ . «مِن حُسْن خُلق الرجل كفّ أذاه، ومن كرمه برّه لمن يهواه، ومن صبره قلّة شكواه، ومن نصحه نهيه عمّا لا يرضاه، ومن رفق الرجل بأخيه ترك توبيخه بحضرة من يكره، ومن صدق صحبته إسقاطه المؤونة، ومن علامة محبّته كثرة الموافقة وقلّة المخالفة...»[٥].

---

١. الفصول المهمّة (لابن الصبّاغ)، ص ٣٧٣. ٢. جوهرة الكلام، ص ١٥٠.

٣. حياة الإمام محمّد الجواد، ص ١٠٥. ٤. الدرّ النظيم، الورقة ٢٢٣.

٥. الاتحاف بحبّ الأشراف، ص ٧٧ والدّر النظيم، الورقة ٢٢٣.

٦ . «حسب المرء من كمال المروّة أن لا يلقىٰ أحداً بما يكره... ومن عقله إنصافُه [و] قبول الحقّ إذا بان له»[١].

٧ . «إنّ لله عباداً يخصّهم بدوام النعم، فلا تزال فيهم ما بذلوا لها، فإذا منعوها نزعها عنهم، وحوّلها إلىٰ غيرهم...»[٢].

٨ . «ما عظمت نِعَم الله على أحد إلّا عظمت إليه حوائج الناس، فمن لم يحتمل تلك المؤونة عرّض تلك النعمة للزوال...»[٣].

٩ . «ثلاث خصال تجلب فيهنّ المودّة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدّة، والانطواء على قلب سليم...»[٤].

١٠ . «ثلاثة من كنَّ فيه لم يندم: ترك العجلة، والمشورة، والتوكّل على الله عند العزيمة. ومن نصح أخاه سرّاً فقد زانه، ومن نصحه علانيةً فقد شانه...»[٥].

١١ . «عنوان صحيفة المؤمن حُسن خلقه، وعنوان صحيفة السعيد حُسن الثناء عليه، والشكر زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحُسن الأدب زينة العقل، والجمال في اللسان، والكمال في العقل...»[٦].

١٢ . «أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه؛ لأنّ لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنّه يبتدئ فيه بنفسه»[٧].

---

١. حياة الإمام الجواد (للقرشي)، ص ١٠٦. ٢. الفصول المهمّة، ص ٢٥٨.
٣. المصدر نفسه. ٤. جوهرة الكلام، ص ١٥٠.
٥. الإتحاف بحبّ الأشراف، ص ٧٨.
٦. حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام، ص ١٠٧، ١٠٨.
٧. المصدر نفسه.

١٣ . «من أصغىٰ إلىٰ ناطقٍ فقد عَبَده، فإن كان الناطق عن الله فقد عَبَدَ الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عَبَدَ إبليس»(١).

١٤ . «من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غابَ عن أمرٍ فَرَضِيَه كان كمَن شَهِدَه»(٢).

١٥ . «إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدةٌ له»(٣).

١٦ . «ملاقاة الاخوان نُشرةٌ وتلقيح للعقل، وإن كان نزراً قليلاً»(٤).

١٧ . «المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبولٍ ممّن يَنْصَحُه»(٥).

١٨ . «من هجر المداراة قاربه المكروه»(٦).

١٩ . «من لم يعرف الموارد أعيته المصادر»(٧).

٢٠ . «عزّ المؤمن غناه عن الناس»(٨).

٢١ . «ثلاثة يبلغن بالعبد رضوان الله تعالىٰ: كثرة الاستغفار، ولين الجانب، وكثرة الصدقة»(٩).

٢٢ . «كيف يضيع مَن الله كافله؟ وكيف ينجو مَن الله طالبهُ؟»

٢٣ . «ما هدم الدين مثل البدع، ولا أزال الوقار مثل الطمع، وبالراعي تصلح الرعيّة، وبالدعاء تُصرَفُ البليّة...».

٢٤ . «اعلموا أنّ التقوىٰ عزّ، وأنّ العلم كنز، وأنّ الصمت نور».

---

١. تحف العقول، ص ٤٥٦، ٤٥٧. ٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه. ٤. المصدر نفسه.
٥. الأمالي (للشيخ المفيد)، ص ٣٢٩.
٦. في رحاب أئمّة أهل البيت، ج ٢، ص ١٧٠ ـ ١٧١.
٧. المصدر نفسه. ٨. المصدر نفسه.
٩. انظر حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام، ص ١١٣ ـ ١٢٣.

٢٥ . «ما استوىٰ رجلان في حسبٍ ودينٍ إلّا كان أفضلهما عندالله آدبُهما».

٢٦ . «العلماء غرباء؛ لكثرة الجهّال بينهم».

٢٧ . «من طلب البقاء فليعدّ للمصائب قلباً صبوراً».

٢٨ . «راكب الشهوات لا تُقال عثرته».

٢٩ . «قد عاداك من ستر عنك الرشد اتّباعاً لما يهواه».

٣٠ . «الحوائج تُطلَبُ بالرّجاء، وهي تنزل بالقضاء».

٣١ . «موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبرّ أكثر من حياته بالعُمر».

٣٢ . «من أخطأ وجوه المطالب خذلته وجوه الحيل».

٣٣ . «من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه».

٣٤ . «الصبر على المصيبة مصيبةٌ للشامت».

٣٥ . «لو سكت الجاهل ما اختلف الناس».

٣٦ . «مقتل الرجل بين فكّيه».

٣٧ . «من جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر ممّا أخذ منك».

٣٨ . «ما أنعم الله على عبد نعمةً يعلم أنّها من الله إلّا كتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمده، ولا أذنبَ العبدُ ذنباً فعلم أنّ الله يطّلع عليه إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له، إلّا غفر له قبل أن يستغفر».

٣٩ . «الشريف كلّ الشريف لمن شرّفه علمه، والسؤدد كلّ السؤدد لمن اتّقىٰ ربّه».

٤٠ . «أفضل العبادة الإخلاص»[1].

---

١. انظر حياة الإمام محمّدالجوادعليه‌السلام ، ص ١١٣ ـ ١٣٣.

الخلاصة:

* بالرغم من قصر المدّة التي عاشها الإمام الجواد عليه السلام ولكنّه أتحف العالم الإسلامي والإنساني بتراث قيّم وثريّ، مثّل قمة العلم والسداد، وتضمّن أهمّ قواعد السلوك والاخلاق والتربية الفردية والاجتماعية.
* وقد ركّز الإمام عليه السلام ـ فيما اخترناه من تراثه ـ على أهم أُصول التعايش الاجتماعي السليم في مجتمع إسلامي وإنسانيّ قويم.

الأسئلة:

١. ماهي آثار الثقة بالله من خلال أحاديث الإمام محمّد الجواد عليه السلام؟
٢. ما العلاقة بين حُسن الخلق والكرم والصبر والنصح والرفق؟
٣. ماذا تعرف عن النِعَم وأسباب دوامها وزوالها في ضوء كلام الإمام الجواد عليه السلام؟
٤. اذكر أهم الأسباب التي تجلب المودّة.
٥. كيف يصبح المؤمن عزيزاً كما جاء في نصوص الامام الجواد عليه السلام؟

المطالعة

للإمام الجواد أدعية كثيرة تمثّل مدى انقطاعه إلى الله تعالى، فمن أدعيته قوله: «يا من لا شبيه له، ولا مثال، أنت الله، لا إله إلّا أنت، ولا خالق إلّا أنت، تفني المخلوقين، وتبقى أنت، حلمت عمّن عصاك، وفي المغفرة رضاك...»[١].

وكتب إليه محمّد بن الفضيل يسأله أن يعلّمه دعاءً، فكتب إليه: تقول إذا أصبحت وأمسيت: «الله الله ربّي، الرحمن الرحيم، لا أُشرك به شيئاً». وإن زدت على ذلك فهو خير، ثمّ تدعو بذلك في حاجتك، فهو لكلّ شيء بإذن الله تعالى، يفعل الله ما يشاء»[٢].

وللإمام الجوادعليه السلام عشر مناجاة سمّاها بالوسائل إلى المسائل، وجعلها مهراً لزوجته ابنة المأمون العباسي. وقد رواها عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل قائلاً: «إنّها مفاتيح كنوز الدنيا والآخرة. وينبغي أن لا تجعل في حوائج الدنيا؛ لئلّا يبخس بها حظّه من الآخرة، بها تطرق أبواب الرغبات فتفتح، وبها تطلب الحاجات فتنجح».

واليك المناجاة الأخيرة منها اذ قالعليه السلام مخاطباً ربّه:

«جدير من أمرته بالدعاء أن يدعوك، ومن وعدته بالإجابة أن يرجوك، ولي اللّهم حاجة قد عجزتْ عنها حيلتي، وكلّت فيها طاقتي، وضعف عن مرامها قوّتي، وسوّلت لي نفسي الأمّارة بالسوء، وعدوّي الغرور الذي أنا منه مبلوّ، أن أرغب إليك فيها.

---

١. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٣٦.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٥٣٤ وراجع مهج الدعوات، ص ١٥٨ ـ ١٦٥.

اللهم وأنجِحها بأيمن النجاح، وأهدها سبيل الفلاح، واشرح الرّجاء لإسعافك صدري، ويسّر في أسباب الخير أمري، وصوّر إليّ الفوز ببلوغ ما رجوته بالوصول إلى ما أمّلته.

ووفّقني اللهم في قضاء حاجتي، ببلوغ أُمنيّتي، وتصديق رغبتي، وأعِذني اللهم بكرمك من الخيبة والقنوط والأناة والتثبيط.

اللهم إنّك مليء بالمنائح الجزيلة، وفيّ بها، وأنت على كلّ شيء قدير، وبعبادك خبير بصير».

وتمثّل أدعية الأئمّة الطاهرين عليهم السلام جوهر الإخلاص والطاعة لله، فقد اتّصلوا بالله تعالىٰ، وانطبع حبّه في مشاعرهم وعواطفهم، فهاموا بمناجاته والدعاء له.

الدرس ٤٨

الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام: نشأته ومراحل حياته

النسب المشرق

الإمام عليّ الهادي فرع زاكٍ من شجرة النبوّة، وغصن مشرق من دوحة الإمامة، أعزّ الله به وبآبائه الإسلام، ورفع بهم كلمة التوحيد. وقبل التحدّث عن معالم شخصيته العظيمة نشير إلى الأُصول الكريمة التي تفرّع منها:

فالأب هو الإمام محمّد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهو أرفع نسب في الإسلام، ولم تعرف الإنسانية ـ في جميع أدوارها ـ نسباً أجلّ ولا أسمىٰ من هذا النسب الذي أضاء سماء الدنيا.

فالأمّ سمّانة المغربيّة[1]، وهي أَمَةٌ تزوّجها الإمام محمّد الجواد عليه السلام فولدت له الإمام عليّ الهادي عليه السلام، وكان قد اشتراها له محمّد بن الفرج بسبعين ديناراً[2]، وتولّى الإمام عليه السلام تربيتها، فأقبلت على طاعة الله

---

١. تذكرة الخواصّ، ص ٣٩.   ٢. دلائل الامامة، ص ٢١٦.

وعبادته، فكانت من القانتات المتهجّدات والتاليات لكتاب الله[١].

وأشرقت الدنيا بولادة الإمام الهاديعليه السلام، فلم تلد امرأة في ذلك العصر مثله علماً وتقوى وتحرّجاً في الدين، وقد ولد في قرية صِريا[٢] من يثرب[٣]، وكان جامعاً لخصال الخير والشرف والنبل.

وبادر الإمام الجوادعليه السلام فأجرى على وليده المبارك المراسيم الشرعية، فأذّن في أُذنه اليمنىٰ وأقام في اليسرى، وختنه في اليوم السابع من ولادته، وحلق رأسه، وتصدّق بزنته فضّة على المساكين، وعقّ عنه بكبش، كما هي العادة المتّبعة عند أئمّة أهل البيتعليهم السلام.

تأريخ ولادته

ولدعليه السلام في الثاني من رجب أو النصف من ذي‌الحجة. في سنة (٢١٢هـ)[٤] وقيل (٢١٤ هـ)[٥].

تسميته وكنيته وألقابه

سمّاه أبوه الإمام الجوادعليه السلام عليّاً، وقد شابه جدّيه العظيمين: الإمام أميرالمؤمنين والإمام علي‌بن الحسين زين‌العابدينعليهما السلام من حيث صفاته وسجاياه.

---

١. الإمام عليّ الهادي (للقرشي)، ص ١٦، عن عيون المعجزات.

٢. صريا: قرية أسّسها الإمام موسى‌بن الجعفرعليه السلام تبعد عن المدينة بثلاثة أميال.

٣. الإتحاف بحبّ الأشراف، ص ٦٧ وجوهرة الكلام، ص ١٥١.

٤. اصول كافى، ج ١، ص ٤٩٧، والإرشاد، ص ٣٦٨.

٥. الإتحاف بحبّ الأشراف، ص ٦٧ وجوهرة الكلام، ص ١٥١ ومرآة الجنان، ج ٢، ص ١٥٩ و تاريخ الخميس، ج ٢، ٣٢١.

وكُنّي بأبي‌الحسن وعُرِف بأبي‌الحسن الثالث؛ إذ إنّ أباالحسن الأوّل هو الإمام موسى‌بن جعفر عليه السلام وأباالحسن الثاني هو الإمام الرضا عليه السلام.

أمّا ألقابه الكريمة الّتي تحكي الصفات الرفيعة فيه فهي:

١ . الناصح؛ اذ كان من أنصح الناس لأُمّة جدّه.

٢ . التقيّ؛ إذ اتّقى الله حقّ تقاته، ولذا فشل المتوكّل فشلاً ذريعاً في اغرائه بأنواع المغريات.

٣ . المرتضىٰ، وهو أشهر ألقابه.

٤ . الفقيه، فقد كان أفقه أهل عصره، وكان المرجع الأعلى للفقهاء والعلماء.

٥ . العالم، وكان أعلم الناس لا في شؤون الشريعة الإسلامية فحسب، وإنّما في جميع أنواع العلوم والمعارف.

٦ . الأمين على الدين والدنيا.

٧ . الطيّب، فلم يكن أحد في عصره أطيب ولا أزكى منه.

٨ . العسكري؛ لأنه أقام بسرّ من رأى الّتي كانت تسمّى العسكر[1].

٩ . الرشيد؛ فقد كان من أرشد الناس، وأهداهم إلى سواء السبيل.

١٠ . الشهيد؛ لأنّه رزق الشهادة على يد أعداء الله.

١١ . الوفي، فقد كان من أوفى الناس.

١٢ . الخالص من كلّ سوء وعيب.

---

١. عمدة الطالب، ص ١٨٨ وفي علل الشرائع، ص ٢٤١ أنّ المحلّة الّتي كان يسكنها تسمّى «عسكر».

ملامحه

كانت ملامحه كملامح جدّه الإمام الرضا وأبيه الإمام الجوادعليهما السلام ، فقد كان شديد السمرة[١]. ووصفه الرواة بأنّه كان أدعج العينين[٢]، شثن الكفين[٣]، عريض الصدر، أقنى الأنف، أفلج الأسنان، حسن الوجه، طيّب الريح، وكان جسيم البدن ـ شبيهاً بجدّه الإمام أبيجعفر الباقرعليه السلام ـ ولم يكن بالقصير المتردّد[٤]، ولا بالطويل الممغّط[٥]، بعيد المنكبين، ضخم الكراديس...[٦]، معتدل القامة[٧].

هيبته ووقاره

أمّا هيبة الإمام الهاديعليه السلام فكانت تعنو لها الجباه، فقد ورث عن آبائه هيبتهم ووقارهم، وكانت تبدو عليه سيماء الأنبياءعليهم السلام وبهاء الأوصياءعليهم السلام، وما لقيه أحد من خصومه أو شيعته إلّا هابه ووقّره. وقد تحدّث عن مدى هيبته محمّدبن الحسن الأشتر العلوي قال: كنت مع أبيعلى باب المتوكّل في جمع من الناس، ما بين طالبيّ وعبّاسيّ وجعفريّ، فبينما نحن وقوف إذ جاء أبوالحسن، فترجّل الناس كلّهم إجلالاً وإكباراً له، حتى دخل القصر، وانبرىٰ بعضهم فأنكر هذا التكريم للإمام وقال:

لمن نترجّل؟! لهذا الغلام؟! ما هو بأشرفنا، ولا بأكبرنا سنّاً،

---

١. نور الأبصار، ص ١٦٤ وبحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١١٦ وجوهرة الكلام، ص ١٥١.

٢. أدعج العينين: شدّة في سواد العينين مع سعتهما.

٣. شثن الكفّين: هو الميل إلى الغلظة.

٤. القصير المتردّد: هو المتناهي في القصر.

٥. الممغّط: هو المتناهي في الطول.

٦. مآثر الكبراء في تأريخ سامرّاء: ج ٣، ص ٢٠. الكراديس: المفاصل.

٧. جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام، ص ١٥١.

والله لا نترجّل له إذا خرج.

فردّ عليه أبوهاشم الجعفري وقال: والله لتترجلنّ له صغاراً وذلّة.

وخرج الإمامعليه السلام فعلت أصوات التكبير والتهليل، وقام الناس بأسرهم تعظيماً له، فالتفت أبوهاشم إلى القوم قائلاً: أليس زعمتم أنّكم لاتترجّلون له؟!

فلم يملكوا أنفسهم لإعجابهم بالإمام، وراحوا يقولون: والله ما ملكنا أنفسنا حتى ترجّلنا[١].

نشأته

نشأ الإمامالهاديعليه السلام في أُسرة تميّزت عن الناس بسلوكها المشرق، وآدابها الرائعة، وفضائلها النيّرة، فكان الصغير منهم يوقّر الكبير، والكبير يحترم الصغير.

لقد نشأ الإمام الهادي في ظلال أبيه الجوادعليه السلام الذي كان أُنموذجاً لكلّ ما يعتزّ به الإنسان من الفضائل والمآثر، وقد أفرغ عليه أشعّة من روحه، فلم تبق فضيلة إلّا غرسها في نفس وليده، وكان يشيد به دوماً، ويبدي إعجابه بمواهبه وذكائه. روى المؤرّخون أنّه لما أراد الشخوص إلى العراق أجلسه في حجره ـ وكان عمره آنذاك ستّ سنين ـ فقال له: «ما الذي تحبّ أن يُهدى إليك من طرائف العراق؟».

فتبسّم الهاديعليه السلام وقال: «سيف كأنّه شعلة».

والتفت الإمام الجوادعليه السلام إلى ولده موسى فقال له: «وأنت، ما تحبّ...؟». فقال موسىٰ: فراش بيت.

---

١. بحار الأنوار، ج ١٣، ص ١٣١ وأعيان الشيعة، ج ٤، ق ٢، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

ولم يكتم الإمام إعجابه بولده الهادي وإنّما قال: «أشبهني أبو الحسن...»[١].

مراحل حياته

١ . كان الإمام الهادي عليه السلام المصداق الثاني لظاهرة الإمامة المبكّرة؛ فقد كانت السلطات العباسية ماكرة في سياستها الظالمة في أحيان كثيرة حيث لا يبرز طبع عدائها لآل النبي صلى الله عليه وآله، ولكنّها كانت تعاجل بقتل الإمام عن طريق السمّ، فاستشهد الإمام الجواد عليه السلام وهو في عمر لا يتجاوز الخامسة والعشرين، فخلفه ولده الإمام علي الهادي عليه السلام، وتولّى مهام الإمامة وهو في الثامنة من عمره الشريف.

٢ . وامتدّت إمامته أربعاً وثلاثين سنة، عاصر خلالها بقية أيام ملك المعتصم، ثم ملك الواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، ثم ملك المعتز. واستشهد عليه السلام في أواخر ملك المعتز، في مدينة سامراء ودفن فيها في الثالث من رجب سنة ٢٥٤هـ.

اهتمّ الإمام الهادي عليه السلام بالتمهيد لإمامة وغيبة الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عليه السلام، وتهيئة الجماعة المؤمنة لتقبّل الوضع المستقبلي الجديد.

كما أنّه وسّع جهاز الوكلاء.

وسعى في تربية الطليعة المؤمنة تربية، توصّلت من خلالها الجماعة المؤمنة إلى مستوى الاستقلال والاكتفاء الذاتي بما لديها من قدرات وطاقات فكريّة وعلميّة وتربويّة، بنحوٍ يحول دون القضاء عليها إذا افتقدت امامها المعصوم أو تعسّر الارتباط به.

---

١. حياة الإمام عليّ الهادي عليه السلام، ص ٢٣ ـ ٢٤.

الخلاصة:

* الأئمة المعصومون من أهل البيت عليهم السلام معدن واحد، وشجرة ثابتة أصلها بيت النبوّة، وتتفرّع منها أغصان الإمامة، ترفد الإنسانية بأعلام هدىً وقادة صلاح. والإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام حلقة من هذه السلسلة الذهبية المتّصلة بالسماء.

* ولد الإمام علي بن محمّد عليه السلام والعناية الإلهية تحوطه، فالأب معصوم مسدّد من الله، والأُم طاهرة نقية، فنشأ علىٰ مائدة القرآن وعلومه، وعلى خُلق النبوة وآدابها.

* أظهر الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام ذكاءً فائقاً ونبوغاً مبكّراً، أدخل السرور على قلب أبيه الذي رآه خير أمين علىٰ رسالة جدّه الأمين محمّد صلى الله عليه وآله، كما تنبّه إلىٰ ذلك كلّ من عاصر الإمام الهادي عليه السلام.

* عانىٰ الإمام عليه السلام من ظلم العباسيين الذين أحكموا قبضتهم علىٰ الحكم، واتّخذوا كلّ وسيلة لإضعاف دور أهل البيت عليهم السلام، فكان الإمام الهادي عليه السلام ووكلاؤه تحت رقابة السلطة، فعاش عليه السلام في دور التقيّة، وبدأ يمهّد لعصر الغيبة الذي كان تقرب بسرعة حيث كان الفاصل بين استشهاد الإمام على الهادي واستشهاد ابنه الحسن العسكري ستّ سنوات تقريباً.

الأسئلة:

١. متىٰ وأين ولد الإمام الهادي عليه السلام؟ وكم سنة امتدّت إمامته؟

٢. ما هي كُنيته عليه السلام؟ وكيف تميّزه بها عن غيره من الأئمة عليهم السلام؟

٣. من هم الملوك الذين عاصرهم الإمام الهادي عليه السلام؟

٤. اذكر بعض ألقاب الإمام الهادي ، ولماذا لقّب بكلٍ منها؟

٥. ماهي مراحل حياة الإمام الهادي عليه السلام؟

المطالعة

إمامة الهادي عليه السلام المبكّرة

امتلك الإمام الهادي عليه السلام في طفولته المبكّرة من الذكاء والنبوغ ما أذهل الفكر وأبهر الألباب ؛ اذ كان ذا ذاكرة قوية وذكاء مفرط وفطنة بالغة. وذكر الرواة بوادر كثيرة من ذكائه كان منها: أنّ المعتصم بعدما اغتال الإمام الجواد عليه السلام عهد إلى عمربن الفرج أن يشخص إلى يثرب ليختار معلّماً لأبي الحسن الهادي عليه السلام البالغ من العمر آنذاك ستّ سنين تقريباً ، وقد عهد إليه أن يكون المعلّم معروفاً بالنصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام ليغذّيه ببغضهم. ولمّا انتهى عمر إلى يثرب التقىٰ بالوالي وعرّفه بمهمّته، فأرشده الوالي إلى الجنيدي، وكان شديد البغض للعلويين، فأرسل خلفه وعرّفه بالأمر فاستجاب له، وعيّن له راتباً شهرياً، وعهد إليه أن يمنع الشيعة من زيارته والاتصال به. وقام الجنيدي بتعليم الإمام إلّا أنّه قد ذهل لما كان يراه من حدّة ذكائه، فقد التقىٰ محمّدبن جعفر بالجنيدي فقال له:

ما حال هذا الصبي الذي تؤدّبه؟ فأنكر الجنيدي ذلك وراح يقول:

أتقول: هذا الصبيّ؟! ولا تقول هذا الشيخ؟

أُنشدك بالله هل تعرف بالمدينة من هو أعرف منّي بالأدب والعلم؟ قال: لا.

قال: إنّي ـ والله ـ لأذكر الحرف في الأدب، وأظنّ أنّي قد بالغت فيه، ثم إنّه يملي أبواباً أستفيدها منه، فيظنّ الناس أنّي أُعلّمه، وأنا ـ والله ـ أتعلّم منه.

وانطوت أيّام فالتقى محمّدبن جعفر مرّة أُخرى بالجنيدي، فقال له: ما حال هذا الصبيّ؟

فأنكر عليه الجنيدي ذلك وقال: دع عنك هذا القول.

والله تعالى لهو خير أهل الأرض، وأفضل من برأه الله تعالىٰ.

وإنّه لربّما همَّ بدخول الحجرة، فأقول له: حتى تقرأ سورة، فيقول: «أي سورة تريد أن أقرأها؟» فأذكر له السور الطوال ما لم يبلغ إليها، فيسرع بقراءتها بما لم أسمع أصحّ منها، وكان يقرؤها بصوت أطيب من مزامير داود.

وإنّه حافظ القرآن من أوّله إلى آخره، ويعلم تأويله وتنزيله.

وأضاف الجنيدي يقول: هذا صبيّ صغير نشأ بالمدينة بين الجدران السود، فمن أين علم هذا العلم الكبير، يا سبحان الله؟!

ثمّ إنّه نزع عن نفسه النصب لأهل البيت عليهم السلام ودان بالولاء لهم واعتقد بالإمامة[١].

ومن الطبيعي أنّه لا تعليل لهذه الظاهرة إلّا أن نقول: إنّ الله أمدّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام بالعلم والحكمة، وآتاهم من الفضل ما لم يؤتِ أحداً من العالمين، من غير فرق بين الصغير والكبير منهم.

تعظيم العلويين له

أجمع السادة العلويون على تعظيم الإمام الهادي عليه السلام والاعتراف له بالزعامة والفضل، وكان من بينهم عمّ أبيه زيدبن الإمام موسىبن جعفر عليه السلام وكان شيخاً كبيراً، وقد كلّف عمربن الفرج ـ وكان بوّاباً للإمام ـ على أن يستأذن له ليتشرّف بمقابلته،

١. مآثر الكبراء في تأريخ سامرّاء، ج ٣، ص ٩٦ ـ ٩٦.

وكلّم الإمامعليه السلام في شأنه فأذن له، ودخل على الإمام وكان في صدر المجلس فجلس زيد بين يديه؛ تكريماً وتعظيماً، واعترافاً له بالإمامة. وفي اليوم الثاني تشرّف زيد بالدخول إلى مجلس الإمام، ولم يكنعليه السلام حاضراً فتصدّر زيد في المجلس، وأقبل الإمام، فلمّا رآه زيد وثب من مكانه وأجلسه فيه، وجلس بين يديه متأدّباً مع صغر سن الإمام وكِبَر زيد[1].

انطباعات عن شخصية الإمام علي بن محمّد الهاديعليه السلام

١. قال يحيى بن هرثمة ـ الذي أرسله المتوكل لإشخاص الإمامعليه السلام إلى سرّ من رأى ـ: فذهبت إلى المدينة، فلمّا دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي، وقامت الدنيا على ساق؛ لأنّه كان محسناً إليهم، ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا، فجعلت أُسكنهم وأحلف لهم أنّي لم أُؤمر فيه بمكروه، وأنّه لا بأس عليه، ثمّ فتّشتُ منزله فلم أجد فيه إلّا مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني، وتولّيت خدمته بنفسي، وأحسنت عشرته. فلمّا قدمتُ به بغداد وبدأتُ بإسحاق الطاهري وكان والياً على بغداد، فقال لي:

يا يحيى! إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وآله والمتوكّل مَن تَعلم، فإن حرّضته عليه وقتله كان رسول الله صلى الله عليه وآله خصمك يوم القيامة.

فقلت له: والله ما وقعتُ منه إلّا على كلّ أمر جميل.

ثمّ صرتُ به إلى سرّ من رأى فبدأتُ بوصيف التركي فأخبرته بوصوله، فقال: والله لئن سقطتْ منه شعرة لايطالَبُ بها سواك.

فعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق.

---

١. مآثر الكبراء، ج ٣، ص ٩٤.

فلمّا دخلت على المتوكل سألني عنه، فأخبرته بحسن سيرته، وسلامة طريقه وورعه وزهادته، وأنّي فتّشتُ داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم، وأنّ أهل المدينة خافوا عليه[١].

٢ . قال يزداد الطبيب: إذا كان مخلوق يعلم الغيب فهو[٢].

٣ . قال أحمدبن محمّدبن أبي‌بكر بن خلّكان: أبوالحسن علي الهادي‌بن محمّد الجواد بن الرضا، وهو أحد الأئمة الاثني عشر، وكان قد سُعي به إلى المتوكّل وقيل: إنّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، وأوهموه أنّه يطلب الأمر لنفسه، فوجّه إليه بعدّة من الأتراك ليلاً فهجموا عليه في منزله على غفلة، فوجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من شعر، وعلى رأسه ملحفة من صوف، وهو مستقبل القبلة يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلّا الرمل والحصى...[٣].

٤ . قال عبدالله بن أسعد اليافعي: أبوالحسن علي الهادي بن محمّد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني، عاش أربعين سنة، وكان متعبّداً فقيهاً إماماً[٤].

٥ . قال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير: و أمّا أبوالحسن عليّ الهادي فهو ابن‌محمّد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي‌طالب، أحد الأئمة الاثني عشر، وهو والد الحسن بن علي العسكري، وقد كان عابداً زاهداً، نقله المتوكّل إلى سامراء فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر، ومات بها في هذه السنة، سنة أربع وخمسين ومئتين. وقد ذكر للمتوكّل أنّ بمنزله سلاحاً وكتباً كثيرة من

---

١. تذكرة الخواصّ، ص ٢٠٢.
٢. بحار الأنوار، ج ١٢، ص ١٣٧.
٣. وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٣٥.
٤. مرآة الجنان، ج ٢، ص ١٦٠.

الناس، فبعث كَبَسةً، فوجدوه جالساً مستقبل القبلة وعليه مدرعة من صوف، وهو على التراب ليس دونه حائل، فأخذوه كذلك، فحملوه إلى المتوكل...[١]

٦ . قال محمّد سراج الدين الرفاعي: الإمام عليالهاديبن الإمام محمّد الجواد، ولقبه النقي والعالم والفقيه والأمير والدليل والعسكري والنجيب. ولد في المدينة سنة اثنتي عشرة ومئتين من الهجرة، وتوفي شهيداً بالسم في خلافة المعتز العباسي يوم الاثنين لثلاث خلون من رجب سنة أربع وخمسين ومئتين. وكان له خمسة أولاد: الإمام الحسن العسكري، والحسين، ومحمّد، وجعفر، وعائشة. فالحسن العسكري أعقب صاحب السرداب الحجّة المنتظر ولي الله محمّد المهدي[٢].

٧ . قال أحمد بن حجر الهيثمي: علي العسكري سمي بذلك لأنّه لمّا وجّه لإشخاصه من المدينة النبوية إلى سرّ من رأى وأسكنه بها، وكانت تسمّى العسكر فعرف بالعسكري، وكان وارث أبيه علما وسخاء...[٣].

٨ . قال أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي القرماني: الفصل التاسع في ذكر بيت الحلم والعلم والأيادي، الإمام علي بن محمّد الهادي، رضي الله عنه: ولد بالمدينة، وأمّه أمّ ولد، وكنيته أبوالحسن، ولقبه الهادي والمتوكّل، وكان أسمر. نقش خاتمه «الله ربي وعصمتي من خلقه» وأمّا مناقبه فنفيسة، وأوصافه شريفة...[٤].

٩ . قال مؤمن الشبلنجي: ومناقبه رضي الله عنه كثيرة، قال في الصواعق: كان أبوالحسن العسكري وارث أبيه علما وسخاءً. وفي حياة الحيوان: سمي العسكري لأنّ المتوكّل لمّا كثرت السعاية فيه عنده أحضره من المدينة وأقرّه بسرّ من رأى...[٥].

---

١. البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٥.
٢. صحاح الأخبار، ص ٥٦.
٣. الصواعق المحرقة، ص ٢٠٥.
٤. أخبار الدول، ص ١١٧.
٥. نور الأبصار، ص ١٤٩.

١٠ . قال محمّد أمين غالب الطويل: كان حسن الخلق حتى لم يكن أحد يشكّ في عصمته، ولكن خطر الإمامة أوهم الخليفة المتوكّل بالخطر، وقد وشي به إليه أنّه جمع في بيته معدّات وأسلحة استعداداً للخروج عليه، والادعاء بالخلافة، فأرسل الخليفة حينئذ عساكره التركيّة فهجموا ليلاً على بيته، وقد اختار الخليفة العساكر التركيّة؛ لسوء ظنّه بالعرب المسلمين؛ لأنّهم يعرفون من الأحقّ بالخلافة. أمّا الأتراك فكانوا حديثي عهد بالخلافة الإسلامية، وكانوا لا يعرفون غوامضها، بل كانوا يناصرون العباسيين الذين اعتادوا التزوّج من بنات الأتراك.

ذهبت العساكر التركية ليلاً إلى بيت الإمام، ورأوه جالساً على التراب، ملتفّاً برداء صوف، وهو يقرأ القرآن. وبعد تفتيش جميع زوايا بيته أحضروه إلى الخليفة، وأخبروه بالقصّة، وكيف أنّهم رأوا الإمام زاهداً، وأنّهم لم يجدوا عنده شيئاً من العدّة...[1].

١١ . قال السيد عبدالوهاب البدري: وبقي الإمام الهادي ينتقل في مجالس سامراء، يواسي ذي‌المصاب، ويساعد المحتاج، ويرحم المساكين، ويشفق على اليتيم، ويدلف ليلاً إلى الأرامل والثكالى، وثوبه كلّه (صُرَر) فينثرها عليهم ﴿لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾[2]، يذهب نهاره إلى عمله فيقف تحت الشمس يعمل في مزرعته حتى يتصبّب العرق من جسمه، وعندما يقبل الليل يتّجه إلى ربّه ساجداً راكعاً خاشعاً ليس بين جبينه الوضّاح وبين الأرض سوى الرمل والحصى، وأنّه يردّد دعاءه المشهور: «الهي مسيء قد ورد، وفقير قد قصد، لا تخيّب مسعاه وارحمه واغفر له خطأه»[3].

---

١. تأريخ العلويّين، ص ١٦٧. ٢. الإنسان: الآية ٩.

٣. سيرة الإمام العاشر عليّ الهادي عليه السلام، ص ٥٩.

الدرس ٤٩

من فضائل الإمام علي الهادي‌عليه‌السلام ومظاهر شخصيته

١. كرمه

كان من أبسط الناس كفاً، وأنداهم يداً، وقد روى المؤرّخون بـوادر كثيرة من برّ الإمام الهادي‌عليه‌السلام وإحسانه إلى الفقراء والبائسين، نقتصر منها على مايلي:

١ . وفد جماعة من أعلام الشيعة على الإمام الهادي‌عليه‌السلام ، وهم أبوعمرو عثمان‌بن سعيد، وأحمد بن إسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر الحمداني، فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه، فالتفت‌عليه‌السلام إلى وكيله عمرو، وقال له: ادفع له ثلاثين ألف دينار، وإلى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار، كما أعطىٰ وكيله مثل هذا المبلغ. وعلّق ابن‌شهرآشوب عـلى هـذه المكـرمة العلوية بقوله: فهذه معجزة لا يقدر عليها إلّا الملوك، وما سمعنا بمثل هذا العطاء[1].

٢ . ومن كرمه أنّه كان قد خرج من سامراء إلى قرية له، فقصده رجل

---

١. المناقب، ج ٤، ص ٤٠٩.

من الأعراب، فلم يجده في منزله، فأخبره أهله بأنّه ذهب إلى ضيعة له، فقصده ولمّا مَثُل عنده سأله الإمام عن حاجته، فقال بنبرات خافتة:

يابن رسول الله! أنا رجل من أعراب الكوفة، المتمسّكين بولاية جدّك عليّ بن أبيطالب، وقد ركبني فادح ـأي دَيْن ـ أثقلني حمله، ولم أرَ من أقصده سواك.... .

فرقّ الإمام لحاله، وأكبر ما توسّل به، وكان عليه السلام في ضائق، لا يجد ما يسعفه به، فكتب عليه السلام ورقة بخطّه جاء فيها: أنّ للأعرابي ديناً عليه، وعيّن مقداره، وقال له: «خذ هذه الورقة، فإذا وصلتُ إلى سرّ من رأى، وحضر عندي جماعة فطالِبْني بالدين الذي في الورقة، واغلظ عليّ في ترك إيفائك، ولا تخالفني فيما أقول لك».

فأخذ الأعرابي الورقة، ولمّا رجع الإمام إلى سرّ من رأى حضر عنده جماعة كان فيها من عيون السلطة، فجاء الأعرابي فأبرز الورقة، وطالب الإمام عليه السلام بتسديد دينه الذي في الورقة فجعل الإمام عليه السلام يعتذر إليه، والأعرابي يغلظ له في القول، ولمّا تفرّق المجلس بادر رجال السلطة إلى المتوكّل فأخبروه بالأمر، فأمر بحمل ثلاثين ألف درهم إلىٰ الإمام فحملت له، ولما جاء الأعرابي قال له الإمام عليه السلام:

«خذ هذا المال فاقض به دينك، وانفق الباقي على عيالك...».

وأكبر الأعرابي ذلك، وقال للإمام عليه السلام: إنّ ديني هو ثلث هذا المبلغ...ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء[1].

---

١. الإتحاف بحبّ الأشراف، ص ٦٧ ـ ٦٨ وشرح شافية أبيفراس، ج ٢، الورقة ١٦٧ وجوهرة الكلام، ص ١٥١.

٢. زهده

لقد عزف الإمام الهادي عليه السلام عن جميع مباهج الحياة ومتعها، وعاش عيشة زاهدة إلى أقصىٰ حدّ، فلم يحفل بأيّ مظهر من مظاهر الحياة الدُنيا، بل آثر طاعة الله على كلّ شيء. وكان منزله في يثرب وسرّ من رأى خالياً من كلّ أثاث، وحين داهمت منزلَه شرطة المتوكّل فتّشته تفتيشاً دقيقاً، فلم يجدوا فيه شيئاً من رغائب الحياة. ولمّا فتّشت الشرطة داره في سرّ من رأى وجدتْ الإمام في بيت مغلق، وعليه مدرعة من شعر وهو جالس على الرمل والحصى، ليس بينه وبين الأرض فراش[1].

٣. عمله في مزرعة له

كان الامام عليه السلام يعمل بيده في أرض له لإعاشة عياله. روى عليّ بن حمزة فقال: رأيت أبا الحسن الثالث يعمل في أرض وقد استنقعتْ قدماه من العرق فقلت له: جعلت فداك أين الرجال؟

فقال الإمام: «يا علي قد عمل بالمسحاة من هو خير منّي ومن أبي في أرضه...».

قلت: من هو؟

فقال: «رسول الله صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين وآبائي كلّهم عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيّين والمرسلين والأوصياء الصالحين...»[2].

---

١. راجع الفصول المهمّة، ص ٢٧٧ وبحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٩٩.
٢. من لايحضره الفقيه، ج ٣، ص ١٦٢.

٤. إرشاد الضالين

اهتمّ الإمام الهاديعليه السلام اهتماماً بالغاً بإرشاد الضالين والمنحرفين عن الحقّ وهدايتهم إلى سواء السبيل، وكان من بين مَن أرشدهم أبوالحسن البصري المعروف بالملّاح؛ فقد كان واقفياً يقتصر على إمامة الإمام موسى‌بن جعفر، ولا يعترف بإمامة غيره من أبنائه الطاهرين، فالتقاه الإمام الهادي فقال له:

«إلى متى هذه النومة؟ أما آن لك أن تنتبه منها؟!».

وأثّرت هذه الكلمة في نفسه فآب إلى الحقّ، والرشاد[١].

٥. تكريمه للعلماء

كان الإمام الهاديعليه السلام يكرم رجال الفكر والعلم، ويحتفي بهم ويقدّمهم على بقية الناس؛ لأنّهم مصدر النور في الأرض. وكان من بين من كرّمهم أحد علماء الشيعة وفقهائهم، وكان قد بلغه عنه أنّه حاجج ناصبياً فأفحمه وتغلّب عليه، فسرّ الإمامعليه السلام بذلك. ووفد العالم على الإمام فقابله بحفاوة وتكريم، وكان مجلسه مكتظّاً بالعلويين والعباسيين، فأجلسه الإمام على دَسْتٍ، وأقبل عليه يحدّثه، ويسأل عن حاله سؤالاً حفيّاً. وشقّ ذلك على حضّار مجلسه من الهاشميين، فالتفتوا إلى الإمام وقالوا له: كيف تقدّمه على سادات بني هاشم؟

---

١. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٩، إعلام الورى، ج ٢، ص ١٢٣.

فقال لهم الإمام: «إيّاكم أن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ألم تر إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولّىٰ فريق منهم وهم معرضون﴾[1] أترضون بكتاب الله عزّ وجلّ حكماً؟. فقالوا جميعاً: «بلىٰ يابن رسول الله...».

وأخذ الإمام يقيم الدليل على ما ذهب إليه قائلاً: «أليس الله قال: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم﴾ [إلى قوله] ﴿والذين أُوتوا العلم درجات﴾[2] فلم يرض للعالم المؤمن إلّا أن يرفع على المؤمن غير العالم، كما لم يرض للمؤمن إلّا أن يرفع على من ليس بمؤمن، أخبروني عنه، قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات﴾ هل قال: يرفع الله الذين أُوتوا شرف النسب درجات؟! أو ليس قال الله: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[3].

فكيف تنكرون رفعي لهذا لمّا رفعه الله؟ إنّ كسر هذا لفلان الناصب بحجج الله التي علّمه إيّاها لأشرف من كلّ شرف في النسب...».

وسكت الحاضرون، فقد ردّ عليهم الإمام ببالغ حجّته، إلّا أنّ بعض العبّاسيين قال:

يابن رسول الله! لقد شرّفت هذا علينا، وقصرتنا عمّن ليس له نسب كنسبنا، وما زال منذ أول الإسلام يقدّم الأفضل في الشرف على من دونه...

---

١. آل عمران: الآية ٢٣. ٢. المجادلة: الآية ١٠.
٣. الزمر: الآية ٨.

فردّ عليه الإمامعليه السلام قائلاً: «سبحان الله أليس العبّاس بايع أبابكر وهو تيمّي، والعباس هاشميّ؟! ... فإن كان رفعاً لمن ليس بهاشمي على هاشمي منكراً، فأنكر على العباس بيعته لأبي‌بكر ...، فإن كان ذلك جائزاً فهذا جائز...».

فأُفحم العباسي، وأُلقم حجراً[١]؛ فإنّه لمّا كان لم يع الأدلة المدعمة من الكتاب العزيز عرض له بيعة جدّه العباس لأبي‌بكر مع أنّ الخليفة لا يساوي العباس في النسب.

٦. عبادته

لم يرَ الناس في عصره مثل الإمام الهاديعليه السلام في عبادته وتقواه وشدّة تحرّجه في الدين، فلم يترك نافلة من النوافل إلّا أتى بها، وكان يقرأ في الركعة الثالثة من نافلة المغرب سورة الحمد وأول سورة الحديد إلى قوله تعالى: ﴿إنّه عليم بذات الصدور﴾، وفي الركعة الرابعة سورة الحمد وآخر سورة الحجرات[٢]، كما نُسبت إليه صلاة نافلة كان يصلّي فيها ركعتين يقرأ في الأُولىٰ سورة الفاتحة وياسين وفي الثانية سورة الفاتحة[٣] والرحمن.

---

١. الاحتجاج للطبرسي، ج ٢، ص ٥٠٠. ٢. وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٧٥٠.
٣. المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٩٨.

المطالعة

٧. استجابة دعائه

١ . روىٰ المنصوري أبوالحسن محمّدبن أحمد عن عمّ أبيه قال: قصدت الإمام عليّاً الهادي، فقلت له: يا سيّدي إنّ هذا الرجل -يعني المتوكّل- قد أطرحني، وقطع رزقي، وملّني، وما أتّهمُ به في ذلك هو علمه بملازمتي بك. وطلب من الإمام التوسّط في شأنه عند المتوكّل، فقال عليه السلام: «تُكفىٰ إن شاء الله». ولمّا صار الليل طرقته رسل المتوكّل فخفّ معهم مسرعاً إليه، فلمّا انتهى إلى باب القصر رأى الفتح واقفاً على الباب، فاستقبله وجعل يوبّخه على تأخيره، ثم أدخله على المتوكّل فقابله ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً:

يا أبا موسى تنشغل عنّا وتتنسانا؟! أيّ شيء لك عندي؟

وعرض الرجل حوائجه وصلاته التي قطعها عنه، فأمر المتوكّل بها وبضِعفها له، وخرج الرجل مسروراً، فتبعه الفتح فأسرع إليه قائلاً:

لست أشكّ أنّك التمست منه -أي من الإمام- الدعاء، فالتمس لي منه الدعاء.

ومضى ميمّماً وجهه نحوالإمام عليه السلام فلمّا تشرّف بالمثول بين يديه قال عليه السلام له:

«يا أبا موسى هذا وجه الرضا...».

فقال الرجل بخضوع: ببركتك يا سيّدي، ولكن قالوا لي: إنّك ما مضيت إليه ولا سألته.

فأجابه الإمام ببسمات قائلاً: «إنّ الله تعالى علم منّا أنّا لا نلجأ في المهمّات إلّا إليه، ولا نتوّكل في الملمّات إلّا عليه، وعوّدنا إذا سألناه الإجابة، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا...».

وفطن الرجل إلى أنّ الإمام قد دعا له بظهر الغيب، وتذكّر ما سأله الفتح فقال:

«يا سيّدي إن الفتح يلتمس منك الدعاء، فلم يستجب الإمام له وقال: «إن الفتح يوالينا بظاهره ويجانبنا بباطنه، الدعاء إنّما يُدعىٰ له إذا أخلص في طاعة الله، واعترف برسول اللهﷺ وبحقّنا أهل البيت...».

وطلب الرجل من الإمام أن يعلّمه دعاءً ينتفع به فأرشده عليه السلام إلى هذا الدعاء:

«يا عدّتي عند العدد، ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسند، ويا واحد، يا أحد، ويا قل هو الله أحد، أسألك اللهمّ بحقّ من خلقتهم ولم تجعل في خلقك مثلهم أن تصلّي عليهم ... ثم تذكر حاجتك...»[١].

٢ . ومن أدعية الإمام عليه السلام المستجابة ما روي أن عليّ بن جعفر كان من وكلاء الإمام عليه السلام، فسُعي به إلى المتوكّل فحبسه، وبقي في ظلمات السجون مدّة من الزمن، وقد ضاق به الأمر فتكلّم مع بعض عملاء السلطة في إطلاق سراحه، وقد ضمن أن يعطيه عوض ذلك ثلاثة آلاف دينار، فأسرع إلى عبيدالله وهو من المقرّبين عند المتوكّل، وطلب منه التوسّط في شأن عليّ بن جعفر، فاستجاب له، وعرض الأمر على المتوكّل، فأنكر عليه ذلك وقال له: لو شككت فيك لقلت: إنّك رافضي، هذا وكيل أبي‌الحسن الهادي وأنا على قتله عازم.

---

١. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٧؛ الأمالي (للطوسي)، ح ٥٥٥.

وندم عبيدالله على التوسّط في شأنه، وأخبر صاحبه بالأمر، فبادر إلى عليّ بن جعفر، وعرّفه أن المتوكّل عازم على قتله ولا سبيل إلى إطلاق سراحه. فضاق الأمر بعليّ بن جعفر، فكتب رسالة إلى الإمام جاء فيها: يا سيّدي، الله الله فيَّ، فقد خفت أن أرتاب. فوقّع الإمام على رسالته: «أمّا إذا بلغ بك الأمر ما أرى فسأقصد الله فيك» وأصبح المتوكّل محموماً دنفاً، وازدادت به الحمّىٰ فأمر بإطلاق جميع المساجين، وأمر بإطلاق سراح علي بن جعفر بالخصوص، وقال لعبيدالله لِمَ لَمْ تعرض عليَّ اسمه؟ فقال: لا أعود إلى ذكره أبداً، فأمره بأن يخلّي عنه، وأن يلتمس منه أن يجعله في حلّ مما ارتكبه منه، وأطلق سراحه، ثمّ نزح إلى مكّة فأقام بها بأمر من الإمام[1] عليه السلام.

١. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٣.

الخلاصة:

* كان الإمام الهادي‰ رحمة للأُمة الإسلامية، وأُسوة لها في عبادته ودعواته وزهده وكرمه، بل كلّ أفعاله.

* لم يعش الإمام‰ في معزل عن حياة الجماهير المسلمة وحركتها، وكان يعمل ليكسب قوته، ويعين الضعفاء والفقراء، ويهدي مَن ضلّ عن طريق الحقّ، ويحارب الأفكار المنحرفة والبدع المغرضة.

* أظهر الإمام الهادي‰ تقديره واحترامه للعلماء تشجيعاً منه لحملة الرسالة ولدورهم الفاعل في مرحلة غيبة الإمام‰.

الأسئلة:

١. ما هو الدرس الذي نستخلصه من عمل الإمام‰ في مزرعته؟

٢. لماذا كان الإمام‰ يحترم العلماء ويُكرِمهم؟

٣. اذكر بعض مظاهر كرم الإمام‰ والدروس المستفادة من ذلك.

٤. ما هو السرّ في استجابة الدعاء من خلال نصوص الإمام‰ و سيرته؟

الدرس ٥٥

من تراث الإمام الهادي﷣

أُثرت عن الإمام أبي‌الحسن الهادي﷣ مجموعة من الكلمات الرائـعة التي تعدّ من أغلىٰ الثروات الفكرية في الإسلام، وقد عالج فيها مـختلف القضايا التربوية والأخلاقية والنفسية، وهذه بعضها:

١ . «خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم عامله...».

٢ . قال﷣ لبعض مواليه: عاتِبْ فُلانا وقـل له: «إنَّ اللهَ إذا أرادَ بـعبدٍ خيراً إذا عُوتبَ قَبِل...».

٣ . «مَن سَأل فوقَ قَدْرِ حَقِّهِ فهو أولىٰ بالحِرمانِ...».

٤ . «صَلاحُ مَنْ جَهِلَ الكَرامةَ هَوانُهُ».

٥ . «الحِلْمُ أن تَملِكَ نفسَكَ، وتَكظِمَ غَيْظَكَ مَعَ القُدرَةِ عليه...».

٦ . «الناسُ في الدُنيا بالمالِ، وفي الآخرةِ بالأعْمالِ...».

٧ . «تُريكَ المقاديرُ ما لا يَخطُرُ بِبالِكَ...».

٨ . «شَرّ الرَزِيَةِ سُوءُ الخُلُق...».

٩ . «الغِنىٰ قِلّة تَمَنّيك، والرِضىٰ بِما يَكفيكَ، والفَقْرُ شَرَهُ النَفْسِ، وَشِدّةُ القُنوطِ، والمَذَلّةُ اتّباعُ اليَسيرَ، والنَظَرُ في الحَقيرِ...».

١٠ . وسَئِل عن الحَزمِ فقالﷺ: «هُوَ أَنْ تَنْظُرَ فُرْصَتَكَ، وَتُعاجِلَ ما أمْكَنَكَ...».

١١ . «الدُّنْيا سُوقٌ: رَبِحَ فيها قَوْمٌ، وَخَسِرَ آخرُونَ».

١٢ . «راكِبُ الحَرونِ[1] أسيرُ نَفْسِهِ...».

١٣ . «الجاهِلُ أسيرُ لِسانِهِ».

١٤ . «المِراءُ يُفْسِدُ الصَداقَةَ القَديمةَ، ويُحلّل العُقْدَةَ الوَثيقَةَ، وأقَلُّ ما فيهِ أنْ تَكونَ المُغالَبَةُ، والمُغالَبَة أُسُّ أسْبابِ القَطيعَةِ».

١٥ . «العِتابُ مِفتاحُ التَعالي، والعِتابُ خَيْرٌ مِنَ الحِقْدِ...».

١٦ . أثنى بعضُ أصحابِ الإمام على الإمامﷺ. وأكْثَرَ مِن تَقريظِهِ والثَناءِ عَليهِ، فقالﷺ له: «إنّ كَثْرَةَ المَلَقِ يَهجِمُ على الفِطْنَةِ، فإذا حَلَلْتَ مِن أَخيكَ مَحلَّ الثِقَةِ فَاعدِلْ عَنِ المَلَقِ إلى حُسْنِ النِيَّةِ».

١٧ . «المُصيبَةُ لِلصابِرِ واحِدَةٌ، ولِلجازِع اثْنانِ».

١٨ . «الحَسَدُ ماحِقُ الحَسَناتِ، والزَهْوُ جالِبُ المَقْتِ».

١٩ . «العُجْبُ صارِفٌ عَن طَلَبِ العِلْمِ، وَداعٍ إلى التَّخَمُّطِ[2] في الجَهْلِ...».

---

١. الحرون: الفرس الّذي لا ينقاد.
٢. أي: التكبّر.

٢٠ . «البُخْلُ أذمُّ الأَخْلاقِ، وَالطَمَعُ سَجِيَّةٌ سَيِّئَةٌ».

٢١ . «مُخالَطَةُ الأشرارِ تَدَلُّ على شَرِّ مَن يُخالِطُهم...».

٢٢ . «الكُفرُ لِلنِعَمِ أمارَةُ البَطَرِ، وسَبَبٌ للتغيير...».

٢٣ . «اللَّجاجَةُ مَسْلَبَةٌ للسَّلامَةِ، ومُؤَدِّيَةٌ لِلنَدامَةِ...».

٢٤ . «الهُزْءُ فَكاهَةُ السُّفَهاءِ وَصَناعَةُ الجُهّالِ...».

٢٥ . «العُقوقُ يُعَقِّبُ القِلّة، وَيُؤَدِّي إلىٰ الذِلّة...».

٢٦ . «السَهَرُ ألَذُّ لِلمَنامِ، وَالجُوعُ يَزيد في طِيبِ الطَعامِ...».

٢٧ . قال عليه السلام لبعض أصحابه: «اذكُرْ مَصْرَعَكَ بَيْنَ يَدَيْ أهْلِكَ، حَيْثُ لا طَبِيبَ يَمْنَعُكَ، وَلا حَبيبَ يَنْفَعُكَ...».

٢٨ . «اذكُرْ حَسَراتِ التَّفريط بِأَخْذِ تَقْدِيمِ الحَزْمِ...».

٢٩ . «مَا اسْتراحَ ذُو الحِرْصِ وَالحِكْمَةِ...».

٣٠ . «مَنْ لَمْ يُحسِنْ أنْ يَمنعَ لَمْ يُحْسِنْ أنْ يُعْطِيَ...».

٣١ . «إيّاكَ وَالحَسَدَ ؛ فإنَّهُ يَبينُ فِيكَ، وَلا يَعْمَلُ في عَدُوِّكَ...».

٣٢ . «إذا كانَ زَمانٌ، العَدْلُ فيه أغْلَبُ مِنَ الجَوْرِ، فَحَرامٌ أنْ يُظَنَّ بِأَحَدٍ سُوءاً حتّى يُعْلَمَ ذلِكَ مِنهُ، وإذا كان زمانٌ، الجَوْرُ أغْلَبُ فيهِ مِنَ العَـدْلِ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أنْ يَظُنَّ بِأَحَدٍ خَيْراً ما لَم يَعْلَمْ ذلِكَ مِنهُ...».

٣٣ . قال عليه السلام للمتوكّل: «لا تَطْلُبْ الصَّفاءَ مِمَّنْ كَدَّرْتَ عَلَيْهِ، وَلا الوَفاءَ مِمَّنْ غَدَرْتَ بِهِ، وَلا النُصْحَ مِمّن صَرَفْتَ سُوءَ ظَنِّكَ إلَيْهِ ؛ فَإنّما قَلْبُ غَيْرِكَ لَكَ كَقَلْبِكَ لَهُ...».

٣٤ . «أبْقُوا النِعَمَ بِحُسْنِ مُجاوَرَتِها، وَالْـتَمِسُوا الزِيـادَةَ فـيها بِـالشُكرِ عَلَيها، واعْلَموا أنّ النَفْسَ أَقبَلُ شَيْءٍ لِما أُعْطِيَتْ، وَأمنَعُ شَيْءٍ لما مُنِعَتْ، فاحْمِلوها على مَطِيَّةٍ لا تُبطِئُ...».

٣٥ . «الجَهْلُ وَالبُخْلُ أَذَمّ الأخْلاقِ...».

٣٦ . «حُسْنُ الصُورَةِ جَمالٌ ظاهِرٌ، وَحُسْنُ العَقْلِ جَمالٌ باطِنٌ...».

٣٧ . «إنّ مِنَ الغِرّةِ باللهِ أنْ يُصِرّ العَبدُ عَلى المَعْصِيةِ، ويَتَمنّى عَلى اللهِ المِغْفِرَة...».

٣٨ . «لَوْ سَلَكَ الناسُ وادياً وَسيعاً لَسَلَكْتُ وادِيَ رَجُلٍ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ خالِصاً...».

٣٩ . «وَالَغَضَبُ عَلى مَنْ تَمْلِكُ لُؤْمٌ...».

٤٠ . «إنَّ للهِ بِقاعاً يُحِبُّ أنْ يُدعىٰ فيها فَيَسْتَجيبَ لِمَنْ دَعاهُ، وَالحَيْرُ مِنْها»[١].

٤١ . وَ قالَ عليه السلام: «مَنِ اتَّقَى اللهَ يُتَّقىٰ، وَمَنْ أطاعَ اللهَ يُطاعُ، وَمَنْ أَطـاعَ الخالِقَ لَمْ يُبالِ سَخَطَ المخْلُوقِينَ، وَمَنْ أَسْخَطَ الخالِقَ فَلْيَتَيَقَنْ أنْ يَحِلَّ بِه سَخَطُ المخْلُوقينَ».

٤٢ . «إنَّ اللهَ لا يُوصَفُ إلّا بِما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَأَنّىٰ يُـوصَفُ الّـذِي تَعْجِزُ الحَواسُّ أنْ تُـدْرِكَهُ، وَالأَوْهـامُ أنْ تُـنالَهُ، وَالخَـطَراتُ أَنْ تَـحُدَّهُ، وَالأَبْصارُ عَنِ الإحاطَةِ بِهِ. نَأىٰ فِي قُرْبِهِ، وَقَرُبَ فِي نَأْيِهِ، كَيَّفَ الكَيْفَ بِغَيْرِ

١. الحير ـ بالفتح ـ : مخفّف حائر، والمراد أنَّ الحائر الحسيني من هذه البقاع.

أَنْ يُقالَ: كَيْفَ، وَأَيَّنَ الأَيْنَ بِلا أَنْ يُقالَ: أَيْنَ. هُوَ مُنْقَطِعُ الكَيْفِيَّةِ والأَيْنِيَّةِ، الواحِدُ الأَحَدُ، جَلَّ جَلالُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ».

٤٣ . وَقالَ الحَسَنُ بْنُ مَسْعُودٍ: دَخَلْتُ عَلىٰ أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ مُحمَّدٍ عليه السلام ، وَقَدْ نُكِبَتْ إِصْبَعِي[1] وَتَلَقّانِي راكِبٌ وَصَدَمَ كِتْفِي، وَدَخَلْتُ في زَحْمَةٍ[2] فَخَرَّقُوا عَلَيَّ بَعْضَ ثِيابِي، فَقُلْتُ: كَفانِيَ اللهُ شَرَّكَ مِنْ يَوْمٍ، فَما أَيْشَمَكَ[3]. فَقالَ عليه السلام لِي: «يا حَسَنُ، هٰذا وَأَنْتَ تَغْشانا[4] تَرْمِي بِذَنْبِكَ مَنْ لا ذَنْبَ لَهُ؟» قالَ الحَسَنُ: فَأَثابَ إِلَيَّ عَقْلِي، وَتَبَيَّنْتُ خَطائِي، فَقُلْتُ: يا مَوْلايَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ. فَقالَ: «يا حَسَنُ ما ذَنْبُ الأَيّامِ حَتّىٰ صِرْتُمْ تَتَشاءَمُونَ بِها إذا جُوزِيتُمْ بِأَعْمالِكُمْ فِيها؟» قالَ الحَسَنُ: أَنا أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَبَداً وَهِيَ تَوْبَتِي يَابْنَ رَسُولِ اللهِ. قالَ عليه السلام: «وَاللهِ ما يَنْفَعُكُمْ، وَلٰكِنَّ اللهَ يُعاقِبُكُمْ بِذَمِّها عَلىٰ ما لا ذَمَّ عَلَيْها فِيهِ. أَما عَلِمْتَ يا حَسَنُ أَنَّ اللهَ هُوَ الْـمُثِيبُ وَالمُعاقِبُ وَالْمجازِي بِالأَعْمالِ عاجِلاً وَآجِلاً؟» قُلْتُ: بَلىٰ يا مَوْلايَ، قالَ عليه السلام: «لا تَعُدْ، وَلا تَجْعَلْ لِلأَيّامِ صُنْعاً فِي حُكْمِ اللهِ».

٤٤ . «مَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ وَأَلِيمَ أَخْذِهِ تَكَبَّرَ حَتّىٰ يَحِلَّ بِهِ قَضاؤُهُ وَنافِذُ أَمْرِهِ، وَمَنْ كانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ هانَتْ عَلَيْهِ مَصائِبُ الدُّنْيا وَلَوْ قُرِضَ وَنُشِرَ».

---

١. نكبت إصبعي: خُدشت.

٢. الزحمة: الزِحام، من زَحَمه زَحْماً وزِحاماً إذا ضايقه ودافعه في محلّ ضيق. وخرّق الثوب: مزّقه.

٣. كذا. في النسخة، والظاهر: فما أشأمك.

٤. غشا يشغو، وغشي يغشي المكان: أتاه.

٤٥ . وَقالَ داوُدُ الصَّرْمي[١]: أَمَرَني سَيِّدي بِحَوائِجَ كَثيرَةٍ، فَقالَ عليه السلام لي: «قُلْ: كَيْفَ تَقُولُ؟» فَلَمْ أَحْفَظْ مِثْلَ ما قالَ لي. فَمَدَّ الدَّواةَ وَكَتَبَ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ أَذْكُرُهُ إِنْ شاءَ اللهُ وَالأَمْرُ بِيَدِ اللهِ» فَتَبَسَّمْتُ، فَقالَ عليه السلام: «مالَكَ؟» قُلْتُ: خَيْرٌ، فَقالَ: «أَخْبِرْني؟» قُلْتُ: جُعِلْتُ فِداكَ ذَكَرْتُ حَديثاً حَدَّثَني بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحابِنا عَنْ جَدِّكَ الرِّضا عليه السلام إِذا أَمَرَ بِحاجَةٍ كَتَبَ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ أَذْكُرُ إِنْ شاءَ اللهُ» فَتَبَسَّمْت، فَقالَ عليه السلام لي: «يا داوُدُ وَلَوْ قُلْتُ: إِنَّ تارِكَ التَّقِيَّةِ كَتارِكِ الصَّلاةِ لَكُنْتُ صادِقاً».

٤٦ . «الشّاكِرُ أَسْعَدُ بِالشُّكْرِ مِنْهُ بِالنِّعْمَةِ الَّتي أَوْجَبَتِ الشُّكْرَ؛ لِأَنَّ النِّعَمَ مَتاعٌ، وَالشُّكْرُ نِعَمٌ وَعُقْبىٰ».

٤٧ . «إِنَّ اللهَ جَعَلَ الدُّنْيا دارَ بَلْوىً، وَالآخِرَةَ دارَ عُقْبىً، وَجَعَلَ بَلْوَى الدُّنْيا لِثَوابِ الآخِرَةِ سَبَباً، وَثَوابَ الآخِرَةِ مِنْ بَلْوَى الدُّنْيا عِوَضاً».

٤٨ . «إِنَّ الظّالِمَ الحالِمَ يَكادُ أَنْ يُعْفىٰ عَلىٰ ظُلْمِهِ بِحِلْمِهِ، وَإِنَّ المُحِقَّ السَّفيهَ يَكادُ أَنْ يُطْفِئَ نُورَ حَقِّهِ بِسَفَهِهِ».

٤٩ . «مَنْ جَمَعَ لَكَ وُدَّهُ وَرَأْيَهُ فَاجْمَعْ لَهُ طاعَتَكَ».

٥٠ . «مَنْ هانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَلا تَأْمَنْ شَرَّهُ»[٢].

---

١. هو أبوإسماعيل داود الصرمي ـ بفتح الصاد وقيل بكسرها ـ من أصحاب الهادي عليه السلام وهو شيعي إمامي حسن.

٢. أُنظر حياة الإمام علي الهادي عليه السلام، ١٥٦ ـ ١٦٥ وقد جمعها من الدر النظيم، الاتحاف بحب الأشراف، بحار الأنوار، أمالي الطوسي، أعيان الشيعة، نزهة الناظر، تحف العقول، أمالي المفيد، معاني الأخبار للصدوق، ومآثر الكبراء.

الخلاصة:

* يمثّل تراث الإمام الهادي عليه السلام للقاريء أهمّ ملامح عصره، ويشير إلى بصيرة الإمام عليه السلام بمتطلّبات عصره، والإعداد لمستقبل شيعته، وكيفية تربيته للنفوس من خلال وضع اليد على نقاط الضعف وكيفية معالجتها، ونقاط القوة وكيفية توظيفها في الحقل التربوي.
* ويستحقّ هذا التراث بأن يدرس بشكل تفصيلي من قبل ذوي الاختصاص في حقلي علم النفس وعلم الاجتماع بشكل خاص، فضلاً عن الاختصاصات الأُخرىٰ التي يتطلّبها التعمّق في هذا التراث العظيم.

الأسئلة:

١. ما أثر العجب علىٰ طلب العلم؟

٢. ما هو غنىٰ الإنسان؟ وما هو فقره؟

٣. ما هو مقياس حسن الظنّ وسوئه؟

٤. كيف تهون مصائب الدنيا؟

٥. عدّد الأفعال الّتي تسيء للعلاقات بين الناس في ضوء كلام الإمام الهادي عليه السلام.

الدرس ٥١

الإمام الحسن العسكريعليه السلام: نشأته ومراحل حياته (١)

النسب المشرق

أبوه هو الإمام علي الهادي ابن الإمام محمّد الجواد ابن الإمام الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمّد الباقر ابن الإمام علي ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالبعليهم السلام، وهؤلاء هم أئمة أهل البيتعليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والّذين جعلهم الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله سفن النجاة، وأمن العباد... ولا أكرم من هذا النسب، ولا أشرف منه في دنيا الأنساب.

وأُمّه كانت أفضل نساء عصرها، وهي من السيدات الزاكيات في عفتها وورعها وطهارتها، وعُرفت بأنّها من العارفات الصالحات[1]. وقد أثنى عليها الإمام علي الهاديعليه السلام ثناءً عاطراً، وأشاد بمكانتها، وسمو منزلتها، فقال: «سليل [وهو اسمها] مسلولة من الآفات والأرجاس والأنجاس»[2]، وكفى بذلك فخراً وشرفاً.

---

١. عيون المعجزات، ص ١٢٣.

٢. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٤٠ وإثبات الوصيّة (للمسعودي)، ص ٢٣٦.

مكان الولادة وتأريخها

ولدعليه السلام في يثرب[١]، في ربيع الأوّل سنة ٢٣٠ هـ، أو ٢٣١هـ[٢]، أو ٢٣٢هـ[٣]، أو ٢٣٣هـ[٤].

تسميته وكنيته وألقابه

سارع الإمام الهاديعليه السلام ـ حينما بُشّر بوليده المبارك ـ فأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية التي درج الأئمةعليهم السلام علىٰ إجرائها لأبنائهم.

ثم سمّاه بالحسن، وهو كاسم عمّه الأعلى سيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول اللهصلى الله عليه وآله، الإمام الحسنعليه السلام ابن الإمام أمير المؤمنينعليه السلام.

وكُنّي الإمام الزكي بأبي محمّد[٥].

أمّا ألقابه فهي تحكي ما اتّصف به من النزعات العظيمة، والصفات الشريفة، وهي:

١ . الخالص؛ فقد كان خالصاً من كلّ دنس، ومنزّهاً عن كلّ عيب.

٢ . الهادي؛ اذ كان علماً لهداية الناس، وإرشادهم إلى طرق الخير.

٣ . العسكري[٦]، ولقّب بذلك نسبةً إلى البلد الّذي كان يقطنه، أي سامراء، اذ كانت سامراء معسكراً للجيش العباسي. ومن الجدير بالذكر أنّ

---

١. أخبار الدول، ص ١١٧ وبحر الأنساب، ص ٢ وتحفة الإمام، ص ٨٦.

٢. النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣٢ وسرّ السلسلة العلويّة، ص ٣٩.

٣. بحر الأنساب، ص ٢ وأخبار الدول، ص ١١٧ والإتحاف بحبّ الأشراف، ص ١٧٨.

٤. دائرة المعارف البستاني، ج ٧، ص ٤٥.

٥. أخبار الدول، ص ١١٧ وبحر الأنساب، ص ٢ وتحفة الأنام، ص ٨٦ والنجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣٢.

٦. انظر حياة الإمام الحسن العسكريعليه السلام (دراسة وتحليل)، ص ٢٠ و ٢١. و حياة الإمام العسكري (دراسة تحليلية تاريخية)، ص ٢٣ ـ ٢٥.

هذا اللقب إذا أُطلق فإنّه ينصرف إلى الإمام الحسن لا إلى أبيه عليهما السلام.

٤ . الزكي[١]، وهو أزكى إنسان في عصره، فقد زكّىٰ نفسه، ونمّاها بفعل الخيرات.

٥ . الخاص، وقد خصّه الله بالفضائل واستجابة الدعاء.

٦ . الصامت، وكان صامتاً لا ينطق إلّا بالحكمة والعلم وذكر الله.

٧ . السراج[٢]، لقد كان سراجاً يضيء معالم الطريق، ويهدي الحائرين والضالين إلى التقىٰ والصلاح.

٨ . التقي[٣]، وهو أتقى إنسان في عصره، وأشدّ الناس تمسّكاً بالدين واعتصاماً بالله.

نشأته

قال أحمدبن عبيدالله بن خاقان: إنّه أسمر أعين[٤]، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، له جلالة وهيبة[٥]، وقيل: إنّه كان بين السمرة والبياض[٦].

نشأ الإمام أبومحمّد عليه السلام في بيت الهداية ومركز الإمامة والمرجعية العامّة للمسلمين، ذلك البيت الرفيع الّذي أذهب الله عن أهله الرجس وطهّرهم تطهيراً...

---

١. تحفة الأنام، ص ٨٧ وبحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٣٦.
٢. جوهرة الكلام، ص ١٥٤.
٣. سفينة البحار، ج ١، ص ٢٥٩.
٤. الأعين: واسع العين.
٥. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٢٦.
٦. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٣٨ وأخبار الدول، ص ١١٧.

يقول الشبراوي عن البيت الّذي نشأ فيه الإمام: فلله درّ هذا البيت الشريف، والنسب الخضم المنيف، وناهيك به من فخار، وحسبك فيه من علوّ مقدار، فهم جميعاً في كرم الأُرومة، وطيب الجرثومة كأسنان المشط متعادلون، ولسهام المجد مقتسمون. فيا له من بيت عالي الرتبة، فلقد طاول السماء علاً ونبلاً، وسما على الفرقدين منزلة ومحلاً، واستغرق صفات الكمال فلا يستثنى فيه بـ«غير»، ولا بـ«الّا»، انتظم الأوّل والتالي، وكم اجتهد قوم في خفض منارهم، والله يرفعه، وركبوا الصعب والذلول في تشتيت شملهم، والله يجمعه، وكم ضيّعوا من حقوقهم، ما لا يهمله الله ولا يضيّعه...[1].

وهناك ظاهرة متميّزة في طفولة الإمام الحسنعليه السلام وهي ظاهرة الخشية من الله تعالى، فقد كان خائفاً وجلاً منه. روى المؤرّخون أنّ شخصاً مَرَّ به وهو واقف مع أترابه من الصبيان يبكي، فظنّ ذلك الشخص أنّ هذا الصغير يبكي متحسّراً على ما في أيدي أترابه، ولذا فهو لا يشاركهم لعبهم، فقال له: أشتري لك ما تلعب به؟ فردّ عليه: «لا، ما للعب خُلقنا!...».

وبُهر الرجل، فقال له: لماذا خُلقنا؟ فقال لهعليه السلام: «للعِلم والعبادة».

فقال له الرجل: من أين لك هذا؟

فقالعليه السلام: «من قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً﴾».

وبهت الرجل، ووقف حائراً، وانطلق يقول له: ما نزل بك، وأنت صغير لا ذنب لك.

---

١. الإتحاف بحبّ الأشراف، ص ١٧٨.

فقال له عليه السلام: «إليك عنّي، إنّي رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار، فلا تتّقد إلّا بالصغار، وإنّي أخشى أن أكون من صغار حطب جهنّم...»[1].

لقد كان الإيمان بالله تعالى عنصراً من عناصره مظهراً من مظاهره فلم يَخْشَ إلا الله، ولم يخف أحداً سواه، وظلّت هذه الظاهرة ملازمة له طوال حياته.

مراحل حياته

١. حياته مع أبيه

قضىٰ الإمام الزكي أبومحمّد عليه السلام اثنين وعشرين سنةً من حياته مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام لم يفارقه في حِلّه وتِرحاله، وكان يرى فيه صورة صادقة لأخلاق جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله التي امتاز بها على سائر النبيين، كما كان يرى فيه مكارم أخلاق آبائه الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وكان الإمام الهادي عليه السلام يرى في ولده الزكي امتداداً للإمامة الكبرىٰ، فاهتمّ بأمره، وأشاد بفضله قائلاً فيه:

«أبومحمّد ابني أصحّ آل‌محمّد غريزة، وأوثقهم حجّة، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، وإليه تنتهي عُرىٰ الإمامة وأحكامنا»[2] ومن المؤكّد أنّ الإمام‌الهادي عليه السلام بعيد كلّ البعد عن المحاباة، أو الاندفاع‌العاطفي الأبويّ.

---

١. جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام، ص ١٥٥ ودائرة المعارف البستاني، ج ٧، ص ٤٥ والآية ١١٥ من سورة المؤمنون.

٢. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٤٥.

٢. حياته بعد أبيه

لقد بلغت القاعدة الجماهيرية للخطّ الموالي لأهل البيت عليهم السلام حداً كبيراً من الانتشار في العالم الإسلامي، فازداد خطر هذا الخطّ علىٰ السلطة الحاكمة، فتعجّلت للقضاء على رموزه. فاستشهد الامام صلوات الله عليه بعد أن أمضىٰ حوالي ست سنوات إماماً للأُمة بعد أبيه في ربيع الأوّل من سنة ٢٦٠ هجرية بمدينة سرّ من رأى. وعاصر من ملوك بني العباس كلاً من المعتز والمهتدي والمعتمد.

الخلاصة:

* بلغ ظلم وفساد بني العبّاس حدّاً بالغاً من التعسّف، وكانت السلطة تُحكم قبضتها على الإمام الحسن بن علي عليه السلام ، وترصد كلّ تحرّكاته وتزجّه في السجن بين فترة واُخرىٰ.

* في عهد الإمام العسكري عليه السلام حقّقت إمامة أهل البيت أكبر أهدافها ، وبلغت أوسع مداها في مجال صيانة الشريعة الإسلامية ونشر المذهب الحق ، وبناء الجماعة الصالحة. فقد انتشرت دعوة أهل البيت عليهم السلام في عموم العالم الإسلامي ، وقد تأهّل علىٰ يد الأئمّة الأطهار عدد كبير من العلماء والفقهاء ليسدّوا جانباً كبيراً من حاجات الاُمّة.

الأسئلة:

١ . أين ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام ومتى؟

٢ . متى استشهد، وأين دفن؟

٣ . ماهي أهمّ ألقاب الإمام الحسن بن علي العسكري؟

٤ . كم كانت مدّة إمامته؟

٥ . ماهي مراحل حياته؟

الدرس ٢٥

انطباعات عن شخصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام

لم تجمع الأُمة بأسرها على أفضلية أحد كما أجمعت على أفضلية أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، فقد أجمع على أفضليتهم وجلالتهم السلف والخلف، وتحدّث عن مناقبهم ومآثرهم جميع علماء الإسلام، بل حتى علماء الأديان الأُخرى، وتسابق أعلام الفكر ـ قديماً وحديثاً ـ في الكتابة عنهم، وذكر مكارمهم وأياديهم على الأُمّة. ولعلّ ما كُتب عنهم بأقلام أهل السنة لايقلّ عمّا كتبه عنهم شيعتهم ومواليهم، ولا غرو في ذلك بعد أن كانوا بإجماع المسلمين أحد الثقلين اللذين خلّفهما الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بين ظهراني الأُمّة لإنقاذها من الضلال؛ ففي بيوتهم نزل الوحي، ومنهم انطلقت الدعوة المحمّدية، فهم سَدَنة هذا الدين، والقائمون عليه، وإليهم تنتهي عُرىٰ الإمامة وقيادة الأمة.

ونشير هنا إلى بعض كلمات العلماء والعظماء في الإشادة بفضل الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

١ . قال الوزير عبيدالله بن خاقان لابنه: يا بني لو زالت الإمامة عن

خلفاء بني العباس ما استحقّها أحد من بني هاشم غيره لفضله وصيانته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً[١].

٢ . قال أحمد بن عبيدالله بن خاقان: ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمّد بن علي الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إيّاه على ذوي السن منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القوّاد والوزراء وعامة الناس. فأذكر أنّي كنت يوماً قائما على رأس أبي ـ وهو يوم مجلسه للناس ـ إذ دخل حجّابه فقالوا: أبومحمّد بن الرضا بالباب، فقال بصوت عال: إئذنوا له.

فتعجّبت مما سمعت منهم ومن جسارتهم أن يكنّوا رجلاً بحضرة أبي، ولم يكن يُكّنىٰ عنده إلّا خليفة أو ولي عهد أو من أمر السلطان أن يُكّنىٰ. فدخل رجل أسمر، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، حديث السن، له جلالة وهيبة حسنة.

فلمّا نظر إليه أبيقام فمشى إليه خطى، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقوّاد، فلمّا دنا منه عانقه وقبّل وجهه وصدره، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاّه الذي كان عليه، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلّمه ويفديه بنفسه، وأنا متعجّب مما أرى منه. فلم تكن لي همّة بعد ذلك إلّا السؤال عن خبره، والبحث عن أمره، فما سألت أحداً من بني

---

١. الإرشاد، ص ٣٦٤.

هاشم والقوّاد والكتّاب القضاة والفقهاء وسائر الناس إلّا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام، والمحل الرفيع، والقول الجميل، والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه، فعظم قدره عندي، ولم أر له وليّاً ولا عدوّاً إلّا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه[١].

٣ . قال له مهجع بن الصلت: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت، ذرية بعضها من بعض، أشهد أنّ حقّك لَواجب كوجوب حقّ أميرالمؤمنين والأئمة من بعده صلوات الله عليهم أجمعين، وإليك انتهت الحكمة والإمامة، وإنّك ولي الله الذي لا عذر لأحد في الجهل به[٢].

٤ . قال بختيشوع الطبيب: هو أعلم في يومنا هذا ممّن هو تحت السماء[٣].

٥ . قال له انوش النصراني كاتب الخليفة: إنّا وجدناكم في هذا الإنجيل مثل المسيح عيسىٰ بن مريم عند الله[٤].

٦ . قال كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي: وأمّا مناقبه فاعلم أنّ المنقبة العليا، والمزية الكبرى التي خصّه الله عزّوجلّ بها، وقلّده فريدها، ومنحه تقليدها، وجعلها صفة دائمة لا يُبلي الدهر جديدها، ولا تنسىٰ الألسنة تلاوتها وترديدها: أنّ المهدي محمّداً نسله، المخلوق منه، وولده المنتسب إليه، وبضعته المنفصلة عنه...[٥].

---

١. الإرشاد، ص ٣٦٥ وأصول الكافي، ج ١، ص ٥٠٤.
٢. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٠٢ وأصول الكافي، ج ١، ص ٢٨١.
٣. المصدر نفسه.
٤. صحيفة الأبرار، ج ٢، ص ٣٣٣.
٥. مطالب السؤول، ص ٨٨.

٧ . قال شمس الدين يوسف ـ سبط ابن‌الجوزي ـ: كان عالماً ثقة، روىٰ الحديث عن أبيه عن جده[١].

٨ . قال علي بن الصباغ المالكي: مناقب سيدنا أبي‌محمّد الحسن العسكري دالّة على أنّه السري ابن‌السري، فلا يشك في إمامته أحد ولا يمتري، واعلم أنّه إن بيعت مكرمة فسواه بايعها وهو المشتري، واحد زمانه من غير مدافع، ونسيج وحده من غير منازع، وسيد أهل عصره، وإمام أهل دهره، أقواله سديدة، وأفعاله حميدة، وإذا كان أفاضل زمانه قصيدة فهو بيت القصيد، وإن انتظموا عِقداً كان مكان الواسطة الفريدة، فارس العلوم الذي لا يجارى، ومبيّن غوامضها فلا يجادل ولا يمارىٰ، كاشف الحقائق بنظره الصائب، مظهر الدقائق بفكره الثاقب، المحدّث في سرّه بالأُمور الخفيّات، الكريم الأصل والنفس والذات...[٢].

٩ . قال أحمد بن يوسف الدمشقي القرماني: الفصل العاشر في ذكر برج الأصل الزكي، والمكاشف بالأمر الخفي، الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام. ولد بالمدينة لثمانٍ خلون من شهر ربيع الأوّل، سنة اثنتين وثلاثين ومئتين من الهجرة، وأُمّه أُم ولد، وكنيته أبومحمّد، ولقبه الخالص، وكان بين السمرة والبياض، ونقش خاتمه: «سبحان من له مقاليد السماوات والأرض». وأمّا مناقبه عليه السلام فلم تطل أيامه في الدنيا ليظهر للناس مآثره ومزاياه... وعن الهيثم بن عدي: لمّا أمر المعتز بحمل أبي‌محمّد الحسن إلى الكوفة، كتبت إليه: ما هذا الخبر الذي بلغنا.

---

١. تذكرة الخواصّ، ص ٣٦٢.
٢. الفصول المهمّة، ص ٢٧٢.

فكتب: «بعد ثلاث يأتيكم الفرج إن شاء الله تعالى» فقتل المعتز في اليوم الثالث.

وسأله رجل أن يدعو له بالغنى لفقر مسّه.

فقال: «أبشر، مات ابن عمك وخلّف مئة الف درهم، وعن قريب يأتيك». فورد الخبر عن قريب، والمال معه كما ذكر[١].

١٠ . قال محمّد أمين غالب الطويل: الإمام الحادي عشر الحسن العسكري، وسمي الحسن الزكي والخالص والسراج، توطّن بلدة سرّ من رأى المسمّاة العسكر، ولذلك سمّي العسكري. اشتدّ في زمن هذا الإمام خوف العباسيين من خطر الإمامة، فجعلوا يوقعون بالعلويين، ويزدادون في اضطهادهم لهم، وقد بلغ بالخليفة المتوكّل الأمر إلى هدم قبر ريحانة النبي الحسين الشهيد، وتحويل المياه إلى أرضه وحراثتها، وقتل من كانوا مجاورين لمرقده الشريف.

ولد الإمام العسكري سنة ٢٣٢هـ ، وقد سجنه الخليفة المعتمد بن المتوكّل، ولمّا ظهرت كراماته أطلق سراحه، ثم عاد وأمر بإلقاء السمّ في طعامه، وتوفي وعمره ٢٨ سنة، وذلك في سنة ٢٦٠هـ .

وقال: كان الإمام يقول في حياته لأصحابه: إنّ ابنه محمّداً هو المهدي المنتظر[٢].

---

١. أخبار الدول، ص ١١٧.
٢. تأريخ العلويّين، ص ١٧٠.

الخلاصة:

* كان وجود الإمام الحسن العسكري عليه السلام يمثّل الخطر الذي يهدّد بقاء السلطة المنحرفة، ورغم التقية التي اتّخذها الإمام عليه السلام كانت السلطة تسارع إلىٰ كلّ التدابير لقتل الإمام عليه السلام ، فدسّت له السمّ ، فاستشهد صلوات الله عليه بعد أن عهد بالإمامة إلى ولده الحجة بن الحسن عليه السلام.

* عاش الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٢٢ سنة من حياته مع أبيه الهادي ، ولم يبق بعد أبيه سوى ست سنوات ، عاصر فيها كلاً من المعتز والمهتدي والمعتمد . وتعجّل العباسيون القضاء عليه ؛ خشيةً من ظهور مبيد عرشهم المهديّ عليه السلام الذي بشر به الرسول صلى الله عليه وآله.

* كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يمثّل القمّة في الأخلاق الحميدة ، والسلوك الفاضل ، والشخصية المرموقة في المجتمع الإسلامي بل والمجتمع البشري على الطلاق.

الأسئلة:

١ . ماهي انطباعات أصحاب البلاط العباسي عن الامام العسكري؟

٢ . اذكر رأي غير المسلمين في الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام.

٣ . ماهي انطباعات المؤرخين عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ؟

الدرس ٥٣

مظاهر من شخصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام

١ . عبادته

كان الإمام أبومحمّد عليه السلام أعبد أهل زمانه، وأكثرهم طاعة لله تعالى وكان يُحيي لياليه بالصلاة، وتلاوة الكتاب، والسجود لله. قال محمّد الشاكري: كان الإمام يجلس في المحراب، ويسجد، فأنام وانتبه وهو ساجد[1].

صلاته وكان الإمام الحسن عليه السلام يتجه في صلاته بقلبه ومشاعره نحو الله، خالق الكون وواهب الحياة، ولم يحفل بأي شأن من شؤون الدنيا ما دام يصلّي ؛ فالصلاة معراج المؤمن، وقد تعلّقت روحه بالله تعالى، واتّصل به اتّصال المنيبين والعارفين.

قنوته في صلاته كان الإمام إذا قنت في صلاته يدعو بهذا الدعاء الشريف، الذي يوضّح مدى تعلّق الإمام واعتصامه بالله، وهذا نصّه:

---

١. دلائل الإمامة، ص ٢٢٧.

«يا مـن غشـي نـور الظـلمات، يـا مـن أضـاءت بـقدسه الفـجاج المتوعّرات، يا من خشع له أهل الأرض والسماوات، يـا مـن بـخع له بالطاعة كلّ متجبّر عاتٍ، يا عالم الضمائر المستخفيات، وسعت كلّ شيء رحمة وعلماً، فاغفر للذين تابوا واتّبعوا سبيلك، وقهم عذاب الجـحيم، وعاجلهم بنصرك الذي وعدتهم، إنّك لا تخلف الميعاد، وعـجّل اللّـهم اجتياح أهل الكيد، وأوردهم إلى شرّ دار في أعظم نكال وأقبح مآب.

اللهم إنّك حاضر أسرار خـلقك، وعـالم بـضمائرهم، ومسـتغنٍ لولا الندب باللجأ إلى تنجّز ما وعدته، اللّاجئ عن كشف مكامنهم، وتـعلم يارب مـا أسـرّه وأُبـديه، وأنشـره وأطـويه، وأُظـهره وأُخـفيه، عـلى متصرّفات أوقاتي، وأصناف حركاتي من جميع خلجاتي، وقد تـرى يـا ربّ ما قد تراطم فيه أهل ولائك، واستمرّ عليهم من أعدائك، غير ضنين في كرم، ولا ضنين بنعم، وإنّ الجهد يبعث على الاستزادة، وما أمرت به من الدعاء إذا أُخلص لك اللجأ... يقتضي إحسانك شرط الزيادة.

وهذه النواصي والأعـناق خـاضعة لك بـذلّ العـبودية، والاعـتراف بملكة الربوبية، داعية بقلوبها، ومحصنات إليك في تعجيل الإنالة، ومـا شئت كان، وما تشاء كائن، أنت المدعو المرجو، المأمول، المسؤول، لا ينقصك نائل وإن اتّسع، ولا يلحفك سـائل وإن ألحّ وضـرع، مـلكك لا يلحقه التنفيد، وعزّك الباقي على التأبيد، وما في الأعصار من مشيئتك بمقدار، وأنت الله لا إله إلّا أنت الرؤوف الجبّار. اللّـهم أيّـدنا بـعونك،

واكفنا بصونك، وأنلنا منال المعتصمين بحبلك، المستظلّين بظلّك...»[١].

لقد أضفى الإمام عليه السلام في هذا الدعاء النعوت الكريمة، والأوصاف العظيمة على الخالق الحكيم، وذلك يكشف عن مدى معرفة الإمام بعظمته تعالى.

وألمح إلى ما يعانيه المسلمون في عصره من الظلم والاضطهاد من حكّام بني العبّاس الذين جهدوا على إرغام الناس على ما يكرهون، وأخذ الإمام عليه السلام بعد ذلك بالخشوع والتذلّل إلى الله الذي يملك نواصي عباده، طالباً منه العون، والاعتصام بحبله، والاستظلال بظلّه.

٢. علمه

إنّ الشيء المحقّق الذي اتّفق عليه المترجمون للإمام عليه السلام أنّه كان أعلم أهل عصره وأفضلهم، لا في شؤون الشريعة وأحكام الدين فحسب، وإنّما في جميع أنواع العلوم على اختلافها من عقلية ونقلية. يقول بختيشوع الطبيب المسيحي لتلميذه في شأن الإمام: «وهو أعلم في يومنا هذا ممّن هو تحت السماء»[٢].

ولو أنّ طغاة بني العباس فسحوا المجال لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، ولم يفرضوا عليهم الرقابة المكثّفة، لملأوا الدنيا بعلومهم ومعارفهم، ولشاهدت الإنسانية ألواناً من العلوم والتطوّر الفكري لم تعهده في جميع عصورها وأدوارها.

---

١. مهج الدعوات، ص ٦٢ ـ ٦٣.
٢. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٠٢.

لقد أيقن العبّاسيون بأنّهم إذا لم يحولوا بين رجال الفكر والعلم والأئمة الطاهرين فإنّهم سلام الله عليهم سينشرون من العلم والوعي ما تتقدّم به الأُمّة في مجالاتها الفكرية والعلمية، وتنفتح لها آفاق جديدة، لا في ميادين العلوم فحسب، وإنّما في ميادين الوعي السياسي والاجتماعي، وتقف بذلك على جهل العباسيين، وبُعدهم عن القيم الإسلامية. ومن الطبيعي أنّ ذلك يهدّد سلطنتهم بالخطر، فلذا عملوا جاهدين على الحيلولة بين الأُمّة وبين قادتها الواقعيين.

٣. حلمه

كان من أحلم الناس، وأكظمهم للغيظ، وقد قابل مَن أساء إليه بالعفو والصفح عنه.

وقد عمدت الحكومة العبّاسية إلى اعتقاله وزجّه في سجونها، وهو صابر محتسب، لم ينبس ببنت شفة، ولم يَشْكُ لأيّ أحد ما هو فيه من الضيق، وقد أوكل أمره إلى الله تعالى، وكان ذلك من آيات حلمه.

٤. قوّة الإرادة

تميّز الإمام أبومحمّد عليه السلام بإرادته الصلبة؛ اذ جهدت الحكومة العبّاسية في إدراجه في جهازها، وبذلت جميع طاقاتها لإخضاعه لرغباتها، فلم تستطع، وأصرّ الإمام عليه السلام على استقلاليته وبعده عنها، واعتبره العبّاسيون الممثّل الوحيد لقوىٰ المعارضة لسياستهم المبنيّة على الاستغلال وقهر الشعوب.

٥. السخاء

لقد كان من أسخىٰ الناس، وأنداهم كفّاً. وقد أقام له وكلاء في أكثر المناطق الإسلامية لقبض ما يرد إليه من الحقوق الشرعية، وعهد إليهم بإنفاقها على الفقراء والمحرومين وإصلاح ذات البين، وغير ذلك ممّا ينفع الناس.

وكان ممّا رواه المؤرّخون من فيض كرمه أنّ محمّد بن علي بن إبراهيم ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: قد ضاقت أُمورنا، فقال أبي: امضِ بنا حتى نصير إلى هذا الرجل ـ يعني أبا محمّد ـ فإنّه قد وصف لنا سماحه، فقلت له: تعرفه؟ قال: ما أعرفه، ولا رأيته قط، قال: فقصدناه، فقال أبي في الطريق: ما أحوجنا إلى أن يأمر لنا بخمس مائة درهم، مئتي درهم للكسوة، ومئتي درهم للدقيق، ومائة درهم للنفقة، وقلت في نفسي: ليته أمر لي بثلاث مائة درهم، مائة أشتري بها حماراً، ومائة للنفقة، ومائة للكسوة، فأخرج إلى الجبل، فلمّا وافينا الباب خرج إلينا غلامه، فقال: يدخل علي بن إبراهيم ومحمّد ابنه. فلمّا دخلنا عليه، وسلّمنا، قال لأبي: «يا علي، ما خلّفك عنّا إلى هذا الوقت؟».

فأجاب: يا سيدي، استحييت أن ألقاك على هذه الحال.

ومكثا وقتاً يسيراً ثم خرجا، فجاء غلام الإمام إليهما وناول عليّاً صرّة فيها دراهم، وقال: هذه خمس مائة درهم، مئتا درهم للكسوة، ومئتان للدقيق، ومائة للنفقة. وأعطى ولده محمّداً صرّة فيها ثلاثمئة درهم وقال له: اجعل مئة في ثمن حمار، ومائة للكسوة، ومائة للنفقة، ولا تخرج إلى

الجبل، وصر إلى سوراء. وصار محمّد إلى سوراء فتحسّنت أُموره، وصار من أثرياء العلويين[١].

لقد أنقذ الإمامعليه السلام هذه الأُسرة العلوية من الفقر والبؤس، ووفّر لها الحياة الاقتصادية التي تنعم بها.

٦. سمو الأخلاق

كان الإمام أبومحمّدعليه السلام على جانب عظيم من سمو الأخلاق، فكان يقابل الصديق والعدو بمكارم أخلاقه، وقد ورثها عن جدّه الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله الذي وسعت مكارم اخلاقه جميع الناس، حتّى أثّرت مكارم أخلاقه في أعدائه والحاقدين عليه، فانقلبوا من بغضه إلى حبّه والإخلاص له. فقد نقل المؤرخون أنّه حبس في عهد المتوكّل الذي كان شديد العداوة لآل النبيّصلى الله عليه وآله ، وكان حاقداً على آل أبي‌طالب، وقد أمر بالتنكيل بالإمام، والتشديد عليه، إلّا أنّه لما اتّصل به، وشاهد سمو أخلاقه وعظيم هديه وصلاحه انقلب رأساً على عقب، فكان لا يرفع بصره إليه، إجلالاً وتعظيماً له. ولمّا خرج الإمام من عنده كان أحسن الناس بصيرة، وأحسنهم قولاً في الإمام.

لقد كان الإمام أبومحمّدعليه السلام ـ في معالي أخلاقه ـ نفحة من نفحات أدب القرآن الكريم، وثمرة معطّرة من ثمرات الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله.

---

١. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٤١٠.

الخلاصة:

* اعتبر النبي صلى الله عليه وآله وجود الأئمة عليهم السلام عِدل القرآن الكريم، كما اعتبر دورهم متمماً لدوره في الحياة. وقد أحيا الأئمة الأطهار عبر مراحل حياتهم دور الرسول القائد صلى الله عليه وآله بعد انقطاع الوحي، فتمكّنت الرسالة أن تتعمّق وتتجذّر في الطبيعة البشرية. ومن جانب آخر كان للأئمّة الأطهار دور كبير في المحافظة على الأُمّة الإسلامية من الانحراف الفكري والمسخ العقائدي والتحلّل الأخلاقي، وكانت حياة الإمام العسكري عليه السلام حلقة من حلقات هذه السلسلة الزكية.

* مثّل الإمام العسكري عليه السلام في الحياة اليومية روعة العبادة لله وأثرها وشمولها لنواحي الحياة وتناسقها مع تفاصيلها المتنوعة.

* برغم كلّ ضغوط السلطة المنحرفة وقسوتها لم ينثنِ الإمام العسكري عليه السلام عن عزمه على مواصلة دوره في إحياء الشريعة الإسلامية، فتمكّن من نشر العلوم والمعارف الإسلامية؛ ليرتفع الجهل وتزداد الأُمّة وعياً وبصيرة. وكان عليه السلام أيضاً كأجداده حليماً، سخياً، زاهداً، مترفّعاً عن سفاسف الدنيا، فكان القدوة الحسنة، والإمام الهادي بالحقّ وإلى الحقّ.

الأسئلة:

١. ما هي مظاهر الثقة بالله والتوكّل عليه في قنوت الإمام الحسن العسكري عليه السلام؟

٢. لماذا منع العباسيون من نشر علوم وثقافة أهل البيت عليهم السلام ؟

٣. اذكر الدروس والعِبر الّتي نستفيدها من صبر الإمام العسكري عليه السلام.

٤. كيف كانت علاقة الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالمسلمين؟

٥. كيف كانت علاقته بشيعته؟

الدرس ٥٤

من تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام

١ . قال عليه السلام : «لا تمارِ فيذهب بهاؤُكَ، ولا تُمازِحْ فيُجْتَرَأ عليك».

٢ . «من الجهل الضّحك من غير عَجَبٍ».

٣ . «من الذُّنوب التي لا تُغفَر: ليتني لا أُؤاخذُ إلّا بهذا»[١]. ثمَّ قال عليه السلام: «الإشراك في النّاس أخفى من دبيب النَّملِ على المِسحِ الأسود في اللَّيلة المظلمةِ»[٢].

٤ . «بِئسَ العبدُ عبدٌ يكون ذا وجهين وذا لسانين، يُطري أخاه شاهداً[٣]، ويأكله غائباً، إن أُعطي حسَدَهُ، وإن ابتُلي خذَلَهُ»[٤].

٥ . «الغضبُ مفتاح كلِّ شرٍّ».

٦ . «أقلُّ النّاس راحةً الحقود»[٥].

---

١. أي قول الرجل المذنب ذلك إذا قيل له: لا تعصِ.

٢. المسح ـ بالكسر ـ: البساط من الشعر، والتقييد بالأسود تأكيد في إخفائه وعدم رؤيته.

٣. أطرى فلاناً: أحسن الثناء عليه وبالغ في مدحه.

٤. في بعض النسخ: «خانه».

٥. الحقود: الكثير الحقد.

٧ . «قلب الأحمق في فمه، وفم الحكيم في قلبه».

٨ . «من تَعدَّى في طهوره كان كناقضه».

٩ . «ما تركَ الحقَّ عزيزٌ إلّا ذلَّ، ولا أخذ به ذليلٌ إلّا عزّ».

١٠ . «صديق الجاهل تعبٌ».

١١ . «جرأَةُ الولد على والده في صغره تدعو إلى العقوق في كبره».

١٢ . «إنّكم في آجالٍ منقوصةٍ، وأيّامٍ معدودةٍ، والموتُ يأتي بَغتَةً. من يزرع خيراً يحصِد غِبطَةً، ومن يَزرعُ شرّاً يحصِد ندامةً. لكلٍّ زارعٍ ما زرَعَ. لا يُسبَقُ بطيءٌ بحظِّه، ولا يُدرك حريصٌ ما لم يقدَّر له. من أُعطي خيراً فالله أعطاهُ، ومن وُقيَ شرّاً فالله وقاه».

١٣ . «ليس من الأدب إظهار الفرح عند المحزون».

١٤ . وقال عليه السلام : «ما أقبحَ بالمؤمن أن تكون له رغبةٌ تُذِلُّهُ».

١٥ . «لا تُكرِم الرَّجُل بما يشقُّ عليه».

١٦ . «من وعظَ أخاهُ سِرّاً فقد زانَهُ، ومن وعظَهُ علانيةً فقد شانهُ».

١٧ . وقال عليه السلام : «ما من بليَّةٍ إلّا ولله فيها نعمةٌ تُحيطُ بها».

١٨ . «التواضع نعمةٌ لا يُحسَدُ عليها».

١٩ . «من التواضع السلامُ على كلِّ من تمرُّ به، والجلوسُ دون شرفِ المجلس».

٢٠ . «من رضيَ بدون الشرفِ من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلُّون عليه حتّى يقوم».

٢١ . «من الفواقرِ التي تقصِمُ الظهر[١] جارٌ: إن رأى حسنةً أطفأها، وإن رأىٰ سيّئةً أفشاها».

٢٢ . «بِسم الله الرحمن الرحيم أقربُ إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها».

٢٣ . «حبُّ الأبرار للأبرار ثوابٌ للأبرار، وحبّ الفجّار للأبرار فضيلةٌ للأبرار، وبغضُ الفجّار للأبرار زينٌ للأبرار، وبغضُ الأبرار للفجّار خزيٌ على الفُجّار».

٢٤ . وقال عليه السلام لشيعته: «أُوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برٍّ أو فاجرٍ، وطول السجود، وحسن الجِوار، فبهذا جاءَ محمّد صلى الله عليه وآله. صلّوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهُمْ، وأدُّوا حقوقهم[٢]؛ فإنَّ الرجل منكُم إذا ورعَ في دينه، وصدقَ في حديثه، وأدَّى الأمانة، وحسَّن خُلقَهُ مع الناس، قيل: هذا شيعي، فيسرّني ذلك. اتّقوا الله، وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً. جرّوا إلينا كلَّ مودّةٍ، وادفعوا عنّا كلَّ قبيحٍ؛ فإنّه ما قيل فينا من حسنٍ فنحنُ أهله، وما قيل فينا من سوءٍ فما نحن كذلك. لنا حقٌّ في كتاب الله، وقرابةٌ من رسول الله، وتطهير من الله، لا يدَّعيه أحدٌ غيرنا إلّا كذّابٌ. أكثروا ذكر الله، وذكر الموت، وتلاوة القرآن، والصَّلاة على النبي صلى الله عليه وآله؛ فإنَّ الصلاة على رسول الله عشر حسناتٍ. احفظوا ما وصَّيتكم

---

١. الفواقر: جمع فاقرة أي الداهيه العظيمة فكأنّها تكسر فقر الظهر.

٢. الضمير يرجع إلى المخالفين أو مطلق الناس.

به، وأستودعكم اللهَ، وأقرأ عليكم السَّلام».

٢٥ . «ليست العبادةُ كثرة الصيام والصلاة، وإنّما العبادة كثرة التفكُّر في أمر الله».

٢٦ . وقال عليه السلام لشيعته في سنةِ ستّين ومئتين: «أمرناكم بالتَّختُّم في اليمين، ونحن بين ظهرانيكم[1]، والآن نأمركم بالتَّخَتُّم في الشمال؛ لغيبتنا عنكم إلى أن يُظهِر الله أمرنا وأمركم؛ فإنّه من أدلِّ دليلٍ عليكم في ولايتنا أهل البيت» فخَلَعوا خواتيمهم من أيمانهم بين يديه ولبسوها في شمائلهم. وقال عليه السلام لهم: «حدِّثوا بهذا شيعتنا».

٢٧ . «أورعُ الناس من وقف عند الشبهة. أعبدُ الناس من أقام على الفرائض. أزهدُ الناس من ترك الحرامَ. أشدُّ الناس اجتهاداً من ترك الذنوب».

٢٨ . «المؤمن بركةٌ على المؤمن، وحجّةٌ على الكافر».

٢٩ . «لا يشغلك رزقٌ مضمونٌ عن عملٍ مفروضٍ».

٣٠ . «خصلتان ليس فوقهما شيءٌ: الإيمان بالله، ونفع الإخوان».

٣١ . وكتب إليه بعض شيعته يعرِّفه اختلاف الشيعة، فكتب عليه السلام : «إنّما خاطَبَ الله العاقِلَ، والناس فيَّ علىٰ طبقاتٍ: المستبصر على سبيل نجاةٍ، مُتمسِّك بالحقِّ، مُتعلِّقٌ بفرع الأصل، غير شاكٍّ ولا مرتابٍ، لا يجدُ عنّي ملجأً. وطبقةٌ لم تأخذ الحقَّ من أهله، فهم كراكب البحر يموجُ عند موجه

---

١. أي بينكم وفي جماعتكم.

ويسكن عند سكونه. وطبقةٌ استحوذ عليهم الشيطان، شأنهم الرَّدُّ على أهلِّ الحقِّ، ودفع الحقِّ بالباطل؛ حسداً من عند أنفسهم. فدع من ذهب يميناً وشمالاً؛ فإنَّ الرّاعي إذا أراد أن يجمع غنمَهُ جمعها بأهون سعي، وإيّاك والإذاعة وطلب الرئاسة؛ فإنّهما يدعوان إلى الهلكة»[1].

---

١. راجع تحف العقول، ص ٤٨٦ ـ ٤٩٠.

الخلاصة:

* بالرغم من قصر المدّة التي عاشها الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعد أبيه، وبالرغم من خطورة الالتقاء بالإمام عليه السلام، والرقابة الشديدة على تحرُّكات الإمام عليه السلام، نجد أنّ التراث الذي وصلنا منه كان غنيّاً ومثيراً ومتنوّعاً؛ لاشتماله على كثير ممّا تحتاجه الجماعة الصالحة فيما بينها وفي تعاملها مع المجتمع الإسلامي.

* كما قد تضمّن تراث الامام عليه السلام الخطوط العريضة للآفاق المستقبلية التي لابدّ أن يتّجه إليها أتباع أهل البيت عليهم السلام في سيرهم وفكرهم وأخلاقهم.

الأسئلة:

١ . ما هي علامات التواضع التي وردت في كلمات الإمام العسكري عليه السلام؟

٢ . اذكر تعليل الإمام العسكري عليه السلام لاختلاف الناس.

٣ . لماذا أصبح الحقود أقلّ الناس راحة؟

٤ . كيف يجب أن تكون عظة المؤمن لأخيه؟ ولماذا؟

٥ . من هو أعبد الناس؟ وكيف تكون العبادة في رأي الإمام عليه السلام؟

الدرس ٥٥

الإمام المهدي المنتظر عليه السلام: نشأته و سماته

الأُصول الكريمة

الأب هو الإمام الحادي عشر من أئمّة الهدى عليهم السلام، الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الذي هو من مصادر الوعي في دنيا الإسلام، ومن سادات المتّقين والمنيبين إلى الله تعالى، وهو ـ بإجماع المؤرخين ـ أعظم شخصية إسلامية فذّة في عصره.

والأُمّ هي بنت يشوع الذي ينتهي نسبه إلى قيصر ملك الروم، كما أنّ أُمّها ينتهي نسبها إلى شمعون الذي هو أحد أوصياء السيّد المسيح ومن حواريه[١]. وكانت هذه السيّدة الزكية من سيّدات نساء المسلمين في عفّتها وإيمانها وطهارتها، ويكفيها سموّاً وفخراً أنّها كانت وعاءً لأعظم مصلح اجتماعي في التاريخ.

وكانت تسمّى بسوسن[٢]، وريحانة[٣]، ونرجس، وصقيل، وخمط[٤]،

---

١. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٧.　　٢. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول.

وإنّما سُمّيت بهذا الاسم؛ لأنّها قد اعتراها النور والجلاء بسبب حملها بالإمام عليه السلام[٥].

تسميته وألقابه وكنيته

أمّا اسمه الشريف فهو كاسم جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، منقذ البشرية من الضلال، وكذلك ينقذها حفيده وآخر أوصيائه الاثني عشر عليهم السلام. وقد اتّفق المؤرّخون والرواة على أنّ الذي سمّاه بهذا الاسم هو جدّه الرسول صلى الله عليه وآله[٦].

وقد لُقِّب الإمام عليه السلام بألقاب كريمة، منها:

١ .المهدي، وهو من أكثر ألقابه ذيوعاً وانتشاراً، لُقِّب بذلك لأنّه يهدي إلى الحق، أو إلى كلّ أمر خفي[٧]. وقد أُضفي هذا اللقب الكريم من قبلُ على النبي صلى الله عليه وآله أيضاً، يقول حسّان بن ثابت في رثائه له:

ما بال عيني لا تنام كأنّما كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على المهديّ أصبح ثاوياً يا خير من وطئ الحصى لا تبعد[٨]

وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله: «اللّهم زيّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديّين»[٩].

---

٣. بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٦.
٤. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٥٤، ٢٣، ٢٤.
٥. حياة الإمام محمّد المهديّ (للقرشي)، ص ٢١ ـ ٢٢ عن مرآة الزمان، وينابيع المودّة.
٦. حياة الإمام محمّد المهديّ (للقرشي)، ص ٢٧ عن عقد الدرر.
٧. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٩.
٨. ديوان حسّان بن ثابت، ص ٩٧.
٩. مسند الإمام أحمد، ج ٤، ص ٢٦٤.

وأُطلق هذا اللقب على الإمام الحسين عليه السلام. قال سليمان بن صرد وهو من أعلام التوابين: «اللَّهم ارحم حسيناً، الشهيد ابن الشهيد، المهديّ ابن المهديّ»[١].

وقد اختصّ هذا اللقب الكريم بالإمام المنتظر عليه السلام، فإذا أُطلق لا ينصرف إلى غيره، وقد أشار الى ذلك ابن منظور[٢] والزبيدي[٣].

٢. القائم؛ لأنّه يقوم بالحقّ[٤]، وأُضيف إليه: قائم آل محمّد عليه السلام.

٣. المنتظر[٥]؛ لأنّ المؤمنين ينتظرونه بفارغ الصبر.

٤. الحجّة[٦]؛ لأنّه حُجَّة الله تعالى على خلقه وعباده.

٥. الخلف الصالح؛ لأنّه أعظم خلف لأسمىٰ أُسرة في دنيا الإسلام.

أمّا كنيته فمن المؤكّد أنّ النبي صلى الله عليه وآله كنّى آخر خلفائه الإمام المنتظر عليه السلام بأبي القاسم.

تاريخ ولادته

ولد الإمام المصلح العظيم سنة ٢٥٥ هـ[٧].

وجاءت ولادته في ليلةٍ مباركة ميمونة، هي ليلة النصف من شعبان، وهي من أقدس الليالي، وفي بعض الأحاديث: أنّها من ليالي القدر، وأنّه يفرق فيها كل أمرٍ حكيم، ويُستحبّ في تلك الليلة المباركة أيضاً زيارة أبي الأحرار وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام.

---

١. تأريخ الطبري، ج ٧، ص ٧٠.
٢. تاج العروس، ج ١، ص ٤٠٩.
٣. لسان العرب، ج ٣، ص ٧٨٧.
٤. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٠.
٥. عقد الدرر في أخبار المنتظر، ص ١٩٤.
٦. روضة الشهداء، ص ٣٢٦.
٧. وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٥١.

عرضه على الشيعة

عرض الإمام الحسن العسكري عليه السلام وليده المبارك على خلّص شيعته وخيارهم؛ ليتعرّفوا عليه، وحتى لا يجحده جاحد، ولا يشك في وجوده مرتاب. فقد روىٰ كلّ من معاوية بن حكيم، ومحمّد بن أيوب، ومحمّد بن عثمان، فقالوا: عرض علينا أبومحمّد الحسن عليه السلام ولده، ونحن في منزله، وكنّا أربعين رجلاً، فقال:

«هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي في أديانكم لتهلكوا. أما إنّكم لا ترونه بعد يومكم هذا...»[1].

لقد أقام عليهم الحجّة، وعرّفهم بإمام زمانهم من بعده، وليكونوا شهداء صدق، يؤدّون ما رأوه إلى غيرهم.

ملامحه وصفاته

أمّا ملامح الإمام المنتظر عليه السلام وصفاته فكانت كملامح الأنبياء والأوصياء هيبةً ونوراً، وممّا جاء في وصفه:

١ . روى أبوسعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: **«ليبعثن الله من عترتي رجلاً أفرق الثنايا، أجلى الجبهة، يملأ الأرض عدلاً، ويفيض المال فيضاً»**[2].

٢ . روى الإمام أبوجعفر الباقر عليه السلام بسنده عن آبائه عن سيّد العترة

---

١. ينابيع المودة، ص ٤٦٠ وراجع بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٦٦٠.

٢. عقد الدرر في أخبار المنتظر، ص ١٠١.

الطاهرة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال ـ وهو على المنبر ـ: «يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان، أبيض اللون، مشربٌ بالحمرة، مندح البطن[١]، عريض الفخذين، عظيم مشاش[٢] المنكبين، شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي صلى الله عليه وآله...»[٣].

---

١. مندح البطن: أي متّسع البطن.
٢. المشاش: رؤوس العظام كالمرفقين، والكتفين، والركبتين.
٣. حياة الإمام محمّدالمهديّ عليه السلام (للقرشي)، ص ٣٢ ـ ٣٣ عن كمال الدين.

الخلاصة:

* لقد كانت الإمامة من بعد النبوّة رحمةً للعالمين ليصلح بها أمر الدين والدنيا، فينعم الناس بحياة كريمة، ونجاة من العذاب في الآخرة، ولكي لا تبقى للناس على الله حجّة. فتمّم الله نعمته على الإنسانية عموماً وعلى الأمّة الإسلامية خصوصاً باختيار اثني عشر إماماً، نصّ على إمامتهم وولايتهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وحدّد صفاتهم وملامحهم وأسماءهم.

* بعناية إلهية وإمداد غيبي وفي ظرف معقّد اتّسم بحقد المتسلّطين على زمام الحكم على آل البيت عليهم السلام وعزمهم على استئصالهم كي لا تبقى لهم باقية، ولد الإمام الثاني عشر محمّد بن الحسن عليه السلام في النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ .

* اهتمّ الإمام الحسن العسكري كثيراً بأمر ولده محمّد عليه السلام فعرضه على خلّص أصحابه، وأوصاهم بطاعته، والانقياد لأوامره من بعده.

الأسئلة:

١ . متى وأين ولد الامام الحجة عليه السلام ومن هي والدته المكرمة؟

٤ . ما هي ألقاب الإمام محمّد بن الحسن عليه السلام ؟ وأيّها أكثر شيوعاً؟

٥ . لماذا عرض الإمام العسكري ولده على شيعته؟

الدرس ٥٦

الإمام المهديّ عليه السلام: مراحل حياته وإنطباعات عن شخصيته

شبهه بالنبي صلى الله عليه وآله

الإمام المهديّ المنتظر أشبه الناس بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو يشبهه في سيرته وجهاده، وثورته على الظلم والطغيان، وتغييره لمناهج الحياة القائمة في عصره ـ على الظلم والفوضى والقلق والاضطراب ـ إلى صيانة الحقوق، وإشاعة العدل والأمن والاستقرار.

وإذا ظهر قائم آل محمّد عليه السلام فإنّه سوف يقوم بالدور نفسه الذي قام به جدّه، من تحطيم عروش الطغاة والمتجبّرين، وتدمير معالم السياسة القائمة المبنيّة على الكذب والدجل والنفاق، واقامة العدل في جميع أرجاء العالم.

وقد أُثرت عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أئمة الهدى عليهم السلام مجموعة من الأحاديث تعلن شبه الإمام المنتظر بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، منها:

١ . روى حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لو لم يبق في الدنيا إلّا

يومٌ واحد لبعث الله فيه رجلاً، اسمه اسمي، وخلقه خلقي، يكنّى أبا عبدالله، يبايع له الناس بين الركن والمقام، يردّ الله به الدين، ويفتح له فتوحاً، فلا يبقى على وجه الأرض إلّا من يقول: لا إله إلّا الله».

فقام إليه سلمان، فقال: يا رسول الله، من أي ولدك هو؟ قال صلى الله عليه وآله : «هو من ولد ابني هذا»، وضرب بيده على الحسين[1].

٢ . روت عائشة أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «المهديّ رجلٌ من عترتي، يقاتل على سنّتي، كما قاتلت أنا على الوحي»[2].

٣ . روى جابر بن عبدالله الأنصاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة تضلّ فيها الأمم، ثمَّ يقبل كالشهاب الثاقب، يملؤها عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً»[3].

مراحل حياته

تنقسم حياة الإمام المهدي عليه السلام إلى أربعة مراحل:

الأُولى: حياته في ظل والده، وقد عاش مع والده حوالي خمس سنوات.

الثانية: مرحلة الغيبة الصغرىٰ، والّتي استلم فيها مهامّ الإمامة الّا انّه غاب عن الأنظار؛ خشية أن تقتله السلطات الحاكمة في مسعاها للقضاء علىٰ خطّ أهل البيت عليهم السلام نهائياً.

---

١. ينابيع المودّة، ص ٤٣٣، ٤٨٨.　　٢. المصدر نفسه.
٣. الصواعق المحرقة، ص ٩٩.

واستمرّت غيبته الأُولى هذه ٦٩ عاماً، وكان خلالها يتّصل بشيعته، ويردّ على استفساراتهم عن طريق أربعة نوّاب. وسمّيت هذه المرحلة بالغيبة الصغرىٰ؛ تمييزاً لها عن غيبته الكبرىٰ، والتي انقطع بها عن الاتّصال بجماهير الشيعة ـ بعد وفاة آخر النوّاب الأربعة ـ إلى أن يأذن الله تعالى له، فيقوم ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً. وهذه هي المرحلة الثالثة من حياته عليه السلام.

المرحلة الرابعة هي مرحلة ظهوره وقيامه ضد الظلم والظالمين.

انطباعات عن شخصية الإمام المهدي عليه السلام

لقد صحّت الأحاديث الواردة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في ولادة وغيبة وظهور الإمام المهدي عليه السلام من ولده وعترته، وأخرجها مؤلفوا الصحاح والسنن والمسانيد، وبهذا اتّفقت كلمة المسلمين لاسيّما علماؤهم على صحة بشارات النبيّ صلى الله عليه وآله به فهو المولود الّذي بشّر به جدّه كما بشر بغيبته وخروجه ودولته.

١ . قال أبوالحسين الآبري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفىٰ صلى الله عليه وآله بخروجه، وأنّه من أهل بيته، وأنّه يملك سبع سنين، وأنّه يملأ الأرض عدلاً، وأنّه يخرج مع عيسى على نبيّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فيساعده على قتل الدجّال بباب لد بأرض فلسطين، وأنّه يؤمّ هذه الأمّة، ويصلّي عيسىٰ خلفه[1].

---

١. الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة، ص ٥٣.

٢ . قال أبو الطيب ابن أبي أحمد الحسيني البخاري القنوجي: وأحاديث المهدي بعضها صحيح، وبعضها حسن، وبعضها ضعيف[١]، وأمره مشهور بين الكافّة من أهل الإسلام على ممّر الأعصار، وأنّه لابدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت النبوي يؤيّد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمّى بالمهدي، ويكون خروج الدجّال من بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح، وأنّ عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجّال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتمّ بالمهدي في صلاته، إلى غير ذلك، وأحاديث الدجّال وعيسى أيضاً بلغت حدّ التواتر[٢].

٣ . قال شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي: أبو القاسم محمّد الحجّة، وعمره بعد وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله فيها الحكمة، ويسمّى القائم المنتظر[٣].

٥ . قال القاضي أحمد بن خلكان: أبو القاسم محمّد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمّد الجواد ... ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإماميّة، المعروف بالحجّة.

وكانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين، ولما توفّي أبوه ... كان عمره خمس سنين.

---

١. مع كثرة الحديث في أمر لايكون ضعف بعضها سبباً لردّها فان التواتر يوجب القطع الّذي يتقدم على الظن في كل الأحوال.

٢. الصواعق المحرقه، ص ١٢٤.

٣. البرهان على وجود صاحب الزمان، ص ٧٩.

٦ . قال السيّد أحمد زيني دحلان مفتي مكة: والأحاديث التي جاء فيها ذكر المهدي كثيرة متواترة، فيها ما هو صحيح، وفيها ما هو حسن، وفيها ما هو ضعيف، وهو الأكثر، لكنّها لكثرتها وكثرة رواتها وكثرة مخرجيها يقوّي بعضها بعضاً، حتى صارت تفيد القطع. لكن المقطوع أنّه لابدّ من ظهوره، وأنّه من ولد فاطمة، وأنّه يملأ الأرض عدلاً. نبّه على ذلك العلّامة السيّد محمّد بن رسول البرزنجي في آخر الإشاعة، وأمّا تحديد ظهوره بسنة معيّنة فلا يصحّ؛ لأنّ ذلك غيب لا يعلمه إلّا الله، ولم يَرَ نصّ من الشارع بالتحديد[1].

٧ . قال القاضي بهلول بهجت: الإمام أبوالقاسم محمّد المهدي، ولد في الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥، أمّه أمّ ولد اسمها نرجس خاتون، وكان سنّه خمس سنين لمّا مات أبوه، غاب الإمام مرّتين: الأولى الغيبة الصغرىٰ، والثانية الغيبة الكبرىٰ، وهو حيّ إلى الآن، يظهر إذا أذن الله له، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[2].

٨ . قال الحسين بن معين الدين الميبدي: الأمل بوهّاب النعم أن ينور أبصارنا بكحل جواهر أقدام حضرته، وأن تشعّ أنوار شمس حقيقته مجتمعة على جدراننا وسطوحنا، وما ذلك على الله بعزيز[3].

٩ . قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في شرح الدائرة: إنّ المهدي

---

١. سمط النجوم العوالي، ج ٤، ص ١٣٨. ٢. كشف الأستار، ص ١٤٦.

٣. إلزام الناصب، ج ١، ص ٣٤٠ عن كتاب الهداية.

الموعود هو الإمام الثاني عشر من الأئمة، أوّلهم سيّدنا علي، وآخرهم المهدي رضي الله عنهم، ونفعنا الله بهم[١].

١٠ . قال العارف عبد الرحمن: وحيث يظهر المهدي يجعل الولاية المطلقة ظاهرة بلا خفاء، ويرفع اختلاف المذاهب، وسوء الأخلاق، حيث وردت أوصافه الحميدة في الأحاديث النبوية، أنّه في آخر الزمان يظهر ظهوراً تامّاً، ويطهّر تمام الربع المسكون من الظلم والجور، ويظهر مذهباً واحداً ...[٢].

---

١. البرهان على وجود صاحب الزمان، ص ٧٥.

٢. منتخب الأثر، ص ٣٣٦ عن كتابه الرياض الزاهرة في فضل آل البيت، النبيّ وعترته الطاهرة.

الخلاصة:

* عرّف الإمام العسكري أصحابه وشيعته المخلصين بولادة ولده، فأقام الحجة عليهم؛ لكي لا يجحد أحدٌ أنّه الإمام من بعده، كما ذكر أنّه سيملأالأرض عدلاً، ويضرب على أيدي الظالمين.

* لحكمة إلهية ولمصلحة الرسالة الخاتمة انتقل الإمام محمّد بن الحسن عليه السلام إلى دور الغيبة بعد أن كادت أن تفتك به السلطة العبّاسية، وبعد أن مرّت الأمّة بمراحل الاستعداد للغيبة. ولكنّه عليه السلام لم يهمل الأمّة، بل كان يحوطها برعايته عن طريق وكلائه، حتى تهيّأت الأمّة لدور الغيبة الكبرىٰ.

* احتوت كتب التاريخ كثيراً من الشواهد والدلائل والروايات على ولادة الإمام المهدي ـ عج الله تعالىٰ فرجه ـ، واستمرار حياته، وجميل صفاته وأخلاقه، كما ضمّت نصوصاً تعكس اتّفاق علماء المسلمين على أنّه لابدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل بيت النبوة، يؤيّد الدين، ويتّبعه المسلمون، وينشر القسط والعدل في ربوع الأرض.

الأسئلة:

١. ما هي أوجه الشبه بين الإمام المهدي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله ؟

٢. كيف كان الإمام المهدي يتّصل بشيعته في مرحلة الغيبة الصغرىٰ؟

٣. كم سنة استمرّت تلك الغيبة؟

٤. متى بدأت الغيبة الكبرىٰ؟

٥. ما هي الظروف الّتي ألجأت الإمام المهديّ عليه السلام إلى الغيبة عن الأنظار؟

الدرس ٥٧

من فضائل الإمام المهدي عليه السلام ومظاهر شخصيته

إنّ صفات الإمام المنتظر عليه السلام تحاكي صفات الرسول صلى الله عليه وآله وآبائه الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم، الذين هم عناصر الرحمة الإلهيّة ومظاهرها؛ فقد خلقهم الله أنواراً؛ هداية لعباده، وإرشاداً لخلقه، وأدلّاء على مرضاته. ومن بين مثله العليا وصفاته الرفيعة ما يلي:

١. سعة علومه

كان الإمام المهدي عليه السلام من أوسع الناس علماً، ومن أكثرهم دراية وإحاطة بجميع أنواع العلوم والمعارف، فهو من ورثة علوم جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن خزنة حكمته، ومن بين علومه إحاطته الكاملة بأحكام الدين، وشؤون شريعة جدّه سيّد المرسلين، وقد أدلى الأئمة الطاهرون بسمو مكانته العلمية قبل أن يخلق:

١. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في صفته: «هو أوسعكم كهفاً، وأكثركم علماً، وأوصلكم رحماً»[1].

١. حياة الإمام المهديّ (للقرشي)، ص ٣٨ـ ٣٩ عن غيبة النعماني، وعقد الدرر.

٢ . روى الحرث بن المغيرة النضريّ، قال: قلت لأبي عبدالله الحسين بن عليعليه السلام: بأيّ شيء يُعرف المهديّ؟ قال: «بمعرفة الحلال والحرام، وبحاجة الناس إليه، ولا يحتاج إلى أحد»[١].

٣ . قال الإمام أبوجعفر الباقرعليه السلام : «إنّ العلم بكتاب الله عزّوجلّ، وسنّة نبيّه، ينبت في قلب مهديّنا، كما ينبت الزرع على أحسن نباته، فمن بقي منكم حتى يراه، فليقل حين يراه: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة، والنبوّة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة»[٢].

٤ . وقد ورد عن سعة علومه ومعارفه أنّه : «إذا ظهرعليه السلام يحاجج اليهود بأسفار التوراة، فيسلم أكثرهم»[٣].

٥ . كانعليه السلام المرجع الأعلىٰ للعالم الإسلاميّ في أيام الغيبة الصغرىٰ، فقد كان نوّابه الأربعة يرفعون إليه المسائل التي يسأل المسلمون عن أحكامها فيجيبهم عنها، وقد حفلت موسوعات الفقه والحديث بالكثير من أجوبته، وإليها يستند فقهاء الإماميّة فيما يفتون به من الأحكام، ومن الجدير بالذكر أنّ الشيخ الصدوق ـ نضّر الله مثواه ـ كان قد احتفظ بالقسم الكثير من تلك الفتاوى التي دوّنت أجوبتها بخطّه الشريف.

٢ . زهده

لقد كان أئمّة أهل البيتعليهم السلام الأسوة الحسنة والمثل الأعلىٰ في الزهد في الدنيا، فقد طلّق سيّد العترة وباب مدينة علم النبيصلى الله عليه وآله ، الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام ، الدنيا ثلاث مرّات، لا رجعة له فيها. وعلى هذا المنهج

---

١. حياة الإمام المهديّ (للقرشي)، ص ٣٨ ـ ٣٩ عن غيبة النعماني، وعقد الدرر.
٢. المصدر نفسه. ٣. المصدر نفسه.

المشرق سار أبناؤه وأحفاده الأئمة الطيّبون الطاهرون... واليك نماذج من أحاديث الأئمة الطاهرين في زهد الإمام المنتظر عليه السلام :

١ . روى معمر بن خلد، عن الإمام أبي‌الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: «وما لباس القائم عليه السلام إلّا الغليظ، وما طعامه إلّا الجشب»[١].

٢ . روى أبوبصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما تستعجلون بخروج القائم، فوالله ما لباسه إلّا الغليظ، وما طعامه إلّا الشعير الجشب»[٢].

ومن المحقّق أنّ هذه سيرته في جميع مراحل حياته، ولو لم يكن سلوكه بهذا النحو المشرق لما اختاره الله تعالى للقيام بأعظم دور إصلاحي في جميع فترات التاريخ. وهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، وينقذ الإنسانية من غطرسة الحاكمين، ويوزّع خيرات الله على جميع البائسين والمحرومين.

٣. صبره

يُعدّ الامام المهدي المنتظر عليه السلام من أعظم الأئمة الطاهرين عليهم السلام محنةً وأشدّهم بلاءً؛ لأنّه عاشر ورأىٰ ـ في هذه الفترات الطويلة من الزمن ـ الأحداث الجسام التي داهمت العالم الإسلامي، ومزّقت أشلاءه، حيث وقعت الأمّة بجميع شرائحها صريعة بأيدي المستعمرين والكافرين، فأشاعوا فيها الباطل والجور، وعطّلوا أحكام الله وحدوده، ونهبوا ثروات الأمّة، وتحكّموا في مصيرها، وكلّ هذه الأحداث بمرأى من الإمام

---

١. حياة الإمام المهديّ (للقرشي)، ص ٣٩ ـ ٤٠ عن كمال الدين وبحار الأنوار وغيبة النعماني وغيبة الشيخ الطوسي.

٢. المصدر نفسه..

ومسمع، والحزن يملأ قلبه؛ فإنّه بحكم قيادته الروحية والزمنية، وأُبوّته العامّة لهذه الأُمّة، يتحرّق ألماً علىٰ جميع ما يحلّ بها من الخطوب والنكبات، وقد خلدﷺ إلى الصبر، وفوّض جميع أُموره وشؤونه إلى الله تعالى، فبيده مقاليد الأمور، وهو الحاكم المطلق في عباده.

٤. شجاعته

الإمام المنتظرﷺ من أشجع الناس قلباً، ومن أربطهم جأشاً، وأقواهم عزيمةً، فهو كجدّه رسول اللهﷺ في قوّة بأسه وشجاعته.

لقد قاوم النبيﷺ قوى الشرك، وحطّم ركائز الجهل والبغي، وأعلن حقوق الإنسان وكرامته وحقّه في الحياة، وقد قابلﷺ ذئاب الشرك وضروس الكفر الذين جهدوا على أن يلغوا لواء الإسلام، ويقبروا الدين في مهده، إلّا أنّهﷺ سحق رؤوسهم، ومزّق جنودهم، ورفع كلمة الله عاليةً في الأرض. وسوف يقوم سبطه وخليفته الإمام المنتظرﷺ، بنفس هذا الدور المشرق فيسقي الظالمين والمتجبّرين كأساً مصبّرة، ويعيد للإسلام كرامته ومجده، بحزم ثابت لا يعرف الوهن، ولا يخضع لأيّ عامل من عوامل الضعف والخوف، كما أخبر بذلك القرآن الكريم والنّبي العظيم.

٥. صلابته في الحقّ

الإمام المنتظرﷺ من أصلب المدافعين عن الحقّ، ومن أكثرهم تفانياً واندفاعاً لنصرة المظلومين والمضطهدين، لا تأخذه في إقامة الحقّ لومة لائم، شأنه شأن آبائه الأئمة المطهّرين الذين ناصروا الحقّ، وقاوموا الباطل، وقدّموا أرواحهم قرابين لإقرار العدل بين الناس.

وحين تشرق الدنيا بظهور قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله، وتسعد الإنسانية بخروجه، فإنّه سلام الله عليه يقيم الحقّ في كلّ أبعاده، ولا يدع مجالاً للغبن والظلم إلّا حطّمه وقضىٰ عليه.

٦. سخاؤه

الإمام المنتظر عليه السلام من أندىٰ الناس يداً، ومن أكثرهم جوداً، وأعظمهم سخاءً. وتواترت الأخبار على أنّه في أيام دولته وحكومته يوزّع خيرات الله على جميع الفقراء، بحيث لا يبقى فقير أو محتاج على وجه الأرض، ولنستمع إلى بعض ما أُثر عن كرمه من الأحاديث:

١ . روى أبوسعيد، عن النبي صلى الله عليه وآله في الإمام المهدي عليه السلام أنّه قال: «فيجيء الرجل إليه فيقول: يا مهدي، أعطني أعطني، فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله»[1].

٢ . روى ابن‌عساكر عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يكون في آخر الزمان خليفة يحثي المال حثياً»[2].

٣ . قال جابر: أقبل رجل على أبي‌جعفر عليه السلام، وأنا حاضر، فقال: رحمك الله اقبض هذه الخمس مائة درهم فضعها في مواضعها؛ فإنّها زكاة أموالي. فقال له أبوجعفر: «بل خذها أنت فضعها في جيرانك والأيتام والمساكين، وفي إخوانك من المسلمين. إنّما يكون هذا إذا قام قائمنا، فإنّه يقسّم بالسوية، ويعدل في خلق الرحمن، البرّ منهم والفاجر، فمن أطاعه فقد

---

١. منتخب كنز العمّال، ج ٦، ص ٢٩ وينابيع المودّة، ص ٤٣١.

٢. تأريخ ابن‌عساكر، ج ١، ص ١٨٦ ومنتخب كنز العمّال، ج ٦، ص ٣.

أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، فإنّما سُمي المهدي؛ لأنّه يهدي لأمر خفيّ، يستخرج التوراة وسائر الكتب من غار بأنطاكية فيحكم (بين) أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل الفرقان بالفرقان، وتُجمع إليه أموال الدنيا كلّها، ما في بطن الأرض وظهرها، فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء، وركبتم فيه محارم الله، فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله»[1].

٧. عبادته

مما لا شك فيه أنّ عبادة الإمام المنتظر عليه السلام كعبادة آبائه الأئمة الطاهرين: الذين وهبوا حياتهم لله تعالى، وسرىٰ حبّه في أعماق قلوبهم ودخائل نفوسهم، وقد قضوا معظم حياتهم صائمين في نهارهم، قائمين في لياليهم، قد أحيوها بالصلاة والدعاء والابتهال إلى الله تعالى، وقد نقل الرواة مجموعة من أدعيته الشريفة التي كان يقرأ بعضها في قنوته، وبعضها في غير الصلاة. وسوف نشير إلى بعضها في الدرس الآتي. وهي تنمّ عن مدى تعلّقه بالله تعالىٰ وانقطاعه إليه.

١. حياة الإمام المهديّ (للقرشي)، ص ٤٥ ـ ٤٦ عن كمال الدين وبحار الأنوار.

الخلاصة:

* لأهمية دور الإمام المهدي في حياة البشرية والرسالات السماوية سبق الحديث عن شخصيته وولادته، فقد تحدّث النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام عنه وإن كان ما بأيدينا من أخبار لمعرفة شخصيته قليل بالنسبة له؛ لأنّه عليه السلام دخل في مرحلة مبكرة من عمره الشريف مرحلة الغيبة ولم يتمتّع المسلمون بوجوده الظاهر بينهم إلّا زمناً يسيراً.

* إنّ شخصية الإمام المهدي عليه السلام تمثّل المصداق الكامل لشخصية جدّه رسول صلى الله عليه وآله وآبائه الأئمة الأطهار عليهم السلام في قوّة إرادته، وصبره، ورسوخ اليقين وشدة العبادة، وكونه رؤوفاً رحيماً بأُمته، زاهداً في الملذّات العاجلة، مترفّعاً عن الدنيا وسفاسفها قد شغلته هموم الرسالة ومصير الأمة التي يرعاها.

الأسئلة:

١. ماذا قال الأئمة عليهم السلام بشأن سعة علم الإمام المهدي عليه السلام ؟

٢. اذكر أهمّ مظهر من مظاهر صبر الإمام المهدي عليه السلام ؟

٣. ماهي أهم ملامح شخصية الإمام المهدي عليه السلام ؟

٤. ماذا تعرف عن زهده عليه السلام ؟

٥. ماهي خصائص دولة الإمام المهدي عليه السلام ؟

الدرس ٥٨

من تراث الإمام المهدي﴿ع﴾

للإمام المنتظر﴿ع﴾ تراثٌ رائعٌ حافل بأنواع القيم الإسلامية، كان منه بعض أدعيته الشريفة التي هي مناجم التوحيد، ومن ذخائر الفكر الإسلامي، كما أنّ من بينها بعض الرسائل التي بعثها لأعلام أصحابه وخُلّص شيعته، وقد تضمّنت بعضها أجوبته عمّا سألوه من الأحكام الشرعيّة، وفيما يلي بعض ذلك:

١. دعاؤه للمسلمين

«اللَّهمَّ ارزقنا توفيق الطاعة، وبُعد المعصية، وصدق النيّة، وعرفان الحرمة، وأكرمنا بالهدىٰ والاستقامة، وسدِّد ألسنتنا بالصواب والحكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة، وطهّر بطوننا من الحرام والشبهة، واكفف أيدينا عن الظلم والسّرقة، واغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة، واسدد أسماعنا عن اللغو والغيبة، وتفضّل على علمائنا بالزّهد والنصيحة، وعلى

المتعلّمين بالجهد والرغبة، وعلى المستمعين بالاتّباع والموعظة، وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة، وعلى موتاهم بالرّأفة والرّحمة، وعلى مشايخنا بالوقار والسّكينة، وعلى الشباب بالإنابة والتوبة، وعلى النساء بالحياء والعفّة، وعلى الأغنياء بالتواضع والسّعة، وعلى الفقراء بالصبر والقناعة، وعلى الغزاة بالنصر والغلبة، وعلى الأُسراء بالخلاص والرّاحة، وعلى الأُمراء بالعدل والشفقة، وعلى الرعيّة بالإنصاف وحسن السيرة، وبارك على الحجّاج والزوّار في الزاد والنفقة، واقض ما أوجبت عليهم من الحجّ والعمرة، بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين...»[١].

٢. دعاؤه لقضاء الحوائج

وكان عليه السلام يدعو لقضاء حوائجه ومهامّه بالدعاء التالي، واليك نصّه بعد البسملة:

«أنت الله الّذي لا إله إلّا أنت، مُبدئ الخلق ومعيدهم، وأنت الله الذي لا إله إلّا أنت، مُدبّر الأُمور وباعث من في القبور، وأنت الله الذي لا إله إلّا أنت القابض الباسط، وأنت الله الذي لا إله إلّا أنت وارث الأرض ومن عليها، أسألك باسمك الذي إذا دُعيت به أجبت، وإذا سُئِلتَ به أعطيت، وأسألك بحقّ محمّد وآل محمّد أن تقضي لي حاجتي الساعة الساعة، يا سيّداه! يا مولاه! يا غياثاه! أسألك بكلّ اسم سمّيت به نفسك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تصلّي علىٰ مُحمّد وآل محمّد، وأن تعجّل خلاصنا من هذه

---

١. مصباح الكفعمي، ص ٢٨١، ٣٠٦.

الشدّة، يا مقلّب القلوب والأبصار، يا سميع الدّعاء، إنّك على كلّ شيء قدير، برحمتك يا أرحم الرّاحمين»[١].

٣. دعاؤه للشفاء من الأسقام

وكان عليه السلام إذا أصابه سقم وألمّ به مرض كتب هذا الدعاء الشريف في إناء جديد بتربة سيّد الشهداء، الإمام الحسين عليه السلام، ويصبّ فيه الماء ويشربه.

«بسم الله دواء، والحمد لله شفاء، ولا إله إلّا الله كفاء، هو الشافي شفاءً، وهو الكافي كفاءً، أذهب البأس، بربّ الناس شفاء لا يغادره سقم، وصلّى الله على محمّد وآله النجباء»[٢].

٤. دعاؤه للفرج

«اللهمَّ ربَّ النور العظيم، وربّ الكرسيّ الرفيع، وربّ البحر المسجور، ومنزّل التوراة والإنجيل، وربّ الظلّ والحرور، ومنزّل الزبور والقرآن العظيم، وربّ الملائكة المقرّبين، والأنبياء المرسلين، أنت إلهُ من في السماء، وإلهُ من في الأرض، لا إله فيهما غيرك، وأنت جبّارُ من في السّماء، وخالقُ من في الأرض، لا جبّار فيهما غيرك، وأنت خالقُ من في السّماء، وخالقُ من في الأرض، لا خالقَ فيهما غيرك. اللهمَّ أسألك بوجهك الكريم، وبنور وجهك المنير، وملكك القديم، يا حيُّ يا قيّوم، أسألك باسمك الذي

---

١. منتخب الأثر، ص ٥٢١، ٥٢٠.
٢. المصدر نفسه.

أشرقت بـه السـماوات والأرضـون، وبـاسمك الذي يـصلح بـه الأوّلون والآخرون، يا حيّاً قبل كلّ حيّ، ويا حيّاً بعد كلّ حيّ، ويا حيّاً حين لا حيّ، ويا محيي الموتىٰ، ويا حيّاً لا إله إلّا أنت، يا حيّ، يا قيّوم، أسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا أحتسب، رزقاً واسعاً حلالاً طيّباً، وأن تفرّج عني كلّ غمّ وكلّ همّ، وأن تعطيني ما أرجـوه وآمله، إنّك على كلّ شيء قدير»[1].

٥. دعاؤه لشيعته

وكان عليه السلام يدعو بهذا الدّعاء لشيعته من أجل أن يفرّج عنهم، ويكشف ما ألمّ بهم من الضيق والحرمان:

«يا نور النور، يا مدبِّر الأُمور، يا باعث من في القبور، صلِّ علىٰ محمّد وآل محمّد، واجعل لي ولشيعتي من الضيق فرجاً، ومن الهمِّ مخرجاً، وأوسع لنا المنهج، وأطلق لنا من عندك ما يفرّج، وأفعل بنا ما أنت أهله، يا كريم يا أرحم الراحمين...»[2].

---

١. البلد الأمين، ص ٦٠.

٢. الإمام المهديّ عليه السلام، ص ٤٤.

الخلاصة:

* لقد استطاع الإمام المهدي عليه السلام ـ خلال فترة غيبته الصغرى ـ أن يمدّ المجتمع الشيعي الذي يتبنى خطّ أهل البيت عليهم السلام بعناصر مهمة للاستمرار على خط الإمامة الإلهية دون أن يتصدّع الصرح الذي أقامه النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام بالرغم من حراجة الظروف، وبالرغم من وجود الغيبة التي تؤدي بطبيعتها إلى التشكيك في فاعلية الخط وسلامته، لولا الإيمان العالي والرؤية الثاقبة التي أوجدها الائمة الطاهرون عليهم السلام لأصحابهم النجباء.

* ونظره سريعة إلى التراث المأثور عن الإمام المهدي عليه السلام تفيد عظمة الدور الذي قام به الإمام عليه السلام في رسائله ومكاتباته خلال فترة الغيبة الصغرىٰ. حتى كانت عُدّة مهمّة للغيبة الكبرىٰ.

الأسئلة:

١ . ما هي السيئات التي حذّر منها الإمام المنتظر ـ عج الله تعالىٰ فرجه ـ في دعائه للمسلمين؟

٢ . كيف نستدل من خلال دعاء الإمام عليه السلام علىٰ تواصله مع حياة المؤمنين؟

٣ . ما هو الدور المرجو لِظهور الإمام المنتظر عليه السلام ؟

المطالعة

دعاؤه للنبي صلى الله عليه وآله ولأئمة الهدى عليهم السلام

وعهد الإمام عليه السلام لبعض شيعته أن يدعو بهذا الدعاء مصلّياً على النبي صلى الله عليه وآله وعلىٰ الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم:

«اللهمّ صلِّ على مُحمّد سيّد المرسلين، وخاتم النبيّين، وحجّة ربّ العالمين، المنتجَب في الميثاق، المصطفى في الظِلال، المطهّر من كلّ آفة، البريء من كلّ عيب، المؤمّل للنجاة، المرتجىٰ للشفاعة، المفوّض إليه دينُ الله. اللهمّ شرّف بنيانه، وعظّم برهانه، وأفلج حجّته، وارفع درجته، وأضيْ نوره، وبيّض وجهه، وأعطه الفضل والفضيلة، والدرجة والوسيلة الرفيعة، وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأوّلون والآخرون، وصلِّ على أميرالمؤمنين، ووارث المرسلين، وقائد الغرّ المحجلين، وسيّد الوصيّين وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على الحسن بن علي إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على الحسين بن علي إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على مُحمّد بن علي إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على موسى بن جعفر إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على عليبن موسى إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على محمّدبن علي إمام المؤمنين، ووارث المرسلين،

وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على علي بن محمّد إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على الحسن بن علي إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين، وصلِّ على الخلف الصالح المهدي إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين.

اللهمَّ صلِّ على محمّد وأهل بيته الأئمة الهادين المهديّين، العلماء الصادقين، الأبرار المتّقين،دعائم دينك، وأركان توحيدك، وتراجمة وحيك، وحججك على خلقك، وخلفائك في أرضك، الذين اخترتهم لنفسك، واصطفيتهم على عبادك، وارتضيتهم لدينك، وخصصتهم بمعرفتك، وجللتهم بكرامتك، وغشيتهم برحمتك، وربّيتهم بنعمتك، وغذّيتهم بحكمتك، وألبستهم نورك، ورفعتهم في ملكوتك، وحففتهم بملائكتك، وشرّفتهم بنبيك.

اللهمّ صلِّ على مُحمّد وعليهم صلاةً كثيرةً دائمةً طيّبةً، لا يحيط بها إلّا أنت، ولا يسعها إلّا علمك، ولا يحصيها أحدٌ غيرك. اللهمّ وصلِّ على وليّك، المحيي سنّتك، القائم بأمرك، الداعي إليك، الدليل عليك، وحجّتك على خلقك، وخليفتك في أرضك، وشاهدك على عبادك. اللهمَّ أعزّ نصره، ومُدّ في عمره، وزيّن الأرض بطول بقائه. اللهمَّ اكفه بغي الحاسدين، وأعذه من شرّ الكائدين، وادحر عنه إرادة الظالمين، وخلّصه من أيدي الجبّارين.

اللهمَّ اعطه في نفسه وذريّته وشيعته ورعيّته وخاصّته وعامّته وعدوّه وجميع أهل الدنيا ما تقرّ به عينه، وتسرّ به نفسه، وبلّغه أفضل ما أمّله في الدنيا والآخرة، إنّك على كلّ شيءٍ قدير. اللهمَّ جدّد به ما محي من دينك،

وأحي به ما بُدِّل من كتابك، وأظهر به ما غُيِّر من حكمك، حتّى يعود دينك على يديه غضّاً جديداً خالصاً مخلَصاً، لا شكّ فيه ولا شبهة معه، ولا باطل عنده ولا بدعة لديه.

اللهمَّ نوّر بنوره كُلّ ظلمة، وهدّ بركنه كلّ بدعة، واهدم بعزّته كلّ ضلالة واقصم به كلّ جبّار، واخمد بسيفه كلّ نار، وأهلك بعدله كلّ جبّار، وأجر حكمه على كُلّ حكم، وأذلّ بسلطانه كلّ سلطان. اللهمّ أذلّ كلّ من ناواه، وأهلك كلّ من عاداه، وامكر بمن كاده، واستأصل من جحد حقّه، واستهان بأمره، وسعىٰ في إطفاء نوره وأراد إخماد ذكره.

اللهمَّ صلِّ على محمّد المصطفى، وعليّ المرتضى، وفاطمة الزهراء، والحسن الرّضا، والحسين المصفّى، وجميع الأوصياء، مصابيح الدُّجىٰ، وأعلام الهدىٰ، ومنار التقىٰ، والعروة الوثقىٰ، والحبل المتين، والصراط المستقيم، وصلِّ على وليّك، وولاة عهدك، والأئمة من ولده، ومُدّ في أعمارهم، وزِدْ في آجالهم، وبلّغهم أقصىٰ آمالهم دنياً وآخرة إنّك على كلّ شيء قدير»[1].

---

١. البلد الأمين، ص ٥٧٠.

الدرس ٥٩

حصيلة المسيرة الرسالية لأئمة أهل البيت عليهم السلام (١)

لقد عرّف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالموقع القيادي لعترته وأهل بيته الأطهار عليهم السلام. وقد تجلّت كفاءاتهم العلمية والعمليّة لإحراز هذا الموقع بشكل واضح من خلال مسيرتهم المباركة بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وانحراف مسيرة الخلافة عن النهج الذي رسمه النبي الحكيم.

وإذا أردنا أن نعرف المكاسب التي حقّقها الأئمّة الراشدون للرسالة الإسلامية وللأُمة المسلمة بعد عصر الرسول صلى الله عليه وآله ودورهم الفاعل في تاريخ الحركة الرسالية ـ بالرغم من إبعادهم عن مركز القيادة السياسية للأُمة ـ فلابد لنا أن نتعرّف أوّلاً على مجموعة المسؤوليات والمهامّ التي أُنيطت بهم، ثم نتعرّف على مجموعة الظروف التي أحاطت بهم وبالأُمّة بالرسالة لنكتشف دورهم الحقيقي في هذا الإطار.

١. مهامّ أهل البيت عليهم السلام الرساليّة

تتلخّص مهامّ الأئمة الراشدين عليهم السلام الذين اختارهم الله تعالى للقيادة

الرساليّة ـ المتمثّلة بالإمامة ـ بعد سيّدالمرسلين[1] فيما يلي:

١ . صيانة الإسلام (نظرياً).

٢ . وتطبيقه الصحيح في الأُمّة (عمليّاً) من خلال قيادتهم المعصومة.

٣ . تربية الإنسانية على أساس الإسلام الخالد.

٤ . صيانة دولة الرسول الخاتمﷺ من الانهيار والتردّي.

٥ . صيانة الأُمة المسلمة من التفتّت والتمزّق.

٢ . الطريق إلىٰ تحقيق المهامّ الرساليّة:

عمل الأئمة الراشدون في خطّين أساسيين لتحقيق مجموعة المهامّ الملقاة على عاتقهم:

الخط الأوّل: خطّ تحصين الأُمّة من الانهيار بعد سقوط التجربة النبويّة، حيث لم يستلم زمام الحكم بعد الرسولﷺ أناس معصومون كالرسولﷺ ، وانّما استلمه صحابة غير معصومين من الخطأ والانحراف في العلم والعمل وفي فهم الرسالة وتطبيقها بشكل كامل.

والتحصين الذي استهدفه أهل بيت الرسالة للأُمة يتحقق من خلال إعطائها ما تحتاجه من المقوّمات لكي تصمد بقدم راسخة وبروح مجاهدة وبإيمان ثابت أمام الأعاصير التي هبّت عليها بعد عزل القيادة المعصومة ـ

---

١ ـ لإثبات صدور النصّ من الرسول الخاتم ﷺ على امامة الأئمة الاثني عشر و بيان دلالات النصوص الصادرة عنه ألّفت كتب قيّمة منها: موسوعة الغدير للعلّامة الأميني، والمراجعات للسيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي، واثبات الهداة بالنصوص والمعجزات للعلّامة الحر العاملي، وقادتنا للمرجع الكبير الميلاني، وعبقات الأنوار للعلّامة ميرحامد حسين اللكنوي.

المتمثلة في أهل البيت عليهم السلام ـ عن ممارسة مهامّها القيادية.

الخطّ الثاني: خطّ محاولة تسلّم زمام التجربة، وزمام الدولة، ومحو آثار الانحراف، وإرجاع القيادة إلى موضعها الطبيعي؛ لتكتمل عناصر التربية الأساسيّة، وتتلاحم الأمّة مع قوانين الدولة الرّبّانيّة، وقيم القيادة الرشيدة.

أما الخطّ الأول فهو عبارة عن التحصين العقائدي والثقافي والأخلاقي المستمر والضروري في كل الظروف والأحوال.

وأمّا الخط الثاني فكان لابدّ للأئمّة الراشدين أن يقوموا بإعدادٍ طويل المدى له إذا ارادوا استلام زمام الحكم بأنفسهم؛ لأن الأئمة لايريدون الحكم للحكم، وانّما يريدون الحكم من أجل التطبيق الصحيح والتام للأحكام والحدود الإلهية، وتحقيق القيم الرّبانية في المجتمع الإسلامي.

٣. موقف الأئمّة الأطهار عليهم السلام من استلام زمام الحكم:

لقد كان الأئمّة المعصومون عليهم السلام يرون أنّ الانتصار المسلّح الآنيّ غير كافٍ لإقامة دعائم الحكم الإسلامي المستقرّ، بل يتوقّف ذلك على إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام، وبعصمته إيماناً مطلقاً، ويعيش أهدافه الكبيرة، ويدعم تخطيطه في مجال الحكم، ويحرس ما يحقّقه للأمّة من مصالح أرادها الله لها.

بينما خط تحصين الأمة من الإنهيار لايتنافى مع الظروف القاهرة، وكان يمارسه الأئمّة حتّى في حالة الشعور بعدم توفّر الظروف

الموضوعية المناسبة لخوض معركة يتسلّم الإمام المعصوم من خلالها زمام الحكم من جديد.

إنّ هذا الخطّ ـ في الحقيقة ـ هو خط تعميق الرسالة، فكرياً وروحياً وسياسيّاً، للأُمّة نفسها؛ بغية إيجاد تحصين كافٍ في صفوفها، يمنعها من الانهيار بعد تردّي التجربة وسقوطها، وذلك بإيجاد قواعد واعية في الأُمّة أوّلاً، وإيجاد روح رسالية، وعواطف صادقة تجاه هذه الرسالة في الأُمّة ثانياً[1]، وتوجيهها المستمرّ بشكل مباشر أو غير مباشر ثالثاً.

٤. حماية الرسالة والأمّة والدولة

إنّ عمل الأئمّة الأطهار عليهم السلام في هذين الخطّين استلزم قيامهم بدور رسالي إيجابي وفعّال على طول الخط لحفظ الرسالة والأُمّة والدولة الإسلامية وحماية كلٍّ من هذه العناصر الثلاثة باستمرار.

وكلّما كان الانحراف يشتدّ كان الأئمّة عليهم السلام يتّخذون التدابير اللّازمة ضدّ ذلك.

وكلّما وقعت محنة للعقيدة أو التجربة الإسلامية، وعجزت الزعامات المنحرفة من علاجها ـ بحكم عدم كفاءتها ـ بادر الأئمّة الهداة عليهم السلام إلى تقديم الحلّ، ووقاية الأُمّة من الأخطار التي كانت تهدّدها.

لذا كان الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام يحافظون على المقياس العقائدي في المجتمع الإسلامي إلى درجةٍ لا تنتهي بالأُمّة إلى الخَطر الماحق لها.

---

١ ـ راجع أهل البيت عليهم السلام تنوّع أدوار ووحدة هدف (للشهيد الصدر) ، ص ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، و١٤٧، ١٤٨.

٥. تعدّد مجالات عمل الأئمّة الطاهرين عليهم السلام

لقد تنوّعت اهتمامات الائمّة الأطهار عليهم السلام باعتبار تعدّد العلاقات، وتعدّد الجوانب، وتعدد المهامّ التي كانت عليهم، باعتبارهم قيادة واعية رشيدة، تريد تطبيق الإسلام وحفظه، وتضمن خلوده للإنسانية جمعاء.

فالأئمّة المعصومون عليهم السلام ـ قبل كل شيء ـ مسؤولون عن صيانة تراث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وثمار ثورته المباركة، وجهوده الكريمة المتمثّلة في:

١ . الشريعة والرسالة التي جاء بها من عندالله، والتي تجسّدت في الكتاب المجيد والسنّة الشريفة.

٢ . الأُمّة التي كوّنها وربّاها بيديه الكريمتين.

٣ . المجتمع السياسي الإسلامي الذي أوجده، والدولة التي أسسها، وشيّد أركانها.

٤ . القيادة النموذجية التي حقّقها بنفسه، وربّى من أهل بيته الطاهرين من يكون صالحاً لتجسيدها، وقادراً على تحقيقها.

٦. موقف أهل البيت عليهم السلام من انحراف الحكّام

لقد كان للأئمّة عليهم السلام نشاط مستمرّ تجاه الحكم القائم، والزعامات المنحرفة، وقد تمثّل في إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف بالتوجيه الكلاميّ تارة[1]، أو بالثورة المسلّحة ضدّه تارة أُخرى[2]، حينما كان

---

١ ـ كالإمام علي عليه السلام تجاه الخلفاء الثلاثة، والإمام الحسن عليه السلام تجاه معاوية.

٢ ـ كالإمام الحسين عليه السلام ضدّ يزيد.

يشكّل انحرافه خطراً ماحقاً وإن كان يكلّفهم ذلك حياتهم، أو عن طريق إيجاد المعارضة المستمرّة، ودعمها بشكل وآخر مرّة ثالثة من أجل زعزعة القيادة المنحرفة[١]، بالرغم من دعمهم المستمر للدولة الإسلامية بشكل غير مباشر حينما كانت تواجه خطراً ماحقاً أمام الأنظمة الكافرة[٢].

٧. الأئمّة عليهم السلام الأطهار وتربية الأُمّة

كان للأئمّة عليهم السلام نشاط مستمرّ في مجال تربية الأمّة عقائدياً وأخلاقياً وعلميّاً وسياسياً، وذلك من خلال تربية العلماء الصلحاء، والكوادر المؤمنة، والشخصيات النموذجية التي تقوم بمهمّة نشر الوعي، والفكر الإسلامي، وتصحيح الأخطاء في فهم الرسالة والشريعة، ومواجهة التيّارات الفكرية الحاقدة والمنحرفة، أو التيّارات السياسية الخاصّة التي كان يستخدمها الحاكم المنحرف لدعم زعامته.

لقد قدّم الأئمّة الأطهار عليهم السلام للأُمّة المثل الأعلى للزعامة الصالحة والكفوءة بما يتناسب مع عظمة هذا الدين سموّاً وعطاءً وخلوداً.

كما قاموا بجهاد فكري وثقافي كبير من أجل تصعيد درجة وعي الأمّة، ودفعها للإيمان بزعامتهم وأحقّيتهم بالخلافة، وتصعيد درجة إيمانهم بإمامتهم وقيادتهم.

---

١ ـ كموقف الإمام السجّاد عليه السلام الايجابي من حركة المختار، وموقف الإمام الصادق عليه السلام الايجابي من حركة زيدبن عليّ عليه السلام.

٢ ـ كموقف الإمامين السجّاد والباقر عليهما السلام تجاه مشكلة استقلال نقد الدولة الإسلامية.

ومن هنا دخل الأئمة الأبرار عليهم السلام إلى ساحة الحياة العامّة، وارتبطوا بالأُمّة عملياً بشكل مباشر، وتعاطفوا مع قطّاع واسع من المسلمين؛ فإنّ الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق ـ التي كان يتمتّع بها أئمّة أهل البيت عليهم السلام على مدى عدّة قرون ـ لم يحصل عليها أهل البيت عليهم السلام صدفة أو لمجرّد الانتماء لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ وذلك لوجود كثير ممّن كان ينتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن يحظى بهذا الولاء[1].

١ ـ كما نلاحظ موقف الحجيج في احترامهم واهتمامهم بالإمام السجّاد عليه السلام حينما أفرجوا له المطاف، ولم يصنعوا مثل ذلك لهشام بن عبدالملك المرواني حيث تركوه يتجرّع الغيظ لعدم اكتراثهم به.

الخلاصة:

* كان من الطبيعي أن يمتدّ دور الأئمة الراشدين عليهم السلام لمواصلة مهمّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في صيانة العقيدة الإسلامية ، وتطبيقها وتربية الناس عليها ، والحفاظ على الدولة الإسلامية الفتيّة. لكن الانحراف الذي حصل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله حال دون تحقق كلّ الذي أراده الرسول صلى الله عليه وآله لأُمته من خلال قيادة أهل البيت عليهم السلام.

* لقد سبَّب هذا الانحراف تكليفاً جديداً للأئمة عليهم السلام لتحقيق دورهم الرسالي ، فعملوا على محورين:

١. محور المحافظة على الرسالة والأُمّة الإسلامية كأصل ثابت ومستمرّ في نهج العمل الرسالي.

٢. محور محاولة تسلّم زمام الحكم واستعادة الحقّ المضيَّع من أجل ضمان تطبيق الإسلام بشكل تامّ وصحيح.

* إنّ العمل على المحور الثاني كان يتطلّب جهداً أكبر ، ووقتاً أطول، ولكن هذا لم يثنِ عزم الأئمة عليهم السلام ، فتنوّعت أدوارهم تبعاً لتغيّر مستويات الانحراف باستمرار.

* انصبّت جهود الأئمة في كلّ الأدوار على صيانة الشريعة ، وتعهّدوا بتربية أجيال الأُمّة ، ورعاية شؤونها، لإنشاء وتقوية المجتمع السياسي الإسلامي الواعي والملتزم.

* عمل الأئمة عليهم السلام على توجيه الحاكم المنحرف تارة بالكلمة ، واخرىٰ بالقوّة المسلّحة ، وثالثةً بتكوين جبهة معارضة، كما تناسق عملهم هذا مع تماسّهم المباشر مع الوسط الجماهيري المسلم.

الأسئلة:

١. لماذا يعتبر انحراف زعامة الحكم خطراً كبيراً على الشريعة الإسلامية؟

٢. ما هي الخطوط العامّة التي عمل الأئمة الأطهار عليهم السلام عليها؟

٣. ما الأمر الذي كان الأئمة عليهم السلام يريدون المحافظة عليه دائماً؟

٤. هل اعتبر الأئمّة عليهم السلام استلام زمام الحكم الحلّ الوحيد لاستمرار فاعلية الرسالة الإسلامية؟

٥. اذكر بعض مواقف الأئمة عليهم السلام تجاه الحكّام المنحرفين وتجاه الثورات التي اندلعت ضدّ هؤلاء الحكّام.

الدرس ٦٥

حصيلة المسيرة الرسالية لأئمة أهل البيت عليهم السلام (٢)

٨. سلامة النظرية وتشويه التطبيق:

لقد أخرج الأئمّة الأطهار عليهم السلام الإسلامَ على مستوى النظرية سليماً من الانحراف، وإن شُوِّهت معالم التطبيق بيد الحكّام المنحرفين. كما حوّلوا الأُمّة إلى أمّة عقائدية، تقف بوجه الغزو الفكري والسياسي المعادي، ممّا جعلها قادرة على أن تسترجع ـ ولو بعد قرون ـ قدرتها وروحها الرسالية، كما تحقق ذلك في هذا العصر الذي نعيشه، وهو عصر النهضة الإسلاميّة العالميّة المباركة.

٩. الأئمّة الأطهار عليهم السلام وبناء الجماعة الصالحة

لقد حقّق الأئمّة الأطهار عليهم السلام كلّ هذه الانتصارات بفضل اهتمامهم الكبير بتربية الجماعة الصالحة التي تؤمن بهم وبإمامتهم؛ إذ أشرفوا على:

١ . تنمية وعيها.

٢ . تنمية إيمانها.

٣ . التوجيه المناسب لسلوكها وتمنية ملكة التقوىٰ لديها.

٤ . حمايتها باستمرار.

٥ . إسعافها بكلّ الأساليب التي كانت تساعدها على الصمود في خضمّ المحن.

٦ . الارتفاع بها إلى مستوى جيش عقائدي رسالي، يعيش هموم الرسالة، ويعمل على صيانة الرسالة، ونشرها وتطبيقها ليل نهار[1].

١٠ . مراحل حركة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام

وإذا رجعنا إلى تاريخ أهل البيت عليهم السلام والظروف المحيطة بهم، ولاحظنا كلّ سلوكهم بما هم ممثّلون لخطّ واحد، ودرسنا مجموع مواقفهم العامّة والخاصّة، استطعنا أن نقسّم مواقفهم وانجازاتهم إلى ثلاث مراحل، قبل مرحلة غيبة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام .

واليك عرضاً إجماليّاً لهذه المراحل الثلاث:

المرحلة الأولى: هي مرحلة تفادي صدمة الانحراف بالمحافظة على وحدة الأُمّة أمام الأعداء وتحسيس الأُمّة بعمق ظاهرة الانحراف على مستوى القيادة، وبدأت هذه المرحلة بُعَيْد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتجسّدت في مسيرة ومواقف الأئمّة الأربعة: علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام ؛ إذ قام هؤلاء الأئمة الأطهار بجهاد كبير وتضحيات مستمرة

---

١. أُنظر تفصيل هذه النقطة في كتاب دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، للشهيد السعيد السيد محمّدباقر الحكيم قدس سره.

باتّجاه حفظ وحدة الكلمة وتعميق الوعي الرسالي تجاه حقيقة الانحراف الحاصل في قيادة التجربة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وتمخّض عن زرع التحصينات اللّازمة في الأُمّة لصيانة العناصر الأساسية للرسالة من الانهيار. وهم وإن لم يستطيعوا القضاء على القيادة المنحرفة، لكنّهم استطاعوا كشف زيفها، والمحافظة على الرسالة الإسلامية نفسها من الذوبان أمام التيّار الجاهلي الذي خطّط للتحكّم من جديد في رقاب المسلمين.

المرحلة الثانية: وبدأت بالشطر الثاني من حياة الإمام السجّاد عليه السلام السياسية حتّى عصر الإمام الكاظم عليه السلام، وتميّزت بأمرين أساسيّين:

١ . هدم تحصينات الخلافة المنحرفة بعد أن بدأ الخلفاء يحصّنون أنفسهم بالدعم الشرعي الذي كان يقدّمه لهم طبقة من المحدِّثين والعلماء الذين عرفوا بـ (وعّاظ السلاطين) حين كانوا يروّجون مشروعية هؤلاء الخلفاء، ومن خلال تأييد شرعيتهم، وإظهار الولاء لهم، وتداول أحاديث موضوعة تسند عرشهم.

وبعد أن استطاع الأئمة عليهم السلام في المرحلة الأُولى أن يكشفوا زيف خط الخلافة، وأن يحسسّوا الأُمّة بحقيقة الانحراف الذي حصل في مركز القيادة بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، استطاع هؤلاء الأئمّة الأربعة عليهم السلام أن يكشفوا زيف العلماء المحيطين بالخلفاء، ويفضحوا واقعهم ومدى انحرافهم عن الخطّ الرسالي الصحيح.

٢ . وأمّا فيما يرتبط ببناء الجماعة الصالحة ـ الذي أُرسيت دعائمه في

المرحلة الأُولى ـ فقد تصدّى هؤلاء الأئمّة في هذه المرحلة إلى تحديد الإطار التفصيلي لها، وإيضاح معالم الخطّ الرسالي الذي اؤتمن الأئمّة عليه، والذي تمثّل في تبيين ونشر معالم النظرية الإسلامية الصحيحة وتربية أجيال من العلماء على أساس هذه الثقافة الإسلامية الناصعة في مقابل خطّ الخلافة المخترق ثقافياً وفقهياً وهو خط وعّاظ السلاطين.

أضف إلى ذلك تصدّيهم لدفع الشبهات، وكشف زيف الفرق المذهبية التي استُحدثت من قبل خطّ الخلافة، بشكل مباشر أو غير مباشر.

ولم يتوان الأئمّة في هذه المرحلة في زعزعة الزعامات والقيادات المنحرفة من خلال دعم بعض خطوط المعارضه للسلطة، لا سيما بعض الخطوط الثورية منها، والتي كانت تتصدّى لمواجهة السلطة بعد ثورة الإمام الحسين.

المرحلة الثالثة: مرحلة التخطيط لاستقلال الجماعة الصالحة في إدارة شؤونها، وضمان رسالية مسيرتها حتّى تتوفّر الظروف اللازمة لاستلام القيادة من قبل الإمام المعصوم، وهي المرحلة الرابعة التي نسمّيها بمرحلة الانتظار الموجّه أو مرحلة الغيبة؛ فإنّه بعد وضع التحصينات اللّازمة للكتلة الصالحة، ورسم المعالم والخطوط التفصيلية لها فكرياً وعقائدياً وأخلاقياً وسياسياً في المرحلة الثانية، بدا للخلفاء أنّ قيادة أهل البيت أصبحت خطيرة وبمستوى تسلّم زمام الحكم والعودة بالمجتمع الإسلامي إلى حظيرة الإسلام الحقيقي، ممّا خلّف ردود فعل شديدة للحاكمين تجاه الأئمّة الأطهار، خاصّة إذا لاحظنا وصول الأخبار التي

كانت تبشّر بالمهدي من أهل البيت عليهم السلام إلى مسامعهم واقتراب عصر ولادته كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسائر آبائه الكرام. وكانت مواقف الأئمّة في هذه المرحلة تجاه الحكّام تتناسب مع نوع الموقف الذي كان يتّخذه الخليفة تجاه إمامتهم وشيعتهم وما يتلائم مع طبيعة المرحلة والظروف ومستوى التحدّي لهم ولقيادتهم ورساليّتهم.

١١. معالم وآفاق الجماعة الصالحة

وأمّا فيما يرتبط بالجماعة الصالحة التي أوضحوا لها معالم خطّها بعد تكوينها وتربيتها وإعدادها، فقد عمل الأئمة الأطهار عليهم السلام على دفعها نحو الثبات والاستقرار والانتشار كي يستحيل القضاء عليها، ثم أعطوها درجة من الاستقلال الذاتي قبل غيبتهم؛ إذ كان يقدّر الأئمّة عليهم السلام أنّهم بعد تصعيد المواجهة المستمرّة ضدّهم من جانب الحكّام لن يُسمح لهم بالمكث الطويل بين ظهرانيهم، ولن يتركهم الخلفاء أحراراً بعد أن يتبيّن للأُمّة زيف خلافتهم، وتتّضح لهم المكانة الشعبية للأئمّة عليهم السلام الذين كانوا يعبّرون عن الزعامة الشرعية الصالحة للأُمّة الإسلامية.

ومن هنا نجد أنّ محاولات التصفية الحقيقية لهم قد تتابعت بسرعة مذهلة كما يمكن ملاحظة ذلك من خلال استشهاد أربعة أئمة ـ أي أربعة أجيال ـ خلال خمسين سنة تقريباً (٢٠٣ ـ ٢٦٠هـ). وفي هذه التصفية المستعجلة دلالة واضحة على مدى خوف الحكّام من تواجد الأئمة الأطهار في الساحة الإسلامية وكون حضورهم العلني فاعلاً ومؤثراً

تأثيراً سلبياً على خطّ الخلافة، بالرغم من عدم تظاهرهم بالنشاط السياسي المثير وعدم دعمهم الصريح للثورات المناهضة للحكّام.

١٢. امتداد خطّ الإمامة على يد الفقهاء الأُمناء على الرسالة

لقد تجلّت ظاهرة تربية الفقهاء بشكل واسع في سلوك الأئمّة لاسيّما بعد الإمام الكاظمعليه السلام، كما نلاحظ إرجاعهم الناس إليهم، وتدريبهم على مراجعتهم في قضاياهم ومختلف شؤونهم، تمهيداً للغيبة التي لا يعلم مداها إلّا الله سبحانه، والتي أخبر الرسولصلى الله عليه وآله عن وقوعها وتحقّقها، وأملت الظروف الموضوعية عليهم الانصياع إليها إلىٰ أن تتوفّر الظروف الموضوعية اللّازمة لاستلام الإمام المعصوم المنتظر زمام الحكم، وتطبيق أحكام الله الحقّة في الأرض، وتأسيس الدولة العالمية التي بشّرت بها الأديان الإلٰهية، والتي تتحقّق بها أهداف الأنبياء جميعاً.

هل حقّق الأئمة الأطهارعليهم السلام أهداف الرسول العظيمصلى الله عليه وآله؟

نعم، استطاع الأئمّةعليهم السلام ضمن تخطيط بعيد المدى أن يقفوا بوجه التسلسل الطبيعي لمضاعفات انحراف القيادة الإسلامية والتي كادت أن تؤدي إلى تنازل الأُمّة عن الإسلام الصحيح، ثم ضمور الشريعة، وانهيار الرسالة الإلٰهية بشكل كامل.

إنّ السبب الحقيقي الذي جعل الأُمّة لا تتنازل عن الإسلام هو أنّ الإسلام قُدّم له مثل آخر واضح المعالم، أصيل المُثل والقيم، أصيل الأهداف والغايات، وقُدِّمت هذه الأُطروحة من قِبل الأئمّة من أهل البيت

الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

إنّ هذه الأُطروحة التي قدّمها الأئمّة المعصومون للإسلام لم ينحصر التفاعل معها بالشيعة المؤمنين بإمامة أهل البيت عليهم السلام فقط، بل كانت ذات صدىً كبير في كلّ العالم الإسلامي.

وهكذا استطاع الأئمة عليهم السلام بتوجيه من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أن يقفوا بوجه الانحراف العظيم الذي تعرّضت له الرسالة الإسلامية بعد سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله[1].

---

١. انظر: أهل البيت عليهم السلام تنوّع أدوار ووحدة هدف، ص ٧٩ ـ ٨٠.

الخلاصة:

* يمكن تقسيم مراحل حركة الأئمّة عليهم السلام خلال ثلاثة قرون من الحضور الفاعل في الساحة الاجتماعية والسياسية ـ وقبل مرحلة الغيبة ـ إلى ثلاث مراحل هي:

أولاً: مرحلة تفادي صدمة الانحراف.

ثانياً: مرحلة التحصين وبناء الجماعة الصالحة.

ثالثاً: مرحلة التمهيد للغيبة والتخطيط لاستقلال الجماعة الصالحة في إدارة شؤونها وضمان رسالية مسيرتها حتّى توفّر للإمام المعصوم عليه السلام الظروف الكافية لاستلام السلطة وإدارة شؤون البلاد.

الأسئلة:

١. اذكر مراحل حركة الأئمة عليهم السلام باختصار.

٢. ما هي معالم كلّ مرحلة؟

٣. ماذا عمل الأئمة عليهم السلام لملء الفراغ الحاصل من جرّاء غيبة الإمام المعصوم عليه السلام؟

٤. اذكر أهمّ أسباب نجاح الأئمة عليهم السلام في مسيرتهم الخالدة.

٥. كيف خرج الإسلام على مستوى النظرية سليماً من الانحراف؟

الفهرست

الدرس ٣١

الدرس ٣٢

الدرس ٣٦

الدرس ٣٧

الدرس ٣٨

الدرس ٣٩

الدرس ٤٠

الدرس ٤١

الدرس ٤٢

الدرس ٤٣

الدرس ٤٤

الدرس ٤٥

الدرس ٤٦

الدرس ٤٧

الدرس ٤٨

الدرس ٤٩

الدرس ٥٠

الدرس ٥١

الدرس ٥٦

الدرس ٥٧

الدرس ٥٨

الدرس ٥٩

الدرس ٦٠